

السيد جعفر مرتضى العاملي

سيرة الحسن عليه السلام

في الحديث والتاريخ ...

الجزء التاسع



مركز نشر وترجمة مؤلفات العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي

سيرة الحسن عليه السلام

في الحديث والتاريخ..

الطبعة الأولى

٢٠١٧م - ١٤٣٨هـ



دفتر مركزى:

قم - خيابان ارم (آيت الله مرعشى) - كوچه

ارك - پلاك ٣٢ - ٣٤.

تلفن: ٠٢٥٣٧٧٣٥٠٠٨

همراه ٠٩٣٣٤٤٩٠١٦٠

فكس: ٠٢٥٣٧٧٤٧٨٥٤

Email: info@al-ameli.com

Website: www.nt-ameli.com

www.al-ameli.com

www.al-ameli.net

www.al-ameli.org

telegram: @alameli

سيرة الحسن عليه السلام

في الحديث والتاريخ..

السيد جعفر مرتضى العاملي

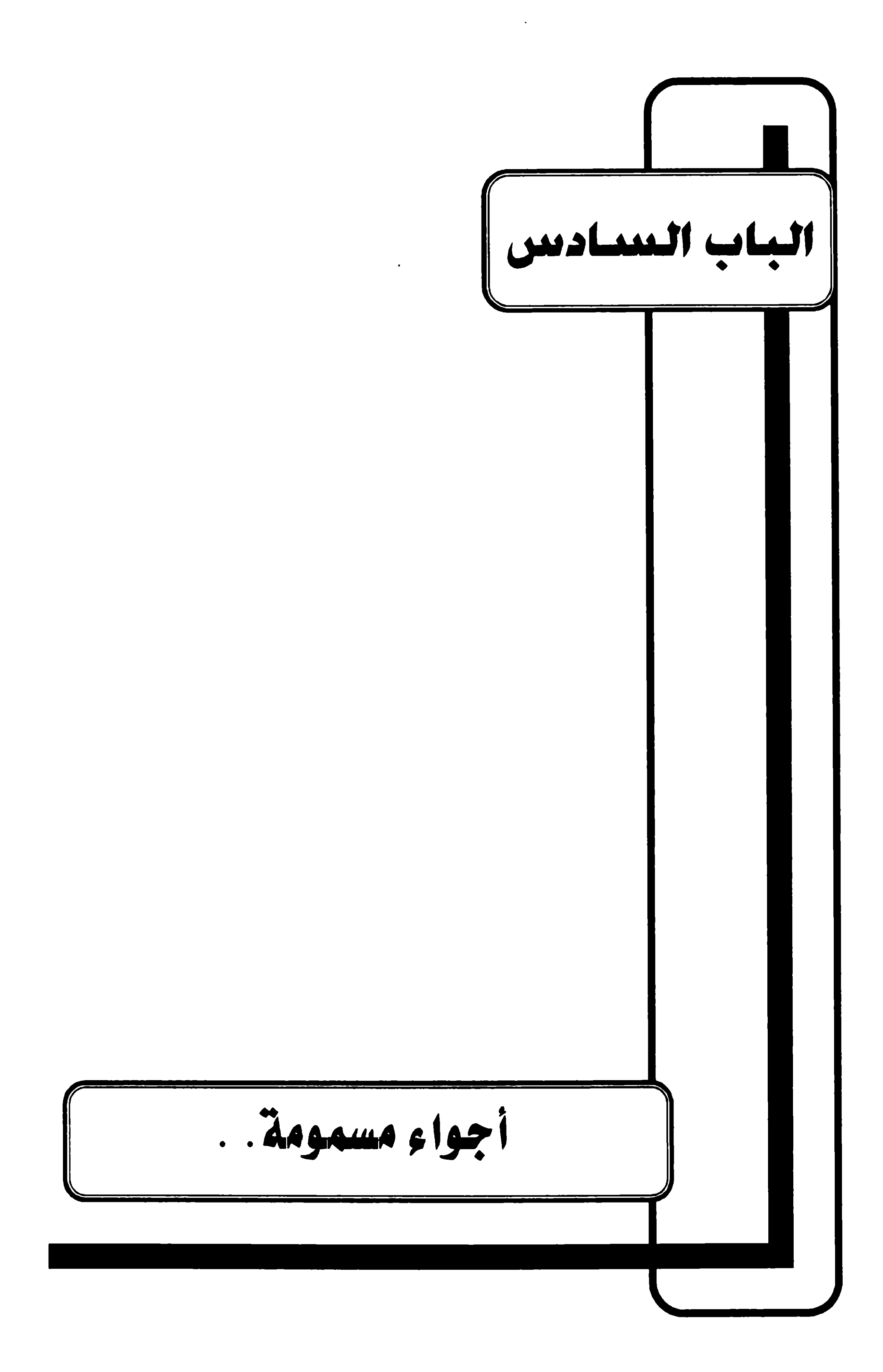
الجزء التاسع





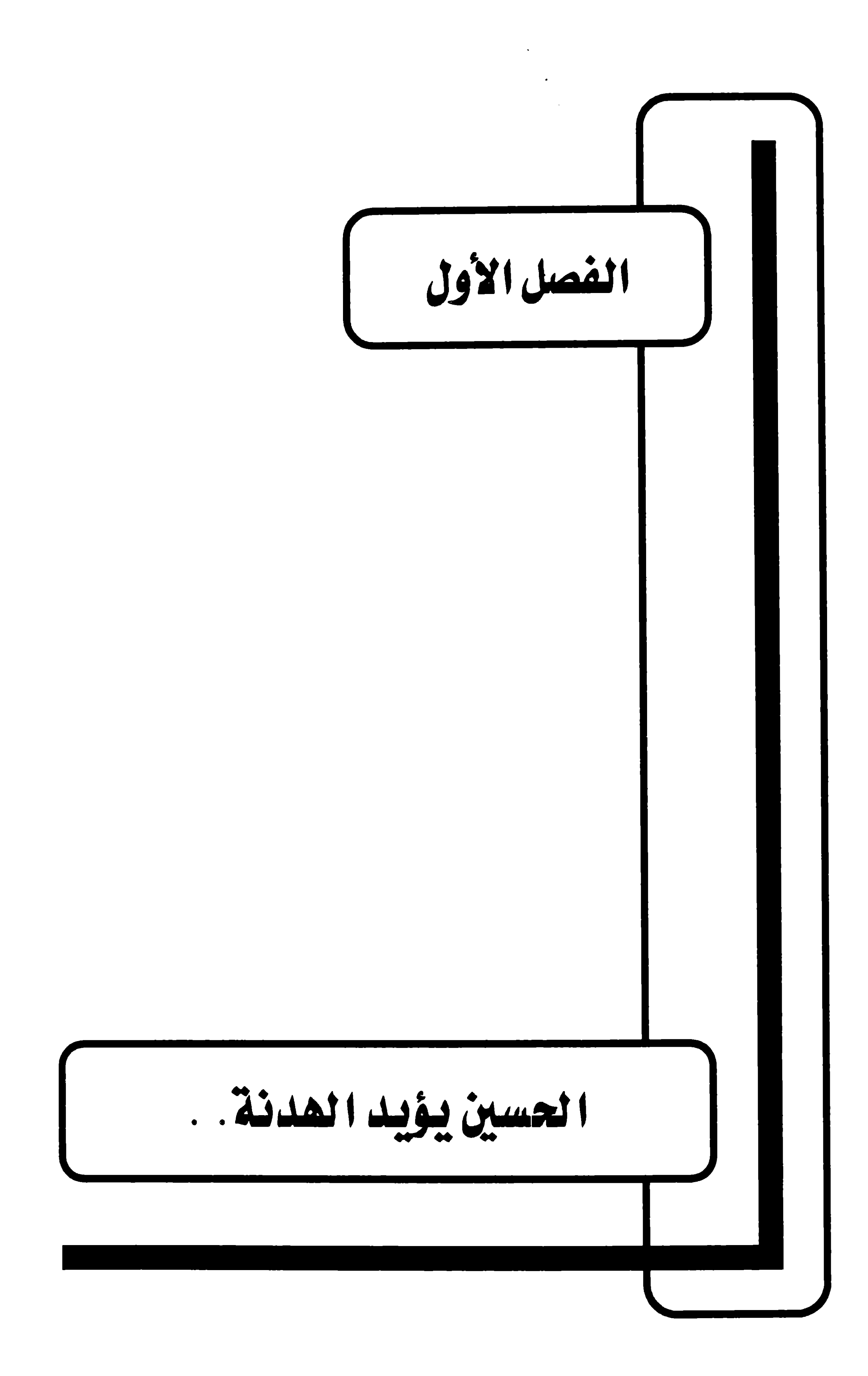
مركز نشر وترجمة مؤلفات العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي


بسم الله الرحمن الرحيم



الباب السادس

أجواء مسمومة..



الفصل الأول

الحسين يؤيد الهدنة . .

من هم المعترضون؟!:

وإذا أردنا أن نذكر من اعترض، وماذا قال، وبماذا أجابه الإمام الحسن «عليه السلام»، بإيجاز واختصار، نقول:

١ ـ الإمام الحسين عليه السلام:

زعموا: أن الإمام الحسين «عليه السلام» لم يكن راضياً عن هذه الهدنة التي عقدها أخوه مع معاوية، وقد قالوا:

ألف: أن الإمام الحسين «عليه السلام» دخل على أخيه باكياً، ثم خرج ضاحكاً، فقال له مواليه: ما هذا؟!

قال: العجب من دخولي على إمام أريد أن أعلمه، فقلت: ماذا دعاك إلى تسليم الخلافة؟!

فقال الذي دعا أباك فيما تقدم.

قال: فطلب معاوية البيعة من الحسين «عليه السلام»، فقال الحسن: يا معاوية لا تكرهه، فإنه لن يبايع أبداً أو يقتل، ولن يقتل حتى يقتل أهل بيته،

ولن يقتل أهل بيته حتى يقتل أهل الشام[١].

وقد تحدثنا عن هذه الرواية في فصل سابق.

ب: قال البلاذري: ثم إن الحسن خلا بأخيه الحسين، فقال (له: يا) هذا إني نظرت في أمري، فوجدتني لا أصل إلى الأمر، حتى تقتل من أهل العراق والشام من لا أحب أن أحتمل دمه، وقد رأيت أن أسلم الأمر إلى معاوية فأشاركه في إحسانه، ويكون عليه إساءته (ظ).

فقال الحسين: أنشدك الله أن تكون أول من عاب أباك وطعن عليه، ورغب عن أمره.

فقال: إني لا (أ) رى ما تقول، ووالله لئن لم تتابعني لأسندتك في الحديد، فلا تزال فيه حتى أفرغ من أمري.

قال: فشأنك.

فقام الحسن خطيباً، فذكر رأيه في الصلح والسلم لما كره من سفك الدماء وإقامة الحرب. فوثب عليه أهل الكوفة، وانتهبوا ماله، وخرقوا سرادقه، وشتموه، وعجّزوه ثم انصرفوا عنه ولحقوا بالكوفة!![٢].

ج: زعموا: «أن الإمام الحسين كان كارهاً لما فعله أخوه، وأنه قال له: أنشدك الله أن تصدق أحدوثة معاوية، وتكذب أحدوثة أبيك».

---

(١) العوالم ج١٦ ص١٧٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٥٧ ومناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج٤ ص٤٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٩٦.

(٢) ترجمة الإمام الحسن من أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج٣ ص٥١.

فقال له الإمام الحسن «عليه السلام»: «أنا أعلم بهذا الأمر منك»[1].

د: وعند ابن أعثم: إن الإمام الحسن خطب في وجوه أصحابه حين صار أهل الشرف إلى معاوية..

وقال في آخر كلامه: فإني مسلم هذا الأمر إلى معاوية.

قال: فقال له أخوه الحسين: يا أخي! أعيذك بالله من هذا!

فقال الحسن: والله لأفعلن ولأسلمن هذا الأمر إلى معاوية[2].

هـ: عن عمرو بن دينار: أن الحسن «عليه السلام» قال لعبد الله بن جعفر: «إني رأيت رأياً أحب أن تتابعني عليه».

قلت: ما هو؟!

قال: رأيت أن أعمد إلى المدينة فأنزلها، وأخلي بين معاوية، وبين هذا الحديث، فقد طالت الفتنة، وسفكت فيها الدماء، وقطعت الأرحام، وعطلت الفروج (وهي الثغور).

فقال ابن جعفر: جزاك الله عن أمة محمد خيراً، وأنا معك.

ثم بعث للحسين «عليه السلام»، فلما مثل بين يديه قال له: أي أخي! إنّي قد رأيت رأياً وإنّي أُحبّ أن تتابعني عليه.

فقال الحسين «عليه السلام»: ما هو؟!

فذكر له رأيه في ذلك، فقال الحسين «عليه السلام»: أُعيذُكَ بِاللهِ أَنْ

---

(1) أسد الغابة (ط دار الكتاب العربي ـ بيروت) ج٢ ص٢٠.

(2) الفتوح لابن أعثم ج٤ ص٢٨٩ ـ ٢٩٠.

تُكَذِّبَ عَلِيّاً في قَبْرِهِ، وَتُصَدِّقَ مُعاوِيَةَ.

فقال له الإمام الحسن «عليه السلام»: والله، ما أردت أمراً إلا خالفتني عليه إلى غيره.

والله، لقد هممت أن أقذفك في بيت، فأطينه عليك، حتى أقضي أمري.

فقال الحسين «عليه السلام»: «أَنْتَ أَكْبَرُ وُلْدِ عَلِيٍّ، وَأَنْتَ خَليفَتُهُ، وَأَمْرُنا لِأَمْرِكَ تَبَعٌ، فَافْعَلْ ما بَدا لَكَ»[١].

ثم ذكر: أن الإمام الحسن «عليه السلام» قام وخطب الناس، وذكر لهم أنه كان أكره الناس لأول هذا الأمر، وأنه أصلح آخره بأداء الحق إلى صاحبه، وذكر أن الله تعالى هو الذي ولَّى معاوية..

وقد قدمنا ذلك، وذكرنا ملاحظاتنا عليه، فلا حاجة إلى الإعادة.

و: ودخل عليه المسيب بن نجبة الفزاري وظبيان بن عمارة التيمي ليودعاه، فقال الحسن: الحمد لله الغالب على أمره، لو أجمع الخلق جميعاً على ألا يكون ما هو كائن ما استطاعوا.

فقال أخوه الحسين «عليه السلام»: لقد كنت كارهاً لما كان، طيب النفس على سبيل أبي حتى عزم عليَّ أخي، فأطعته، وكأنما يجذ أنفي بالمواسي.

فقال المسيب: إنه والله ما يكبر علينا هذا الأمر، إلا أن تضاموا وتنتقصوا،

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٩٣ و (ط دار الفكر سنة ١٤١٥هـ) ج١٣ ص٢٦٧ وترجمة الإمام الحسن من تاريخ مدينة دمشق ص١٧٧ ـ ١٧٨ وتهذيب الكمال ج٦ ص٢٤٧ ـ ٢٤٨ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٦٤ ـ ٢٦٥ وتهذيب التهذيب ج٢ ص٢٥٩.

فأما نحن، فإنهم سيطلبون مودتنا بكل ما قدروا عليه.

فقال الحسين: يا مسيب، نحن نعلم أنك تحبنا.

فقال الحسن «عليه السلام»: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «من أحب قوماً كان معهم».

فعرض له المسيب وظبيان بالرجوع، فقال: ليس [لي] إلى ذلك سبيل[١].

ونقول:

بالنسبة للرواية المتقدمة التي تقول: إن الحسين «عليه السلام» قال لأخيه: أنشدك أن تصدق أحدوثة معاوية نلاحظ:

ألف: أن الإمام الحسين «عليه السلام» كان يعيش الأحداث التي تجري كما يعيشها أخوه الإمام الحسن «عليه السلام»، ويعرف ما يعرفه أخوه، ويتعامل مع ما يجري بنفس المعايير والضوابط الشرعية والعقلية، وما يفرضه الواقع عليه من حفظ النفوس، ودفع الأخطار عن الدين وأهله..

وكان يرى الخيانات التي تحصل، ويعاين عدم استجابة الناس لأخيه، ويرى محاولاتهم قتله، فكيف يمكن أن نتصور أن له رأياً آخر يخالف رأي أخيه؟!

ب: ما هي أحدوثة معاوية التي صدَّقها الإمام الحسن «عليه السلام»؟! وما هي أحدوثة أبيه التي كذبها؟!

ألم يضطر أبوه لمهادنة معاوية يوم صفين إلى حين الإنتهاء من قضية التحكيم بسبب تمرد أصحابه عليه في صفين، وإجباره على إيقاف الحرب،

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص١٦ وأعيان الشيعة ج١٠ ص١٢٥ عن المدائني.

ثم إجباره على التحكيم وعلى جعل عدوه أبي موسى الأشعري حكماً من قِبَله، تحت طائلة تهديد عشرين ألفاً من أصحابه له بالحرب؟!

وهذا بالذات هو ما جرى للإمام الحسن «عليه السلام»، فإنه اضطر لقبول الهدنة تحت وطأة خيانات أصحابه له، حتى ابن عمه عبيد الله بن عباس، والتحاق الألوف من جيشه بمعاوية، ومكاتبة أكثر رؤساء أهل الكوفة لمعاوية يعدونه بتسليم الحسن إليه أو قتله، حين يصبح معاوية قريباً منهم..

فضلاً عن أنه لم يبقَ معه إلا ثلة قليلة لا تقوم بأهل الشام كما تقدم..

ج: هل صحيح: أن الإمام الحسن «عليه السلام» كان أعلم من الإمام الحسين «عليه السلام» بهذا الأمر؟!

وما هي الأمور التي علمها الإمام الحسن، وخفيت على الإمام الحسين؟!

رواية البلاذري:

وفي رواية البلاذري أمور كثيرة تحتاج إلى جواب، مثل:

ألف: ما معنى قول الإمام الحسن «عليه السلام»: فوجدتني لا أصل إلى الأمر، حتى تقتل من أهل العراق والشام الخ.. فهل غايته هي الوصول للحكم والسلطة؟! ألا يجب على الإمام المنصوب من قبل الله تعالى دفع الباغي عليه، والذب عن المقام الذي جعله الله تعالى له؟! وهل هو قد تنازل عن الأمر لمعاوية، أو أنه هادن معاوية؟!

ب: ما معنى قوله «عليه السلام» عن معاوية: فأشاركه في إحسانه ويكون عليه إساءته؟! وأي إحسان سوف يفعله معاوية، غير الإيغال في معصية الله، وظلم عباد الله، وابتزاز أولياء الله حقهم؟!

ج: وهل عقد هدنة مع معاوية فيه عيب على علي «عليها السلام»؟! ألم يهادن علي «عليه السلام» معاوية أيضاً، وهادن النبي مشركي مكة في الحديبية؟! وبأي شيء رغب الإمام الحسن عن أمر أبيه؟!

د: هل يحتاج إسكات الإمام الحسين «عليه السلام» إلى شده بالحديد؟!

هـ: وهل يمكن أن يخالف رأي الحسين رأي أخيه، وهو يرى ما يجري له مع أصحابه؟!

وهل؟! وهل؟! الخ..

رواية عمرو بن دينار:

والرواية الثالثة، التي هي رواية عمرو بن دينار لا تستقيم أيضاً، ويرد عليها وعلى ما سبقها:

أولاً: إن جماعة من الوجوه طلبوا أو كتبوا إلى الإمام الحسين «عليه السلام» بعد استشهاد الإمام الحسن «عليه السلام» يطلبون منه مناجزة معاوية، فرفض طلبهم، وذكر أنه لن يفعل شيئاً ما دام معاوية حياً[1].

وحسب نص الدينوري: «أما أخي فأرجو أن يكون الله قد وفقه، وسدده فيما يأتي، وأما أنا فليس رأيي اليوم ذلك، فالصقوا رحمكم الله بالأرض،

---

(1) الأخبار الطوال ص٢٢١ ـ ٢٢٢ والإمامة والسياسة ص١٦٣ و (تحقيق الزيني) ج١ ص١٤٢ و (تحقيق الشيري) ج١ ص١٨٦ و ١٨٧ وصلح الحسن لآل ياسين ص٣٠٢ وعن تاريخ الخلفاء الراشدين ص١٥١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص١٥٣ وجمهرة خطب العرب ج٢ ص١٦.

واكمنوا في البيوت، واحترسوا من الظنة ما دام معوية حياً، فلن يحدث الله به حدثاً وأنا حي، كتبت إليكم برأيي والسلام»[١].

وهذا القرار ليس لأجل أن معاوية قادرٌ على مواجهة أي تحرك وإفشاله، وتصويره على أنه بغيٌ وظلم، بل لأنه «عليه السلام» يريد الوفاء بالشرط الذي قام عليه عقد الهدنة بين أخيه الإمام الحسن، وبين معاوية، فلا يريد أن يساوي أحد بينهما في معنى الغدر بأن يُقال: كما نقض معاوية الهدنة، فإن الطرف الآخر قد نقضها أيضاً.. فهو يريد إتمام مدة الهدنة لكي تسقط الهدنة بإسقاط البغاة والظالمين لها، ولا يريد أن يسهم في إسقاطها، وإعفائهم من تبعات غدرهم، فيكون قد قدَّم لهم خدمةً مجانية، ويتحمل عنهم جزءاً من وزر خيانتهم.

ثانياً: وحين قال سفيان بن الليل للإمام الحسن «عليه السلام»: يا مذل المؤمنين، وتصدى له الإمام الحسن، وأخبره بأن النبي «صلى الله عليه وآله» رُفع له ملك بني أمية، فشق عليه ذلك، فأنزل الله عليه سورة القدر، ليقول له: إن ليلة القدر خير من ألف شهر من سلطان بني أمية.

قال: فالتفت الحسين إلى أخيه الحسن، فقال: والله لو اجتمع الخلق طراً على أن لا يكون الذي كان إذا ما استطاعوا، ولقد كنت كارهاً لهذا الأمر ولكني لم أحب أن أغضبك.

فإذا كان ما فعله الإمام الحسن «عليه السلام» واقعاً لا محالة، وكان الحسين

---

(١) الأخبار الطوال ص٢٢٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص١٥٣.

«عليه السلام» يعلم ذلك، فلا معنى لمعارضته لأخيه، فإن الأمر الذي لا بد من وقوعه قد يكون مكروهاً، ومؤلماً، ولكن لا بد من التسليم للقضاء..

ثالثاً: ما تنسبه الرواية المتقدمة، من أن الإمام الحسن «عليه السلام» قال لأخيه: «ما أردت أمراً قط إلا خالفتني إلى غيره» لا يمكن قبوله، لأنه يتضمن كذباً صريحاً يستحيل صدوره عن الإمام الحسن «عليه السلام»، فإنه حصر جميع الأمور التي أرادها بما وإلا، وحكم بأن أخاه قد خالفه في كل واحد منها بدون استثناء، وهذا غير معقول.

ولو صح ذلك.. لكثرت الخلافات بينهما، ولسمع الناس في كل يومٍ أصواتهما، ورأوا التنافر بينهما.

رابعاً: كيف يجعلهما النبي «صلى الله عليه وآله» إمامين للأمة سواء قاما أو قعدا، وهما يتناقضان في آرائهما إلى هذا الحد؟! وهل يُعقل أن تتحمل الأمة هذا التناقض منهما، أو أن تتقبله وترضاه، وتسكت عليه؟!

خامساً: رُوي عن الإمام الباقر «عليه السلام» قوله: «ما تكلم الحسين بين يدي الحسن إعظاماً له»[١]، فمن لم يتكلم في محضر أخيه إعظاماً له كيف يقول له أخوه: «ما أردت أمراً إلا خالفتني عليه»؟!.

سادساً: بأي شيءٍ كذّب الإمام الحسن «عليه السلام» علياً في قبره، وبأي شيء صدّق معاوية، فإن ما فعله هو مجرد عقد هدنة ليس فيه تصديق

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٦٩ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣١٩ والعوالم ج١٦ ص١٠٠.

لمعاوية، ولا تكذيب لعلي في شيء، بل هي كما عقد رسول الله «صلى الله عليه وآله» هدنةً مع المشركين، ولم يصدقهم في شيء، وكما هادن عليٌّ معاوية ولم يصدقه في شيء.

سابعاً: هل يحتاج إسكات الحسين إلى أن يوضع في بيت فيُطيَّن عليه؟! ألم يكن يكفي أن يأمره بالسكوت والطاعة، فيطيع؟! وهذا ما حصل بالفعل، كما تدَّعيه هذه الرواية نفسها.

وإذا كان الإمام الحسن «عليه السلام» يبالغ في إظهار محبته في الإسكات، فإن هذه المبالغة تحتاج إلى مبرر، كأن يكون الحسين «عليه السلام» قد أصر على موقفه، وعاند إمامه، ولم يطعه، فاحتاج الإمام إلى المبالغة في ردعه.. وهذا ما لم يحصل من الحسين، فلا مبرر للمبالغة في الردع عن الاعتراض من قبل الإمام الحسن.

ثامناً: إن هذه الرواية تدَّعي: أن الإمام الحسن «عليه السلام» لم يكن قد باشر أي عمل ينتهي إلى عقد الهدنة، وإنما هو قد فكَّر في هذا الأمر حديثاً، ويريد من عبد الله بن جعفر ومن أخيه الحسين «عليه السلام» أن يؤيداه فيه.

لكن آخر الرواية يصرِّح: بأن الإمام الحسن «عليه السلام» بعد هذه الحِدَّة على أخيه قام فأخبر الناس: أنه كان أكره الناس لأول هذا الحديث، وأنه قد أصلح آخره بإرجاع الحق إلى صاحبه، وهو معاوية، ثم خاطب معاوية قائلاً: إن الله قد ولَّاك يا معاوية هذا الحديث.

فمعاوية كان إذن حاضراً، والناس مجتمعون، وقد أخبرهم الإمام الحسن «عليه السلام»: بأنه قد أرجع الحق إلى معاوية معتمداً على قاعدة الجبر الإلهي.

مع أن صدر الحديث يدل على أن الحسن «عليه السلام» كان لا يزال يفكِّر في هذا الأمر، ويجمع له المؤيدين قبل أن يبوح به، وقد أرسل إلى أخيه فأتاه، فلما عرضه عليه ولم يوافقه عليه تهدده..

فكيف نجمع بين هذه المتناقضات، ونحل هذه المشكلات؟!

للتوضيح والبيان:

هناك نصوص أخرى استُفيد منها لإقناع الناس: بأن الإمام الحسين «عليه السلام» كان مخالفاً لموضوع الهدنة التي عقدها أخوه مع معاوية..

وذكرنا بعض ما يدل على عدم صحة هذا الزعم، وبقيت متفرقات يحاول البعض التشبث بها لتقوية هذا الزعم وتسويقه..

وسنأخذ هذه النصوص وسواها، مما سنعالجه إلى آخر هذا الكتاب، من كتابنا: سيرة الإمام الحسين «عليه السلام» الجزء التاسع.

ولكن معالجاتنا لها ستكون مختلفة عما أوردناه في ذلك الكتاب، إلا بالمقدار اليسير الذي يفرض البيان الوافي والكافي الإلماح إليه، فنقول:

الحسين لم يسدد رأي أخيه في الصلح:

١ ـ قال ابن كثير وهو يتحدث عن الحسين «عليه السلام»: «فلما آلت الخلافة إلى أخيه، وأراد أن يصالح شق ذلك عليه، ولم يسدد رأي أخيه في ذلك، بل حثّه على قتل [لعل الصحيح: قتال] أهل الشام».

ثم ذكر: أن الإمام الحسن تهدد أخاه: بأن يسجنه في بيت إلى أن يفرغ

من هذا الشأن.. فسكت الحسين وسلّم[(١)].

٢ ـ روي: أنه «عليه السلام» كان يظهر الكراهة من صلح الحسن مع معاوية، ويقول: «لو جزّ أنفي كان أحب إلي مما فعله أخي»[(٢)].

ونقول:

إن كراهة الحسين لهذه الهدنة لا تعني أن الهدنة كانت خطأ، إذ يمكن أن يكون جزّ الأنف أهون من أمر يضطر إليه دفعاً لشر أعظم وأضرّ منه، وهو أن لا يباد الشيعة حتى لا يبقى للإسلام ناع..

وقد كان علي «عليه السلام» كارهاً للتحكيم الذي فرض عليه في صفين.

وكان جميع الأئمة كارهين لحكومة الطغاة والجبارين من بني أمية، وبني العباس، وغيرهم، وبالأخص معاوية.. ولكن هذه الكراهة لا تعني طغيان الإمام الحسين على أخيه الحسن «عليهما السلام»، وعصيان أوامره، بل هي كراهة للظروف التي أدت إلى ما أدت إليه، بحيث لو كان الإمام الحسين في موقع الإمام الحسن «عليهما السلام» لفعل نفس ما فعله أخوه، كما أن الإمام الحسن كان كارهاً لما يحصل، ولكنه كان مضطّراً لفعله، لأنه يريد أن يدفع به شراً أعظم.. فهو نظير من يبيع بيته بأبخس ثمن لينقذ حياة ابنه.

ويشهد على ما نقول، أمور كثيرة، نذكر منها:

ألف: إن الشيعة في العراق بعد موت الإمام الحسن «عليه السلام»

---

(١) البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص١٦١.

(٢) راجع: أعيان الشيعة ج١ ص٦٣.

كتبوا إلى الإمام الحسين «عليه السلام» بخلع معاوية، والبيعة له. فرفض «عليه السلام» ذلك قائلاً: «إن بينه وبين معاوية عهداً أو عقداً لا يجوز له نقضه حتى تمضي المدة، فإن مات معاوية نظر في ذلك»(١).

ب: في حديث محمد بن بشير، وقوله للإمام الحسن «عليه السلام»: يا مذل المؤمنين. أخبره الإمام بسبب إقدامه على الهدنة، وأنه كان لا بد من إفضاء الأمر إلى معاوية..

فخرج من عنده إلى الإمام الحسين «عليه السلام»، فأخبره بما قاله «عليه السلام»، فقال: صدق أبو محمد، فليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته، ما دام هذا الإنسان [أي معاوية] حياً(٢).

الحلس: حلس البيت، من لم يبرحه، ويبقى ملازماً له..

وكل ما يبسط في البيت تحت حر الثياب والمتاع من مسح ونحوه..

والكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب.

ج: قال الإمام الحسين «عليه السلام» لحجر بن عدي، وعبيدة بن عمرو

---

(١) راجع: الإرشاد للمفيد ج٢ ص٣٢ وروضة الواعظين ص١٧١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٤ والعوالم، الإمام الحسين ص١٧٣ وموسوعة أهل البيت للقرشي ج١١ ص١٤٧ وراجع: الأخبار الطوال ص٢٢٢.

(٢) الأخبار الطوال ص٢٢٠ و ٢٢١ وراجع: الإمامة والسياسة ج١ ص١٥٢ و (تحقيق الزيني) ج١ ص١٤١ و ١٤٢ و (تحقيق الشيري) ج١ ص١٨٦ و ١٨٧ وأنساب الأشراف ج٣ ص٣٦٤ وراجع: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٢٨ والثاقب في المناقب ص٣٢٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٦ ص٥٣١.

حين طلبا منه نقض الصلح، ويوليهما على المقدمة ليغيرا على معاوية وهو غافل ـ قال «عليه السلام» ـ: إنّا قد بايعنا، وعاهدنا، ولا سبيل لنقض بيعتنا[١].

ولعل هذه العبارة محوّرة عن عبارة الإرشاد المتقدمة، حيث قال: «إن بينه وبين معاوية عهداً أو عقداً لا يجوز له نقضه حتى تمضي المدة».

فإن هذا هو المتوافق مع معنى الهدنة، ولا تطلب في عقد الهدنة بيعة.

وقد تقدم: أن هذا ليس صلحاً، فلا حاجة إلى الإعادة.

إلا أن يكون المراد بالبيعة: الإتفاق بين الطرفين، لا بمعناها الشائع المعروف.

وقد قلنا: إن تعبير البيعة شائع في المصادر التي تؤيد معاوية، وتحاول التخفيف من حدة الإشكالات التي توجه إليه.. ويندر جداً ورود هذا التعبير في كلمات الأئمة في المصادر والنصوص التي يرويها أتباع أهل البيت «عليهم السلام» وشيعتهم بأسانيدهم.

د: بعد عقد الهدنة خرج من الشيعة جماعة إلى الإمام الحسن «عليه السلام»، وعرضوا عليه نقضه، فرفض.. فعرضوا ذلك على الإمام الحسين «عليه السلام»، فقال: «قد كان صلح، وكانت بيعة كنت لها كارهاً، فانتظروا ما دام هذا الرجل [معاوية] حياً، فإن يهلك نظرنا ونظرتم»[٢].

ويلاحظ: أنه ليس في هذا النص دلالة صريحة على بيعة الحسنين «عليهما

---

(١) الأخبار الطوال ص٢٠٣ و (ط دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٦٠م) ص٢٢٠ وراجع: أنساب الأشراف (ط دار التعارف سنة ١٣٩٧هـ) ج٣ ص١٥١.
(٢) أنساب الأشراف ج٣ ص٣٤٦ و (ط دار التعارف سنة ١٣٩٧هـ) ج٣ ص١٥٠.

السلام» لمعاوية، بل هو تحدّث عن بيعة حصلت، دون تحديد أطرافها والمشاركين فيها، وزمانها ومكانها.

هـ: قال ابن سعد: وكان أهل الكوفة يكتبون إلى حسين «عليه السلام» يدعونه إلى الخروج إليهم في خلافة معاوية، كل ذلك يأبى[١].

ويلاحظ: أن البيعة لمعاوية إنما حصلت بعد مغادرة الإمام الحسن «عليه السلام» الكوفة إلى المدينة، حيث بادر معاوية إلى أخذ البيعة من أهل الكوفة، تحت طائلة التهديد والوعيد، ثم غادر إلى الشام.

فقد قال الدينوري: «وسار الحسن بالناس من المدائن حتى وافى الكوفة، ووافاه معاوية بها، فالتقيا، فوكد عليه الحسن «رضي الله عنه» تلك الشروط والأيمان.

ثم سار الحسن بأهل بيته حتى وافى مدينة الرسول «صلى الله عليه وآله».

وأخذ معاوية أهل الكوفة بالبيعة، فبايعوا، واستعمل عليهم المغيرة بن شعبة، وسار منصرفاً في جموعه إلى الشام[٢].

وظاهر كلامه هذا: أن معاوية فعل هذا بعد مغادرة الإمام الحسن «عليه السلام» المدينة.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٣٩ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٢٠٥ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج٦ ص٢٦٠٦ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٩٣ والبداية والنهاية ج٨ ص١٦١.

(٢) الأخبار الطوال ص٢١٨.

وحول تهديدات معاوية للناس، وإجبارهم على البيعة، يقول البلاذري عن معاوية: «ثم نادى بأعلى صوته: ألا إن ذمة الله بريئة ممن لم يخرج فيبايع.

ألا وإني طلبت بدم عثمان، قتل الله قاتليه، ورد الأمر إلى أهله، على رغم معاطس أقوام.

ألا وإنا قد أجلنا ثلاثاً، فمن لم يبايع فلا ذمة له ولا أمان له عندنا.

فأقبل الناس يبايعون من كل أوب..».

إلى أن قال: «وولى معاوية عبد الله بن عامر البصرة، والمغيرة بن شعبة الكوفة، ومضى إلى الشام الخ..»(١).

أدب الحسين مع الحسن:

ولا يمكن قبول أن يكون الإمام الحسن «عليه السلام» قد قال لأخيه الإمام الحسين «عليه السلام»: «ما أردت أمراً إلا خالفتني عليه إلى غيره» لعدة أسباب:

أولاً: أننا لم نجد أي مورد طيلة حياة الإمام الحسين «عليه السلام» مع أخيه، أراد فيه الإمام الحسن «عليه السلام» أمراً، ثم خالفه الإمام الحسين عليه.. سوى هذا المورد الذي يحاولون إلصاقه بالإمام «عليه السلام».

ثانياً: عن الإمام الباقر «عليه السلام»: «ما تكلم الحسين بين يدي الحسن

---

(١) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي سنة ١٣٩٧هـ ق) ج٣ ص٤٧.

إعظاماً له»[١].

ثالثاً: عنه «عليه السلام» أيضاً: أن الحسين «عليه السلام» كان إذا حضر الحسن «عليه السلام» لم ينطق في ذلك المجلس حتى يقوم[٢].

رابعاً: عن الإمام الصادق «عليه السلام»: «ما مشى الحسين «عليه السلام» بين يدي الحسن «عليه السلام» قط، ولا بدره بمنطق إذا اجتمعا، تعظيماً له»[٣].

خامساً: إن من الطبيعي: أن يضطر من يواجه طاغية يريد استئصال شأفة أمة من الناس، واجتثاثها من على وجه الأرض، فيدفع شره، وكيده، ومكره.. إن من الطبيعي: أن يتخذ خيارات تناسب أهدافه ومراميه، ولا تخل بالثوابت، ولا تضيع الأهداف، وتحفظ النهج في أصوله وضوابطه العامة، وهذا ما فعله علي «عليه السلام» حين فُرض عليه التحكيم، وفعله ولده الإمام الحسن «عليه السلام» حين فُرضت عليه الهدنة..

ولأجل ذلك نجد: أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد وقف على قبر أخيه الإمام الحسن يوم مات، ورثاه بقوله:

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٦٩ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣١٩ والعوالم ج١٦ ص١٠٠.

(٢) الكافي ج١ ص٢٩١ والوافي ج٢ ص٢٧٤ ومرآة العقول ج٣ ص٢٦٣ والبرهان (تفسير) ج٢ ص٣٣٥ وغاية المرام ج٣ ص٣٢٤.

(٣) مشكاة الأنوار ص١٧٠ و (ط دار الحديث) ص٢٩٥ ومستدرك الوسائل ج٨ ص٣٩٣.

«رحمك الله يا أبا محمّد، إن كنت لتباصر الحقّ مظانّه، وتؤثر الله عند مداحض الباطل في مواطن اليقين [التقية] بحسن الرّوية، وتستشف جليل معاظم الدنيا بعين لها حاقرة، وتقبض [تفيض] يداً طاهرة [طاهرة الأطراف، نقية الأسرّة]، وتردع بادرة أعدائك بأيسر المؤنة عليك، ولا غرو، وأنت ابن سلالة النبوة، ورضيع لبان الحكمة الخ..»(١).

فقد أكد «عليه السلام» في هذا الرثاء: أن هدنة أخيه مع معاوية كانت إيثاراً لطاعته سبحانه، بهدف دحض باطل معاوية، مستفيداً من عنصر التقية، وحسن التفكير العميق، والروية، والدراسة العميقة والدقيقة، لاستخراج أفضل الحلول.

وقد استطاع «عليه السلام» أن يردع بادرة أعدائه بأيسر المؤونة.

وهذا شاهد لا يقاوم على أنه «عليه السلام» ابن سلالة النبوة، ورضيع لبان الحكمة.

سادساً: إن مما يدل على انقياد الإمام الحسين لأخيه «عليهما السلام» ما روي من أن معاوية كتب إلى الحسن بن علي «صلوات الله عليهما»: أن أقدم أنت، والحسين، وأصحاب علي.

---

(١) مختصر تاريخ مدينة دمشق (ط دار الفكر) ج٧ ص٤٦ وإحقاق الحق (الملحقات) ج٢٦ ص٥٩٩ وعيون الأخبار لابن قتيبة ج٢ ص٣١٤ و (ط دار الكتب العلمية) ج٢ ص٣٣٧ و ٣٣٨ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٩٦ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص٢٣٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٥٩٧ وج١٩ ص٤٢٢ وج٢٦ ص٥٩٩.

فخرج معهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، فقدموا الشام، فأذن لهم معاوية، وأعدّ لهم الخطباء، فقال: ياحسن، قم فبايع، فقام وبايع.

ثمّ قال للحسين «عليه السلام»: قم فبايع، فقام فبايع.

ثمّ قال: يا قيس، قم فبايع، فالتفت إلى الحسين «عليه السلام» ينظر ما يأمره.

فقال: يا قيس، إنّه إمامي يعني الحسن «عليه السلام»[١].

فقد رأينا: أنه «عليه السلام» يبرر عدم تدخله في شأن قيس، متجاوزاً أخاه الإمام الحسن «عليه السلام»: بأن الإمام الحسن إمامه، وهذا يحتم عليه مراعاة ذلك، فلا يقدم بين يدي إمامه، ما يعد تجاوزاً لمقامه، كما لا يجوز لأحد أن يقدم بين يدي النبي «صلى الله عليه وآله» رأياً، أو نصيحة، لأنه مستغن بعلمه، وحكمته، وعصمته، وتقواه عن النصائح والآراء.

وقفة مع الرواية الأخيرة:

وفي هذه الرواية التي ذكرناها آنفاً مواضع تحتاج إلى تأمل وتمحيص، فنشير على سبيل الإيجاز إلى ما يلي:

ألف: أشرنا فيما سبق إلى أن الحديث عن البيعة في مورد لا يصح أن يعتبر صلحاً.. بل هو مجرد هدنة، وتخلٍّ عن الحرب في غير محله.

---

(١) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج١ ص١٧٦ و (نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج١ ص٣٢٥ ح١٧٦ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٦١ ح٩ والعوالم ج١٦ ص١٤٩ ح٧ والدرجات الرفيعة ص٣٤٨.

ومن المعلوم: أن الهدنة هي مجرد اتفاق يخضع لشروط، ويحتاج إلى تحديد مدة.. إن هذا الحديث غير سديد.

ب: تقدم معنا: أن معاوية أراد أن يُكره الإمام الحسين «عليه السلام» على البيعة، فنهاه الإمام الحسن «عليه السلام» عن ذلك، لأنه لن يبايع، وسوف تتفاقم الأمور إلى حد قد يسقط معه المئات أو الآلاف من القتلى. فسكت عنه.

وتقدم: أن بسر بن أبي أرطاة، قال: إن عبيدالله بن عباس بايع، وإن الإمام الحسن صالح، ولم يذكر: أنه بايع.

وهذا يدل على أن مرادهم بالصلح: عدم الحرب، لا الصلح الذي تصاحبه بيعة.

ج: ولو فرضنا أن ما يذكره أهل السنة يقصد به البيعة بالمعنى المعروف، فإن ذلك لا قيمة له، لأنها بيعة إكراه، وهي باطلة شرعاً..

تسليم الخلافة:

تقدم قولهم: إن الحسين «عليه السلام» قال لأخيه الحسن: ماذا دعاك إلى تسليم الخلافة؟! فقال: الذي دعا أباك فيما تقدم[1].

ونقول:

إن هذا السؤال من الإمام الحسين لأخيه «عليهما السلام» مخالف لما تقدم،

---

(١) العوالم ج١٦ ص١٧٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٥٧ ومناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج٤ ص٤٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٩٦ والفتوح لابن أعثم ج٤ ص٢٩٢.

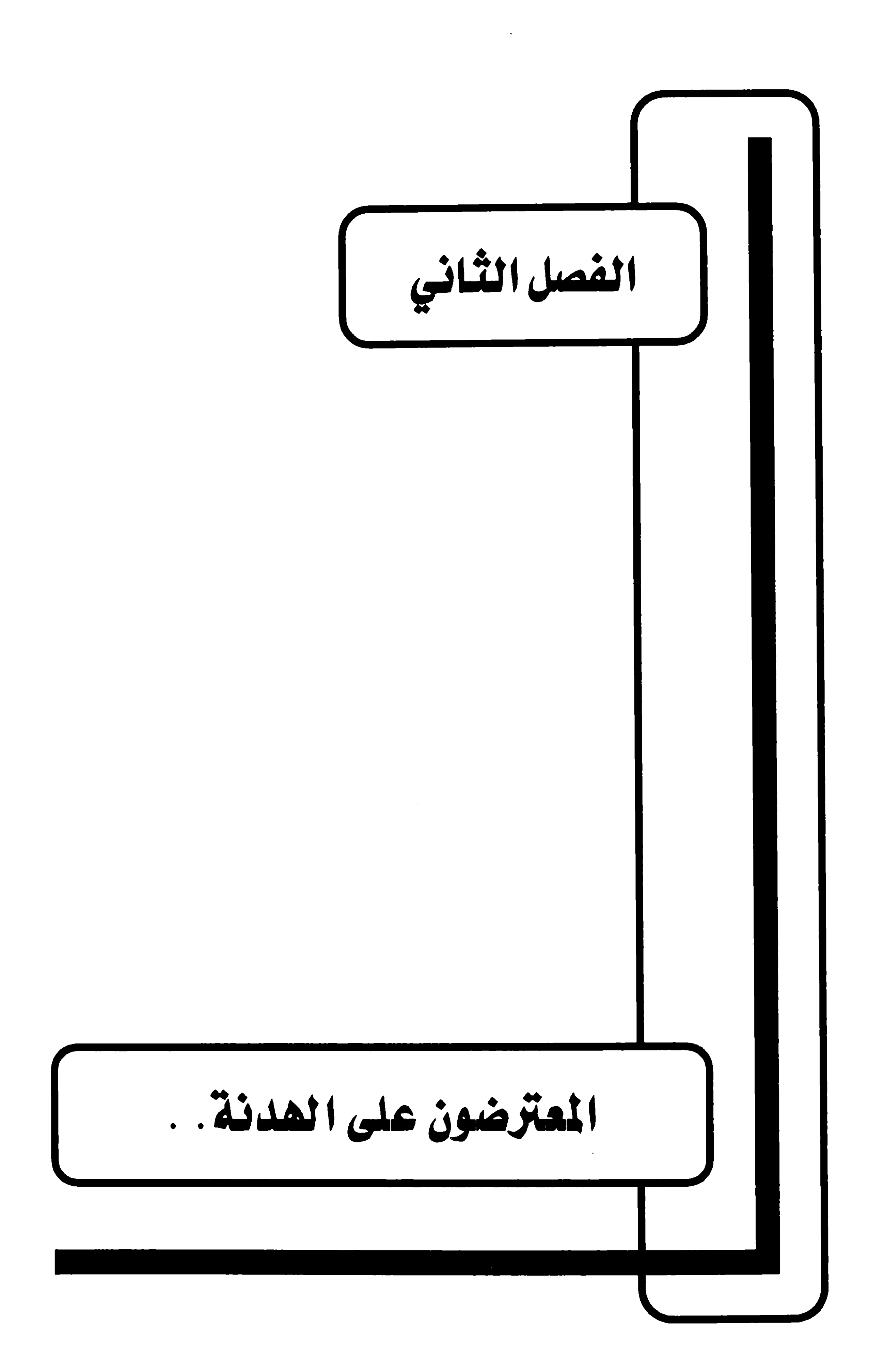
من أنه إنما سلم لمعاوية الأمر، ولم يجعل له خلافة ولا ولاية على الناس.

فالظاهر: أن الإمام الحسين «عليه السلام» كان في سؤاله هذا ينقل لأخيه ما يقوله الناس، ولاسيما أتباع معاوية، وأهل الأهواء، بهدف أن يبطل زعمهم: أن الإمام الحسن كان مسالماً، أما الحسين، فكان دموياً كأبيه.. ولذا سلم الإمام الحسن «عليه السلام» الخلافة لمعاوية طائعاً راغباً، من دون أي إكراه، أو إلجاء، أو اضطرار.

يؤكد ذلك: قولهم: إن الحسن «عليه السلام» قال: «كانت جماجم العرب بيدي إلخ..»[1].. فإذا سمع الناس الجواب من نفس الإمام الحسن «عليه السلام»، انقطعت حجة المدَّعين للباطل.

---

(١) كشف الغمة ج٢ ص٣٨٢ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص١٨٩ و ١٤٦ و ١٥٢ و ١٦٩ عن حلية الأولياء ج٢ ص٣٧ والعوالم ج١٦ ص١٩١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٥ و ١٦ و ٢٥ عن محمد بن بحر الشيباني، والذرية الطاهرة للدولابي ص١٠٤ وعلل الشرايع ص٢٠٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص٢١٩ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٣٣٥ والمستدرك للحاكم ج٣ ص١٧٠ وإمتاع الأسماع ج١٢ ص٢٠٦ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٩٤ و (ط دار الفكر سنة ١٤١٥هـ) ج١٣ ص٢٨٠ و ٢٨١ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٧٤ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص٤٦ وأنساب الأشراف ج٣ ص٤٩ وتهذيب التهذيب ج٢ ص٢٦٠ وتاريخ الخلفاء ص٢١٠ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ٣٣٠ و ٣٣١ و (ط سنة ١٤٠٠هـ) ص٢٠٥ و ٢٠٦ وترجمة الإمام الحسن من طبقات ابن سعد ص١٣٢ و (ط مؤسسة آل البيت سنة ١٤١٦هـ) ص٧٥ وتهذيب الكمال ج٦ ص٢٥٠.



الفصل الثاني

المعترضون على الهدنة . .

بداية

١ ـ ذكرنا فيما سبق موقف قيس بن سعد، وكيف انتهى الأمر بينه وبين معاوية.. لكن قيساً الذي كان يقارع معاوية، ويظهر له الغيظ والشدة، قد بقي مع الإمامين الحسن والحسين «عليهما السلام» ملتزماً حدود الأدب والطاعة والرضا، والخضوع لقراراتهما، وتلبية مطالبهما «عليهما السلام»، ولم تصدر عنه أيَّة كلمة أو حركة يمكن أن يفهم أنها تجاوزت الحدود التي يفترض بالمؤمن أن لا يتجاوزها مع إمامه..

وهذا يدل على أنه «رحمه الله» كان على درجة كبيرة من الوعي لطبيعة وحدود وضوابط التعامل مع مقام الإمامة والإمام، وهو ملتزم بهذه الضوابط والحدود.

٢ ـ إن هذا الأمر هو الذي يميز موقف قيس الذي عاش عهد النبوة والإمامة منذ بدأ الله ورسوله ببيان موقع هذه المقامات، وقيمتها، وآفاقها، ومهماتها، وطرائق التعامل معها، وطبيعة النظرة إليها..

ولعل هذا المستوى من الوعي لهذه القضية المحورية للإسلام لم يصل إليه الكثيرون ممن عاشوا بمحيط آخر معظم حياتهم، يختلف جذرياً عن محيط

النبوة والإمامة.. ولكنهم يملكون الكثير من الحب والوفاء، والإخلاص، والتفاني، والصدق مع أهل البيت، والحرص على إنجاح قضاياهم من أمثال حجر بن عدي وآخرين..

٣ ـ وقد رأينا: أن هؤلاء قد سجَّلوا اعتراضات على موضوع الهدنة، مع ظهور صدق وحرص ولهفة كثير منهم على إنجاح أهداف الإمام الحسن «عليه السلام»، وقد رأينا حدة ظاهرة في كلمات المعترضين، وخروجاً عن المألوف، بل رأينا في بعضها جرأة غير مبررة، فكيف نفسر ذلك.. لاسيما وأن بعض هذا المنقول، قد نسب إلى حجر بن عدي، وأمثاله من المخلصين في ولائهم، وحبهم لأهل البيت «عليهم السلام»، ولا نتحدث عن جرأة المنحرفين عنهم كالخوارج، ولا عن جرأة أهل الأطماع، وطلاب اللبانات..

٤ ـ ونحن في مقام التمهيد للإجابة على هذا السؤال نسجل ملاحظة مفادها:

أن جميع ما نقل من هذه الإعتراضات، قد حصل بعد قدوم معاوية إلى الكوفة، واجتماعه بالإمام الحسن «عليه السلام»[1].

وقيل: اجتمع به في النخيلة[2].

بل بعض ما ذكر من ذلك قد حصل في المدينة بعد سنتين من عقد الهدنة

---

(١) الأخبار الطوال ص٢٢٨.

(٢) الغارات للثقفي ج٢ ص٦٤٤ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٦٦.

كما سنرى، أي بعد إعلان معاوية أن كل شرط أعطاه للإمام الحسن، فهو تحت قدميه لا يفي به.

وهذا إنما حصل حين وصل معاوية إلى النخيلة قرب الكوفة، وبعد إعلانه هذا دخل الكوفة، وأخذ البيعة من أهلها ثم خطب الناس، ونال من علي والحسن «عليهما السلام».

وإنما اجتمع الإمام الحسن ومعاوية في الكوفة، بعد الإتفاق على الهدنة، الذي حصل في مسكن قبل ذلك، وقيل في غيرها.. فاعتراض المعترضين، إنما هو على إصرار الإمام الحسن «عليه السلام» على الوفاء بعقد الهدنة، بالرغم من إعلان معاوية نقضه لشروطها، وسيأتي المزيد من التوضيح لهذا الأمر..

١ ـ حجر بن عدي:

٢ ـ المسيب بن نجبة:

١ ـ قال ابن شهرآشوب: «قال المسيب بن نجبة الفزاري، وسليمان بن صرد الخزاعي للحسن بن علي «عليهما السلام»: ما ينقضي تعجبنا منك، بايعت معاوية، ومعك أربعون ألف مقاتلٍ من الكوفة، سوى أهل البصرة والحجاز؟!

[وعند ابن أبي الحديد: ولم تأخذ لنفسك وثيقة، وعقداً ظاهراً، أعطاك أمراً فيما بينك وبينه، ثم قال ما قد سمعت، والله ما أراد بها غيرك][1].

فقال الحسن «عليه السلام»: قد كان ذلك فما ترى الآن؟!

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص١٥.

فقال: والله أرى أن ترجع، لأنه نقض العهد.

فقال: يا مسيب، إن الغدر لا خير فيه، ولو أردت لما فعلت[١].

٢ ـ [وعند ابن أبي الحديد: أني لو أردت بما فعلت الدنيا، لم يكن معاوية بأصبر عند اللقاء، ولا أثبت عند الحرب مني، ولكني أردت صلاحكم، وكف بعضكم عن بعض][٢].

فقال حجر بن عدي: أما والله، لوددت أنك مت في ذلك اليوم ومتنا معك، ولم نر هذا اليوم.. فإنّا رجعنا راغمين بما كرهنا، ورجعوا مسرورين بما أحبوا.

فلما خلا به الحسن قال: قد سمعت كلامك في مجلس معاوية، وليس كل إنسان يحب ما تحب، ولا رأيه كرأيك، وإني لم أفعل ما فعلت إلا إبقاءً عليكم.. والله تعالى كل يوم هو في شأن[٣].

عدي بن حاتم:

قال الشيخ باقر شريف القرشي

(١) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٩٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٥٧ ونور الثقلين (تفسير) ج٥ ص١٩٣ وكنز الدقائق (تفسير) ج١٢ ص٥٧٤.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص١٥.

(٣) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج٤ ص٤١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٩٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٥٧ عنه، ونور الثقلين (تفسير) ج٥ ص١٩٣ وكنز الدقائق (تفسير) ج١٢ ص٥٧٤ وراجع: الدرجات الرفيعة ص٤٢٥.

٣ ـ قال عدي بن حاتم للإمام الحسن «عليه السلام»: «يا ابن رسول الله، لوددت أني مت قبل ما رأيت، أخرجتنا من العدل إلى الجور، فتركنا الحق الذي كنا عليه، ودخلنا في الباطل الذي كنا نهرب منه، وأعطينا الدنية من أنفسنا، وقبلنا الخسيسة التي لم تلق بنا.

فقال «عليه السلام»: يا عدي، إني رأيت هوى معظم الناس في الصلح، وكرهوا الحرب، فلم أحب أن أحملهم على ما يكرهون، فرأيت دفع هذه الحروب إلى يومٍ ما، فإن الله كل يومٍ هو في شأن.

فمضى عدي إلى الإمام الحسين «عليه السلام» ومعه عبيدة بن عمر، فقال له: يا أبا عبد الله شريتم الذل بالعز، وقبلتم القليل، وتركتم الكثير، أطعنا اليوم واعصنا الدهر..

دع الحسن، وما رأى من هذا الصلح، واجمع إليك شيعتك من أهل الكوفة وغيرها، وولني وصاحبي هذا المقدمة، فلا يشعر ابن هند إلا ونحن نقارعه بالسيوف.

فقال «عليه السلام»: «إنَّا قد بايعنا، وعاهدنا، ولا سبيل لنقض بيعتنا»[1].

وقد اشتبه الأمر هنا على العلامة القرشي «رحمه الله»، فإنه نقل هذا الحديث عن الدينوري في الأخبار الطوال، فراجعناه، فوجدنا: أن هذا النص يتحدث

---

(١) حياة الإمام الحسن للقرشي ج٢ ص١١٦ عن الأخبار الطوال ص ٢٠٣ و (ط دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٦٠م) ص٢٢٠.

عن حجر بن عدي، لا عن عدي بن حاتم[١].

٢ ـ مالك بن ضمرة:

وقد كلَّم مالك بن ضمرة الإمام بكلام شديد، فأجابه الإمام «عليه السلام»: «يا مالك، لا تقل ذلك، إنِّي لما رأيت الناس تركوا ذلك خشيت أن يُجتث المسلمون عن وجه الأرض، فأردت أن يكون للدين ناعٍ»[٢].

وقبل أن نتابع ذكر المعترضين على الهدنة، ونصوص ما جرى بينهم وبين الإمام الحسن «عليه السلام» نحب أن نتوقف عند هذه الحزمة من النصوص لننقحها، ونشير إلى بعض مراميها، فنقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمة العديد من الوقفات، وهي كما يلي:

مؤاخذات المسيب بن نجبة:

وتتلخص مؤاخذات المسيب بن نجبة بما يلي:

١ ـ المؤاخذة الأولى: أن الإمام الحسن «عليه السلام» بايع معاوية، ومعه أربعون ألفاً من أهل الكوفة، سوى أهل البصرة والحجاز.

وهذا كلامٌ غير دقيق، ويبدو لنا: أن المسيب قد حفظ شيئاً، وغابت عنه أشياء.. وربما كان سبب ذلك: أنه لم يكن مع الإمام الحسن في جميع الأوقات، ولم ير ما جرى معه وعليه من أصحابه، فهل كان مع قيس بن

---

(١) الأخبار الطوال ص٢٢٠.

(٢) تقدمت مصادر ذلك. وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص١٠٣.

سعد في جملة المقدمة التي واجهت معاوية، وحصرته في مسكن؟! أو كان في مهمات أخرى؟! لا ندري.

غير أننا نعلم: أن الأربعين ألفًا قد تبخروا، حين علموا أن معاوية قد قصدهم بستين ألفًا، ولم يجبه «عليه السلام» منهم أحد، وبعد اللتيا والتي التحق به منهم أربعة آلاف، بعد انتظار منه لهم طال عشرة أيام، كما أن الإثني عشر ألفاً الذين أرسلهم مع عبيد الله بن عباس مقدمة له لتصدَّ معاوية عن التوغل في البلاد، التجأ منهم ثمانية آلاف إلى معاوية، كما أنه أرسل عدة قادة لمواجهة معاوية، ومعهم ألوف، فالتحقوا بمعاوية.

وحتى الذين بقوا مع قيس بن سعد من جند المقدمة، فإن قيساً قال لهم: «أيها الناس، اختاروا الدخول في طاعة إمام ضلالة أو القتال من غير إمام.

فقال بعضهم: بل نختار الدخول في طاعة إمام ضلالة.

فبايعوا معاوية، وانصرف قيس في من تبعه[١].

٢ ـ تقدم: أن الحديث عن بيعة الإمام الحسن «عليه السلام» لمعاوية إنما تكفلت به المصادر التي تسعى للحفاظ على ماء وجه معاوية، والتستر على قبائحه، وتريد أن تقتنص له مبرراً لبوائقه، ولو على حساب أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة.

ولكننا لا نجد في كلمات أهل البيت، التي رواها عنهم شيعتهم، سوى الحديث عن الهدنة، وترك الحرب، بانتظار تغير الأوضاع..

---

(١) الكامل في التاريخ ج٣ ص٢٠٤.

ويدل على ذلك: قول الإمام الحسن «عليه السلام» لحجر بن عدي: «فرأيت دفع هذه الحروب إلى يومٍ ما، فإن الله كل يومٍ هو في شأن». كما تقدم آنفاً.

٣ ـ المؤاخذة الثانية: إنه «عليه السلام» لم يأخذ لنفسه وثيقةً وعهداً ظاهراً، بل أعطاه أمراً فيما بينه وبينه..

غير أننا نقول:

قد تقدمت الشروط التي وضعها الإمام الحسن على معاوية، فقد كان من بينها: «أن لا يبغي للحسن بن علي، ولا لأخيه الحسين، ولا لأحد من أهل بيت رسول الله غائلة، سراً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم في أفقٍ من الآفاق».

وشرط عليه أيضاً: أن يؤمن الشيعة، ولا يطالب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان في أيام أبيه.

بالإضافة إلى شروط كثيرة أخرى اشترطها الإمام الحسن على معاوية، كتبت، وسجِّلت، وشهد عليها الشهود، وقد شاعت تلك الشروط وذاعت، وتناقلها الناس، وسجَّلها العلماء في كتبهم، فلم يبق الأمر سراً بين الحسن ومعاوية، كما تدَّعي الرواية.

٤ ـ قول المسيب: «ثم قال ما قد سمعت» يدل على أن الإمام الحسن «عليه السلام» كان حاضراً في النخيلة حين أعلن معاوية نقض شروط الإمامة، وأنها تحت قدميه لا يفي بها..

غير أننا نقول:

لقد أراد المسيب أن يجعل من نقض معاوية للشروط مبرراً لنقض الإمام الحسن «عليه السلام» لها، والعودة إلى الحرب.

وهذا ما رفضه الإمام الحسن والحسين، واعتبراه غدراً غير مقبول.

٥ ـ ويدل قول الإمام لحجر حين اختلى به: قد سمعت كلامك في مجلس معاوية على أن الإمام الحسن كان حاضراً حين نقض معاوية شروط الهدنة.

٦ ـ كما أن كلام حجر والمسيب يدلان على أن هذا النقض هو الذي أثار حفيظتهم، وجرح مشاعرهم، وجعلهم يشعرون بالغبن، فأرادوا أن يثأروا لكرامتهم، ويعاقبوا معاوية على هذا الإستهتار بهم، والتجني عليهم.

فأفهمهم الإمام «عليه السلام»:

أولاً: أن نقض معاوية للشروط يجعل معاوية غادراً، والتزام الإمام بالعهد حتى مع نقض معاوية يجعل الإمام وفياً وصادقاً. وهذه هي شيمته، وهو ما يريده الله تعالى له وللمؤمنين..

ثانياً: لو أنه «عليه السلام» أراد بالهدنة الدنيا.. فإن الدنيا التي يريدها ليست هي الرغبة بالحياة، والخوف من الموت.. بل الدنيا التي يريدها هي حياة الناس، ودرء الموت عنهم بلا فائدة ولا عائدة، سوى الإنقياد للمشاعر، والخضوع لوطأة الشعور بالمغلوبية والضعف أمام جبروت الظالمين والجائرين.

وهذا لا يستحق هذه التضحية، إن لم تثمر السقوط والهوان والذل لأولئك الجبارين.. ولذا قال «عليه السلام»: «لو أردت بما فعلت الدنيا لم يكن معاوية بأصبر مني عند اللقاء، ولا أثبت عند الحرب، ولكن أردت صلاحكم، وكف بعضكم عن بعض».

ثالثاً: بالنسبة لقول حجر: «لوددت أنك مت ومتنا معك» نلاحظ:

أن الدينوري ذكر: أن حجراً لم يقل ذلك للإمام الحسن«عليه السلام»، فقد قال: «قالوا: وكان أول من لقي الحسن بن علي «رضي الله عنه»، فندَّمه على ما صنع، ودعاه إلى رد الحرب حجر بن عدي، فقال له: يا ابن رسول الله، لوددت أني مت قبل ما رأيت، أخرجتنا من العدل إلى الجور».

وهذا يعني: أنه «رحمه الله» قد تمنى الموت لنفسه فقط، ولم يذكر الإمام الحسن «عليه السلام» بشيء..

رابعاً: أشار «عليه السلام» في كلامه لحجر إلى تشتت آراء الناس، واختلاف أهوائهم، الأمر الذي يمنع من الإعتماد عليهم فيما اختلفوا فيه، ولاسيما إذا كان أمراً يرتبط بحياة الناس، ومستقبلهم، ومصيرهم.

والمشاعر الجياشة، والإنفعالات الشخصية لدى فريق من الناس، لا تبرر المجازفة، وركوب الأخطار، استجابة لتلك المشاعر والإنفعالات.. إن لم يكن بريق أمل، وفرصة سانحة، وبشائر نصر لائحة.

حوار حجر مع الحسن والحسين عليهما السلام:

وعن الحوار الذي تقدم عن الأخبار الطوال: أنه جرى بين حجر، والإمام الحسن «عليه السلام» نقول:

١ ـ من الواضح: أن الهدنة ومتاركة الحرب ليس فيها إدخال في باطل، ولا إخراج من حق، كما أنها ليس فيها إعطاء الدنيَّة، ولا القبول بالخسيس، لأن الهدنة تبقي حالة التكافؤ قائمة، فكيف إذا اشتملت على شروط كثيرة، تصادم فكر وأطروحة، ونهج، وطبع، وسلوك، وقناعات الطرف الآخر،

وتسقط دعاواه، وتزيح القناع عن وجهه الحقيقي، لتظهر بشاعته، وقبحه الذي لا يطاق؟!

٢ ـ ثم أشار «عليه السلام»: إلى أن أكثر الناس لا يريدون الحرب.

وهذا يعطي:

أولاً: إن إكراههم على خوضها، وتحمل أعبائها ليس أمراً منطقياً، إذ لا شيء يطمئن إلى استمرارهم إلى النهاية، التي تحقق الأهداف من الحرب، كما أشرنا إليه سابقاً.

ثانياً: إن إكراه الناس على الدخول في حرب ضروس، تأكل الأخضر واليابس، لا يرضاه الشارع الحكيم، ولا يقره الوجدان، لأن من يدخل الحرب مكرهاً لا يتحقق منه قصد القربة، ولا الإخلاص في العمل، فإن أصيب لا يكون شهيداً، بل هو مجرد قتيل، ليس فقط لا يثاب، وإنما هو يحاسب ويعاتب، وربما يعاقب أيضاً، فيكون قد خسر الدنيا، ولم يربح الآخرة.

٣ ـ قوله «عليه السلام»: «رأيت دفع هذه الحروب إلى يوم مَّا»، يؤيد ما ذكرناه، من أن ما جرى كان هدنة لها أجل، ولم يكن صلحاً..

ويشهد لذلك قوله: فإن الله كل يوم هو في شأن، فإنها عبارة تشير إلى أن الظروف تتبدل، ولكل ظرف مقتضياته، وأحكامه..

٤ ـ ورفض الإمام الحسين «عليه السلام» الإستجابة لطلب حجر بالتصدي لحرب معاوية، وإصراره على عدم تجاوز الإمام الحسن «عليه السلام» يؤكد حقيقة: أن رأيه موافق لرأي إمامه وأخيه.. لاسيما وأن ما يطلبه منه

حجر ليس منطقياً، وسيثير مشكلات وتعقيدات، وسيحدث بلبلة واضطراباً، واختلافاً بين الناس بلا مبرر.

٥ ـ لكن يستوقفنا قول الإمام الحسين «عليه السلام»: «إننا قد بايعنا، وعاهدنا، ولا سبيل لنقض بيعتنا». فقد ذكرنا: أن التعبير بالبيعة غريب عن منطق أهل البيت «عليهم السلام»، لأن ما حدث هو هدنة، وهي لا تحتاج، ولا يطلب فيها بيعة..

فإن صح أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد استفاد من هذا التعبير، فربما كان على سبيل التوسع في الإطلاق، أو لغير ذلك من أسباب.

خشيت أن تجتثوا عن وجه الأرض:

وقد بيَّن «عليه السلام» لمالك بن ضمرة: أنه «عليه السلام» لو لم يهادن معاوية لاجتثّ المؤمنون عن وجه الأرض، حتى لا يبقى للدين من ينعاه.

لأنه كان يعرف ما تنطوي عليه نفوس مناوئيهم، ويعرف ما يفكرون به، وما يخططون له.. وقد فوَّت «عليه السلام» على أولئك الأشرار فرصة تحقيق أهدافهم، وتنفيذ خططهم.

٤ ـ علي بن محمد بن بشير الهمداني:

وقال علي بن محمد بن بشير الهمداني: إنه دخل هو وسفيان بن ليلى على الإمام الحسن «عليه السلام» في المدينة، وعنده المسيب بن نجبة، وعبد الله بن الودّاك التميمي، وسراج بن مالك الخثعمي، فقال له ابن بشير: السلام عليك يا مذل المؤمنين.

قال: وعليك السلام، إجلس، لست مذل المؤمنين، ولكني معزّهم..

ما أردت بمصالحتي معاوية إلا أن أدفع عنكم القتل، عند ما رأيت من تباطؤ أصحابي عن الحرب، ونكولهم عن القتال، ووالله لئن سرنا إليه بالجبال والشجر ما كان بدّ من إفضاء هذا الأمر إليه.

قال: ثم خرجنا من عنده، ودخلنا على الحسين، فأخبرناه بها ردّ علينا، فقال: صدق أبو محمد، فليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته ما دام هذا الإنسان حياً(١).

والحلس: الحريص الملازم، والذي لا يبرح البيت.

٥ ـ سفيان بن ليلى:

قال سبط ابن الجوزي: إن أبا عامر ابن سفيان بن ليلى الخارجي، نادى الإمام الحسن: يا مذل المؤمنين.

وفي رواية هشام: ومسود وجوه المؤمنين.

فقال له: ويحك أيها الخارجي، لا تعنفني، فإن الذي أحوجني إلى ما فعلت قتلكم أبي، وطعنكم إياي، وانتهابكم متاعي..

وإنكم لما سرتم إلى صفين كان دينكم أمام دنياكم، وأصبحتم اليوم، ودنياكم أمام دينكم..

ويحك أيها الخارجي، إني رأيت أهل الكوفة قوماً لا يوثق بهم، وما اغترَّ بهم إلا من ذل، ليس أحد منهم يوافق رأي الآخر، ولقد لقي أبي منهم أموراً صعبة، وشدائد مرة.

---

(١) الأخبار الطوال ص ٢٢٠ ـ ٢٢١.

وهي أسرع البلاد خراباً، وأهلها هم الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً.

وفي رواية: أن الخارجي لما قال له: يا مذل المؤمنين، قال: ما أذللتهم، ولكن كرهت أن أفنيهم، وأستأصل شأفتهم لأجل الدنيا[١].

وفي رواية أبي الغريف: أن سفيان بن ليلى، أو سفيان بن الليل قال للإمام: السلام عليك يا مذل المؤمنين.

قال: فقال: لا تقل ذاك يا أبا عامر، لست بمذل المؤمنين، ولكني كرهت أن أقتلكم على الملك[٢].

عن الإمام الباقر «عليه السلام» قال ما ملخصه:

إن رجلاً من أصحاب الحسن «عليه السلام» يقال له: سفيان بن أبي ليلى جاء إلى الإمام، فقال: السلام عليك يا مذل المؤمنين.

فقال «عليه السلام»: إنزل ولا تعجل.

فنزل، فقال له الإمام «عليه السلام»: ما قلت؟!

قال قلت: السلام عليك يا مذل المؤمنين.

---

(١) تذكرة الخواص (ط الحيدرية في النجف) ص١٩٩.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص ١٠٣ و (ط دار الفكر) ج١٣ ص٢٧٩ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص٢٠٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص١٦ ذكر ما يدل على ذلك، وعن تاريخ بغداد ج١٠ ص٣٠٥ ومقاتل الطالبيين (ط المكتبة الحيدرية) ص٤٤ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٧٢ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص٦ وتاريخ الخلفاء ص٢١٠ والصواعق المحرقة ص١٣٧.

قال: وما علمك بذلك؟!

قال: عمدت إلى أمر الأمة، فخلعته من عنقك وقلدته هذا الطاغية يحكم بغير ما أنزل الله.

[وفي رواية الشعبي: فقال: ما جرّ هذا منك إلينا؟!

فقلت: أنت ـ والله ـ بأبي وأمي، أذللت رقابنا حين أعطيت هذا الطاغية البيعة، وسلمت الأمر إلى اللعين، ابن اللعين، ابن آكلة الأكباد، ومعك مئة ألف كلهم يموت دونك، وقد جمع الله لك أمر الناس.

فقال: يا سفيان، إنَّا أهل بيت إذا علمنا الحق تمسكنا به].

فقال له الحسن «عليه السلام»: سأخبرك لِمَ فعلت ذلك.

قال: سمعت أبي «عليه السلام» يقول: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لن تذهب الأيام والليالي حتى يلي أمر هذه الأمة رجل واسع البلعوم، رحب الصدر، يأكل ولا يشبع، وهو معاوية، فلذلك فعلت.

[وفي رواية الشعبي: لا تذهب الليالي والأيام حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل، واسع السرم، ضخم البلعوم، يأكل ولا يشبع، لا ينظر الله إليه، ولا يموت حتى لا يكون له في السماء عاذر، ولا في الأرض ناصر.. وإنه لمعاوية. وإني عرفت أن الله بالغ أمره].

ما جاء بك يا سفيان؟!

قال: حبك.

قال: الله، الله!!

وعند الشعبي: فأبشر يا سفيان الخ.. [١].

قال المدائني: دخل سفيان بن أبي ليلى النهدي على الإمام الحسن «عليه السلام»، فقال: السلام عليك يا مذل المؤمنين.

فقال الحسن: اجلس يرحمك الله، إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» رفع له ملك بني أمية، فنظر إليهم يعلون منبره واحداً فواحداً..

فشق ذلك عليه، فأنزل الله في ذلك قرآنا، فقال له: ﴿**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ**﴾[٢].

وسمعت أبي علياً «رحمه الله» يقول: سيلي أمر هذه الأمة رجل واسع البلعوم، كبير البطن.

فسألته: من هو؟!

فقال: معاوية.

وقال لي: إن القرآن قد نطق بملك بني أمية ومدتهم، قال تعالى: ﴿**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾.

---

(١) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص١١١ و (مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج١ ص٣٢٧ وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص٤٤ و ٤٥ ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج٢ ص١٢٨ ومقاتل الطالبيين (ط المكتبة الحيدرية) ص٤٤ والملاحم والفتن ص٢٢٨ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٥٩ وأعيان الشيعة ج٧ ص٢٦٣ و ٢٧٢ والعوالم ج١٦ ص١٧٨ و ١٧٩ و ١٨٠.

(٢) الآية ٦٠ من سورة الإسراء.

قال أبي: هذه ملك بني أمية[1].

٦ ـ أبو سعيد عقيصا:

وقد تقدم: أن أبا سعيد عقيصا قال للإمام الحسن «عليه السلام»: لم داهنت معاوية وصالحته، وقد علمنا أن الحق لك دونه، وأن معاوية ضال باغ؟!

وقد أجابه الإمام الحسن «عليه السلام» جواباً وافياً بالغاً تقدم بيانه، وكانت لنا بعض البيانات لمضامينه، ويقول في آخره: «ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل»[2].

٧ ـ زيد بن وهب الجهني:

وقال زيد بن وهب الجهني للإمام الحسن «عليه السلام»: «تترك يا ابن رسول الله شيعتك كالغنم ليس لهم راع»؟!

قال: وما أصنع يا أخا جهينة، ثم ذكر له: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» أعلم بأمر معاوية وصفته، وأنه هو صاحب البلعوم الواسع الأعفاج، يأكل ولا يشبع، وأنه يلي الأمر، فراجع[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص١٦.

(٢) علل الشرائع ج١ ص٢١١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١ ـ ٢ والطرائف لابن طاووس ص١٩٦ ونور الثقلين (تفسير) ج٣ ص٢٩٠ وكنز الدقائق (تفسير) ج٨ ص١٣٥ والعوالم ج١٦ ص١٧٤.

(٣) علل الشرائع ج١ ص٢١١ والإحتجاج ج٢ ص٦٩ و (ط دار النعمان سنة ١٣٨٦هـ ق) ج٢ ص١٠ والعوالم ج١٦ ص١٧٤ و ١٧٥ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٢٠ وكمال الدين ص٣١٥.

٨ ـ سليمان بن صرد الخزاعي:

قال ابن قتيبة: وذكروا: أنه لما تمت البيعة لمعاوية بالعراق، وانصرف راجعاً إلى الشام، أتاه سليمان بن صرد، وكان غائباً عن الكوفة، وكان سيد أهل العراق ورأسهم، فدخل على الحسن، فقال: السلام عليك يا مذل المؤمنين.

فقال الحسن: وعليك السلام، اجلس. لله أبوك.

قال: فجلس سليمان، فقال: أما بعد، فإن تعجبنا لا ينقضي من بيعتك معاوية، ومعك مئة ألف مقاتل من أهل العراق، وكلهم يأخذ العطاء مع مثلهم من أبنائهم ومواليهم، سوى شيعتك من أهل البصرة وأهل الحجاز.

ثم لم تأخذ لنفسك ثقة في العهد، ولا حظاً من القضية، فلو كنت إذ فعلت ما فعلت، وأعطاك ما أعطاك بينك وبينه من العهد والميثاق، كنت كتبت عليك [لعل الصحيح: عليه] بذلك كتاباً، وأشهدت عليه شهوداً من أهل المشرق والمغرب: أن هذا الأمر لك من بعده، كان الأمر علينا أيسر، ولكنه أعطاك هذا فرضيت به من قوله.

ثم قال: وزعم على رؤوس الناس ما قد سمعت، إني كنت شرطت لقوم شروطاً، ووعدتهم عدات، ومنيتهم أماني، إرادة إطفاء نار الحرب، ومداراة لهذه الفتنة، إذ جمع الله لنا كلمتنا وألفتنا، فإن كل ما هنالك تحت قدمي هاتين.

ووالله ما عنى بذلك إلا نقض ما بينك وبينه، فأعدَّ للحرب خدعة، وأْذَنْ لي أشخص إلى الكوفة، فأخرج عامله منها، وأظهر فيها خلعه، وانبذ إليه على سواء، إن الله لا يهدي كيد الخائنين. ثم سكت.

فتكلم كل من حضر مجلسه بمثل مقالته، وكلهم يقول: ابعث سليمان

بن صرد، وابعثنا معه، ثم ألحقنا إذا علمت أنا قد أشخصنا عامله، وأظهرنا خلعه.

فتكلم الحسن، فحمد الله، ثم قال:

أما بعد، فإنكم شيعتنا، وأهل مودتنا، ومن نعرفه بالنصيحة والصحبة والإستقامة لنا، وقد فهمت ما ذكرتم، ولو كنت بالحزم في أمر الدنيا وللدنيا أعمل وأنصب، ما كان معاوية بأبأس مني بأساً، وأشد شكيمة، ولكان رأيي غير ما رأيتم.

ولكني أشهد الله وإياكم: أني لم أرد بما رأيتم إلا حقن دمائكم، وإصلاح ذات بينكم، فاتقوا الله وارضوا بقضاء الله، وسلموا لأمر الله، والزموا بيوتكم، وكفوا أيديكم، حتى يستريح بر، أو يستراح من فاجر.

مع أن أبي كان يحدثني: أن معاوية سيلي الأمر، فوالله لو سرنا إليه بالجبال والشجر، ما شككت أنه سيظهر، إن الله لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه.

وأما قولك: يا مذل المؤمنين، فوالله لأن تذلوا وتعافوا أحب إلي من أن تعزوا وتقتلوا، فإن رد الله علينا حقنا في عافية قبلنا، وسألنا الله العون على أمره، وإن صرفه عنا رضينا، وسألنا الله أن يبارك في صرفه عنا.

فليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته، ما دام معاوية حياً، فإن يهلك ونحن وأنتم أحياء، سألنا الله العزيمة على رشدنا، والمعونة على أمرنا، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

قال: ثم خرج سليمان بن صرد من عنده، فدخل على الحسين، فعرض عليه ما عرض على الحسن، وأخبره بما رد عليه الحسن.

فقال الحسين: ليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته، ما دام معاوية حياً، فإنها بيعة كنت والله لها كارهاً، فإن هلك معاوية نظرنا ونظرتم، ورأينا ورأيتم[1].

٩ ـ أهل القادسية:

وذكر ابن جرير وغيره: أن الحسن لما صالح معاوية أقام بالكوفة يتجهز حتى برئ من جراحته، فخرج إلى المسجد، فلما سار نحو المدينة تلقاه الناس من القادسية، فقالوا: يا مذل العرب[2].

ونقول:

لنا مع هذه النصوص وقفات عديدة:

مذلّ المؤمنين:

١ ـ إن الكلمة التي تداولتها الأفواه، وترددت على الألسن هي: أن الحسن «عليه السلام» مذلّ المؤمنين، وقد قال «عليه السلام»: إنه معزّ للمؤمنين بنفس عقد الهدنة، الذي أبرمه مع معاوية، فهو حافظ لهم، ودافع للأخطار الجسام عنهم، وليس مذلاً لهم، بل هو محبط لخطط أعدائهم بهم، ناقض لكيدهم ومكرهم، مضيع للفرص عليهم، وقد حفظ لهم هذا العز إلى حين موته..

---

(١) الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج١ ص١٤١ ـ ١٤٢ و (تحقيق الشيري) ج١ ص١٨٥ ـ ١٨٧ وجمهرة خطب العرب ج٢ ص١٥ عنه.

(٢) تذكرة الخواص (ط الحيدرية في النجف) ص١٩٩.

ويشهد لما نقول: أن الناس كانوا يقولون: «أول ذل دخل الكوفة موت الحسن وقتل حجر»(١).

وروى أبو جعفر قال: قال ابن عباس «رحمه الله»: أول ذل دخل على العرب موت الحسن «عليه السلام»(٢).

وقيل لأبي إسحاق السبيعي: متى ذلّ الناس؟!

قال: حين قتل الحسين بن علي «عليهما السلام»، وادُّعي زياد، وقتل حجر بن عدي(٣).

٢ ـ وقال «عليه السلام» لأبي عامر، سفيان بن الليل: «لا تقل ذلك يا أبا عامر، لم أذلّ المؤمنين، ولكني كرهت أن أقتلهم على (في طلب) الملك»(٤).

---

(١) الكامل في التاريخ ج٣ ص٢٤٢ و (ط بولاق) ج٣ ص٢٠٩ و (ط دار صادر سنة ١٣٨٦هـ ق) ج٣ ص٤٨٧ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٠٨ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص١٩٣ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٤٠ وأعيان الشيعة ج٤ ص٥٨٤.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص١٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٧٥ وصلح الحسن لآل ياسين ص٣٦٣.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص٥١ ومقاتل الطالبيين ص٧٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٥٠ وشرح الأخبار ج٣ ص١٣١ والدرجات الرفيعة ص٤٢٩ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٧٦ وج٤ ص٥٨٤ وصلح الحسن لآل ياسين ص٣٣٧.

(٤) المستدرك للحاكم ج٣ ص١٧٥ وتهذيب الكمال ج٦ ص٢٥٠ والمنتظم لابن الجوزي ج٥ ص١٨٤ وصلح الحسن لآل ياسين ص٢٧٦ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص٢١ وتاريخ بغداد ج١٠ ص٣٠٥ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج١

أي أن أكثر الذين يطالبونه بنقض الهدنة، إنما يفعلون ذلك، لأنهم يفكرون تفكيراً دنيوياً، يدور حول الملك والدنيا، ليصيبوا بها مجداً، وجاهاً، ونفوذ كلمة، وأموالاً، وولايات، وإقطاعات، وما إلى ذلك.. ويسهل عليهم قتل من يقتل، في سبيل ذلك، مع ما يطلبونه ويصرون عليه، حتى لو كان يؤدي إلى إبادة المؤمنين والصالحين، والشيعة الميامين.

٣ ـ إنه «عليه السلام» لم يزل يذكر لهؤلاء الناس، ولغيرهم: أن سبب هدنته هو حفظهم من القتل إلى حدِّ الإستئصال التام، واجتثاثهم من الأرض، حتى لا يبقى للدين والإسلام ناعٍ.

٤ ـ إنه «عليه السلام» يبين: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أخبر أن معاوية سوف يملك البلاد والعباد، لكي يعملوا على حفظ أنفسهم من شرِّه، وليدلّهم على أنهم على الحق، فعليهم أن لا تأخذهم الشكوك، ولا تزلزل يقينهم الشبهات.

كما أن شعورهم بالرعاية الإلهية من خلال هذه الأخبار الغيبية يمنحهم الرضا والسكينة، والطمأنينة الوجدانية إلى أنهم على الحق، وغيرهم على الباطل..

وليعلموا: أن الغلبة الدنيوية لا تعني أن الحق مع الغالب، ولا ينبغي أن تحدث يأساً، ولا إحباطاً للإنسان المؤمن.

ص٣٨٧ ونظم درر السمطين ص١٩٥ والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص٢٩ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٣٦٠ وأعيان الشيعة (ط أولى) ج٤ قسم١ ص٥٢و (ط دار التعارف سنة ١٤٠٣) ج٧ ص٢٦٣ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٢٣٠.

٥ ـ إن تطابق موقف الإمام الحسن مع الإمام الحسين «عليهما السلام» يعطي لموقف الإمام الحسن «عليه السلام» قوة، ويدعو المعترضين لإعادة النظر في المواقف المخالفة لموقفهما «عليهما السلام».

رواية ابن بشير:

١ ـ والنص المتقدم، المروي عن علي بن محمد بن بشر الهمداني لم يذكر لسفيان بن ليلى أي دور في الاعتراض على الإمام الحسن «عليه السلام»، سوى أنه قد رافق من اعترض، وهو علي بن محمد بن بشر الهمداني، فلا يصح نسبة ما ورد في الرواية إلى سفيان.

وقد أشار «عليه السلام» في جوابه لابن بشر الهمداني إلى السبب الذي دعاه لعقد الهدنة، فلا ضرورة لحيرة أصحابه، وفيهم من يفترض أن يكون على درجة عالية من الوعي للواقع الذي فرض نفسه على الإمام الحسن «عليه السلام»، ولكن الوقائع قد أظهرت: أن الإنفعالات والمشاعر الملتهبة تسيطر على العقول، وتوهم أصحابها بما لا حقيقة له، بل وتضخم ما تدعوهم إليه تلك الإنفعالات حتى يبلغ حداً لا يبقى معه للواقعية ظهور معتدٌّ به، فضلاً عن أن يكون قادراً على مواجهة تلك التضخيمات.

ولذا كان «عليه السلام» يبادر أولاً إلى صدم الحالة الإنفعالية الشخصية بما هو أقوى منها، لكي يتغلب عليها، أو يهز ثباتها، وذلك حين يذكر لهم: أن انفعالاتهم تبقى غير قادرة على أن تكون مجدية، لأنها سوف تثمر كارثة حقيقية على الكيان والوجود كله، وهو: أن يتعرضوا للإبادة الحقيقية، وللإجتثاث عن وجه الأرض..

ثم يقدم لهم الدليل الذي يقدرون على تلمّسه في الواقع العيني الخارجي، المتمثل بتباطؤ أصحابه، ونكولهم عن الحرب، فإنه إذا واجه الإنسان خطراً على حياته، فإنه يبحث عن مناشئه وأسبابه، ويكون أكثر استعداداً للتعامل معها بجدية وموضوعية.

وبذلك يعود الإنسان إلى التوازن والإعتدال، فيقدم له «عليه السلام» في هذه الحالة من الخبر الغيبي الصادق، ما يريح وجدانه، ويمنحه السكينة والطمأنينة والرضا، حين يخبرهم بما قاله رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ويؤكد لهم: أن هذا الخبر الغيبي لن يكون فيه استثناء ولا بداء، ولن يمنع حصوله شيء، مهما كان..

وإذا أكد ذلك لهم الإمام الحسين، بعد الإمام الحسن «عليهما السلام»، فإن الأمر يصبح كالنار على المنار، وكالشمس في رائعة النهار.

خلاصة ما تضمنته الروايات المتقدمة:

١ ـ ثم إن أول ما يواجهنا في اعتراض سفيان بن الليل على الإمام الحسن «عليه السلام»، ما ذكره سبط ابن الجوزي، من قول الإمام الحسن له: «ويحك أيها الخارجي، لا تعنفني».

بينما نجد النصوص الأخرى للرواية تظهر هذا الرجل في صورة المحب والموالي لأهل البيت، الذي يحصل على البشارات له بغفران الذنوب، والحصول على منازل الكرامة في الآخرة..

وربما تكرر منه مجيئه إلى الإمام وقوله هذه العبارة المؤذية له «عليه السلام»، ولعله في المرة الأولى كان خارجياً، ثم رجع إلى الحق بعد ذلك..

ويشهد لهذا التعدد: إختلاف الروايات في بيان مضمون ما جرى بينه وبين الإمام «عليه السلام».

٢ ـ ويلاحظ: أن الأجوبة التي ذكرت الروايات: أنه «عليه السلام» قد أجاب بها سفيان بن الليل وغيره قد تقدمت كلها في غضون الفصول المتقدمة، ويمكن إيراد عناوينها هنا كما يلي:

١ ـ دفع القتل عن أصحابه وشيعته، الذي بلغ حدّ اجتثاث الناس عن وجه الأرض.

٢ ـ تباطؤ أصحابه عن الحرب، ونكولهم عن القتال.

٣ ـ الأخبار الغيبية عن إفضاء الأمر إلى معاوية، وإن ذلك مما نطق به القرآن، وأكده رسول الله «صلى الله عليه وآله».

٤ ـ ما دأب عليه الناس من الإنقلاب على أعقابهم، وغدرهم حتى بأوصياء الأنبياء، فقد قتلوا علياً، وطعنوا الحسن.

٥ ـ ما هم عليه من الطمع والدناءة، حتى لقد انتهبوا متاعه، وكل ما لديه مما هيأه لمواجهة أعدائه، مع أنه «عليه السلام» إنما يجهد لحفظ دمائهم وأموالهم، وأعراضهم، ودفع الأسواء والشرور عنهم..

٦ ـ إختلاف أحوالهم، وتبدلها، فبينما كانوا في أيام صفين يقودهم دينهم وكانت دنياهم تابعة لدينهم، فإنهم أصبحوا في أيام الإمام الحسن، ودنياهم هي التي تقودهم، ودينهم تابع لدنياهم.

٧ ـ إن أهل الكوفة لا يوثق بهم.

٨ ـ إن من يغتر بأهل الكوفة يقع في الذل والهوان.

٩ ـ إن أهل الكوفة لا يجتمعون على رأي.. وتاريخهم مع أبيه، وما لاقاه أبوه منهم من شدايد صعبة يشهد على ذلك.

١٠ ـ إن الكوفة أسرع البلاد خراباً، لأن أهلها هم الذين فرَّقوا دينهم، وكانوا شيعاً، فلا جامع لهم..

١١ ـ إن الذين يلومونه على الهدنة إنما يريدون إبقاء الحرب، لتكون وسيلتهم للحصول على الملك، والمال، والجاه، والدنيا، ولا يهمهم ما يصيب الدين، وما يسفك من دماء أهل الحق، حتى لو اجتثوا عن وجه الأرض، ولم يبق للدين والإسلام ناع.

١٢ ـ إن من يلومونه على ما فعل إنما يقولون بغير علم له.

١٣ ـ إن نقض العهد والهدنة من قبل الإمام الحسن «عليه السلام» غدر.. والمؤمن لا يغدر.

١٤ ـ لو أراد بهذه الهدنة الدنيا لما كان معاوية بأصبر منه عند اللقاء، ولا أثبت منه عند الحرب.

١٥ ـ إنه «عليه السلام» أراد صلاحهم، وكف بعضهم عن بعض.

١٦ ـ إنه ليس كل الناس يحبون ما يحب حجر وأمثاله، وليس رأيهم كرأيه.

١٧ ـ إن هوى معظم أصحابه في عدم الحرب، بل هم قد كرهوها، فلم يجب أن يحملهم على ما يكرهون..

لكن بعض الإنتهازيين وأصحاب المصالح، يرون، أن مصالحهم مرهونة ببقاء حالة الحرب، شرط أن لا يضحي هو بشيء مما يعود إليه فيها، وأن لا يكون هناك سلم، لكي تبقى فرص الكسب الدنيوي مهيأه لهم، فرأى أن يدفع الحرب إلى يوم ما، وهو اليوم الذي يمكن فيه للحرب أن تحقق أهدافها في حفظ الدين وأهله.

١٨ ـ إنه أراد حقن دمائهم، وإصلاح ذات بينهم.

وقد تكلمنا حول هذه الحجج كلها، وبيّنّا أنها لا مناص منها ولا محيد عنها.. فراجع هذا الفصل، وما سبقه من فصول..

حجج المعترضين في الروايات والنصوص:

أما حجج المعترضين على الإمام واللائمين له على الهدنة، فهي الأمور التالية، التي تستخلص من كلامهم في الموارد المختلفة:

١ ـ إنه لم يأخذ عهداً معلناً وظاهراً، يعرف الناس ركائزه، وعناصره، بل اكتفى بالإتفاق الخاص، بينه وبين معاوية.. فهو أمر مكتوم، وغير معلوم.

٢ ـ إن معاوية قد غدر ونقض الشروط، فلم يعد مبرر للإلتزام بهذا العهد، بعد أن اعتبر معاوية الشروط التي اشترطها الإمام الحسن «عليه السلام» عليه تحت قدميه، لا يفي بها.

٣ ـ إنه لم يكتب على معاوية كتاباً يرجع إليه عند الاختلاف، مع أن العهود تكتب، ويشهد عليها، والحال: أنه لم يكتب كتاباً، ولا أشهد شهوداً بحيث يضمن أن يكون هذا الأمر للحسن من بعده.. مع أن العهود نصان، ويُضمن بقاؤهما بالنص المكتوب، وبالشهود الضامنين لها، فلو أنه فعل ذلك

لكان الأمر أيسر عليهم، ولكان في يدهم حجة ظاهرة، لا مجال للتلاعب فيها، ولا لإنكارها.

٤ ـ إنهم رجعوا راغمين بما كرهوا، ورجع معاوية وحزبه مسرورين بما أحبوا.

٥ ـ إنه أخرجهم من العدل إلى الجور.

٦ ـ إنهم تركوا الحق الذي كانوا عليه، إلى الباطل الذي كانوا يهربون منه.

٧ ـ إنهم أعطوا الدنيَّة من أنفسهم، وقبلوا الخسيس الذي لا يليق بهم.

٨ ـ إنه «عليه السلام» اشترى الذل بالعز، وقبل القليل، وترك الكثير.

٩ ـ إنه بايع معاوية، مع أن معه أربعون، أو خمسون، أو مئة ألف مقاتل، مع مثلهم من أبنائهم ومواليهم، سوى أهل البصرة، وأهل الحجاز.

ونقول:

إن أكثر هذه التعللات والأقاويل قد تَقدَّم بيان بطلانها، وزيفها، بل عُلم أن قسماً منها مكذوب ولا حقيقة له، ولعل سببه عدم وجود أولئك الأشخاص أو بعضهم في صميم الحركة التي قادها الإمام الحسن «عليه السلام» لمواجهة معاوية..

ولعل بعض ما قيل وأشيع، وأذيع من ذلك، كان يهدف إلى النيل من مقام الإمام الحسن «عليه السلام»، وإظهار ضعفه، من خلال جرأة أصحابه عليه إلى هذا الحد..

ونحن نعيد التذكير هنا ـ باختصار شديد ـ بمؤاخذاتنا على هذه الأقوال،

فنقول:

أولاً: بالنسبة لما زعموه، من أن الإمام الحسن «عليه السلام» قد اتفق مع معاوية فيما بينه وبينه، ولم يأخذ منه عهداً ظاهراً نقول: إن هذا غير صحيح، فإن المراسلات والأخذ والرد قد حصل بصورة متكررة حين كان الإمام الحسن «عليه السلام» في المدائن يعالج جرحه، وكان معاوية في مسكن.. وكان الوسطاء يترددون باستمرار بينهما في محاولة لإقناع الإمام الحسن بقبول الهدنة، ولم يجتمع الإمام الحسن بمعاوية إلا في النخيلة، أو في الكوفة، كما تقدمت الإشارة إليه، فمتى اختلى الإمام «عليه السلام» بمعاوية، واتفق معه؟!

ومن المعلوم: أن معاوية قد أعلن نقض شروط الهدنة في النخيلة التي لم يستقر بها، بل دخل الكوفة مباشرة.

ثانياً: قد ذكرنا: أن غدر معاوية ونقضه للعهد لا يبرر إقدام الإمام الحسن على النقض والغدر، لأن ذلك يجعل الإمام الحسن «عليه السلام» في موازاة معاوية، بحيث يراه الناس أنه نظيره..

كما أن الإمام الحسن يريد أن يكرس حقيقة: أن نقض العهد من طرف واحد لا يترتب عليه أثر.. بل يبقى العهد ساري المفعول على رغم أنف من نقضه، ويُلزَم الناقض ويطالب بمفاعيله، ويكون نقضه من دلائل بغيه، وظلمه، وجرأته، وعدم وفائه بالعهود..

ثالثاً: بالنسبة لما ذكر من أنه «عليه السلام» لم يكتب كتاباً، ولم يشهد شهوداً نقول:

ألف: إنه «عليه السلام» قد كتب على معاوية كتاباً وأشهد شهوداً، وقد أرسل إليه معاوية كتاباً مختوماً ليكتب شروطه للهدنة، فكتب فيه شروطاً كثيرة.. وإن أخفى معاوية وحزبه ذلك الكتاب.. وقد نقل الرواة قسماً من مضامينه، ورووا لنا قسطاً وافياً من شروطه.

ب: إنه «عليه السلام» قد اشترط على معاوية في ذلك الكتاب أن يكون الأمر للإمام الحسن«عليه السلام»، ثم للحسين «عليه السلام» من بعده، وأنه لا يحق لمعاوية أن يعهد لأحد.

رابعاً: بالنسبة لما ذكر في النقطة الرابعة المتقدمة نقول:

لو أن أصحاب الإمام تدبّروا أمر الهدنة، ووقفوا على مبرراتها ودوافعها، وتبينوا الظروف التي فرضتها، والإنجازات التي حققتها ـ حسبما بيناه في الفصول السابقة ـ لكان الأمر معكوساً، ولكانوا أقروا بأن هذه الهدنة قد حققت أعظم الإنجازات التي لا تخطر على قلب بشر، ولكان أصحابه «عليه السلام» قد رجعوا مسرورين بما أحبوا، ورجع معاوية ومن معه راغمين بما كرهوا.

خامساً: دعوى أنه «عليه السلام» قد أخرجهم من العدل إلى الجور غير سديدة، ولا رشيدة، لاسيما خذلان الناس لإمامهم، وخيانة قادة كبار منهم، والتحاقهم بمعاوية مع ألوف كثيرة من جيشه، فإن عبيد الله بن عباس التحق بمعاوية ومعه ثمانية آلاف مقاتل.. بالإضافة إلى مكاتبة أكثر رؤساء أهل الكوفة لمعاوية، وإعطائه الوعود والعهود بأنهم معه، وكتابتهم إليه أنهم إذا اقترب منهم فإنهم سيأخذون الإمام الحسن، ويسلمونه إليه، أو يقتلونه.

بل لقد حاولوا قتل إمامهم مرات عديدة، وحين دعاهم لحرب عدوهم، لم يجبه منهم أحد، إلى غير ذلك من أمور سجلها لنا التاريخ..

فذلك كله، يدل على أن الناس هم الذين خرجوا من العدل إلى الجور، ولم يخرجهم الإمام الحسن «عليه السلام»، كما أنهم هم الذين تركوا الحق الذي كانوا عليه إلى الباطل الذي كانوا يهربون منه..

وإن صح أن هذه الهدنة تعني: أنهم أعطوا الدنيَّة من أنفسهم، ورضوا بالقليل، وتركوا الكثير، واشتروا العز بالذل، فإن الوقائع التي ذكرناها تثبت أنهم هم الذين اختاروا ذلك بملء إرادتهم..

غير أننا نقول:

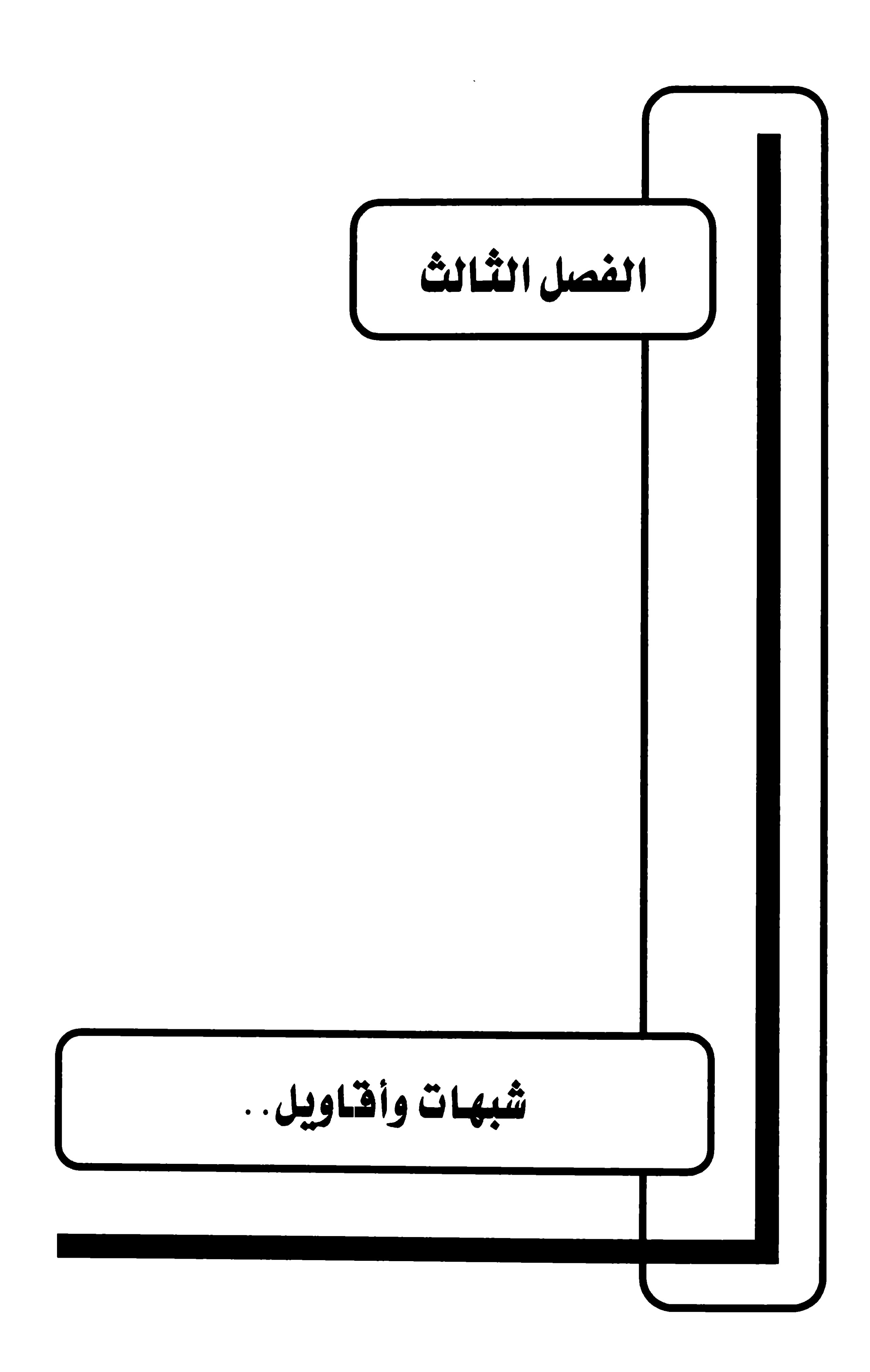
إن هذه الهدنة هي أعظم إنجاز، بل هي إعجاز، لا يقدر على اجتراحه أحد، إلا إن كان نبياً، أو وصياً وإماماً مسدداً ومعصوماً.

سادساً: قولهم أخيراً: إنه كان معه مئة ألف مقاتل، ومثلهم من أبنائهم ومواليهم، فيقابله قول بعض هؤلاء: إن الذين كانوا معه كانوا أربعين، أو خمسين ألفاً كما عند البلاذري، فهل نصدق حديث المئتي ألف، أم حديث الأربعين؟!

وبعد التحاق الألوف منهم بمعاوية، ومكاتبة أكثر رؤساء الكوفة معاوية بأنهم معه، وتعهد الرؤساء بقتل الإمام الحسن «عليه السلام»، أو تسليمه له، ومحاولتهم قتل الإمام «عليه السلام» عدة مرات، وبعد أن لم يلتحق به «عليه السلام» سوى أربعة آلاف بعد أن انتظرهم عشرة أيام في النخيلة، ثم عاد إلى الكوفة لاستنفارهم من جديد، وبعد أن كانوا، أو قسم

منهم، هم الذين هاجموه، وجرحوه، وانتهبوا ثقله و.. و.. الخ..

نعم، بعد ذلك كله، لا بد أن نسأل عن المئتي ألف، أو الأربعين ألفاً، لماذا لم يسمع لهم صوت، ولا ظهر لهم أي موقف مما يحدث سلباً كان أو إيجاباً؟!



الفصل الثالث

شبهات وأقاويل..

بداية:

بقي أن نشير هنا إلى أن المغرضين، وأهل الباطل، وربما بعض المغفلين الذين لم يعطوا هذا الموضوع حقّه من التأمل والتدبر، قد أثاروا أموراً مختلفة، لا يمكن القبول بها، لأنها تفقد الدليل المقنع والمقبول..

وقد رأينا أن من الوفاء للحق والحقيقة التعرض لبعض ما صادفناه من ذلك، سواء منها ما صدر عن حسن نية وسلامة طوية، أو ما صدر بدواع غير حميدة، ولا رشيدة، أو ما ربما يتوهمه البعض، مما ظن أن بعض الروايات تصلح سنداً لها.

فنقول، ونتوكل على خير مسؤول ومأمول:

جماجم العرب بيد الإمام الحسن:

روى الدولابي مرفوعاً عن جبير بن نفير، عن أبيه، قال: قدمت المدينة، فقال الحسن بن علي «عليه السلام»: كانت جماجم العرب بيدي، تسالم من سالمت ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء وجه الله، وحقن دماء المسلمين[1].

---

(١) الذرية الطاهرة ص١٠٤ وكشف الغمة ج٢ ص٣٢٠ عنه، و ٣٤٨ و ٣٠٧ عن

وفي نص آخر: أن جبيراً سأل الإمام الحسن: «إن الناس يقولون: إنك تريد الخلافة؟!

فقال: قد كانت جماجم العرب في يدي، يحاربون من حاربت، ويسالمون من سالمت، تركتها ابتغاء وجه الله، وحقن دماء أمة محمد، ثم أثيرها يا تياس أهل الحجاز»(١).

التيس: ذكر الظباء والمعز، والتيَّاس: بيّاع عسب الفحل، الذي هو حرام، والعسب ضراب الفحل، أو ماؤه أو نسله..

الجنابذي، و (ط دار الأضواء) ج٢ ص١٤٦ و ١٥٢ و ١٦٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٢٥ والعوالم ج١٦ ص١٧٧ و ١٧٨ وذخائر العقبى ص١٣٩ والصواعق المحرقة ص١٣٧ وعلل الحديث ج٢ ص٣٥٢.

(١) كشف الغمة ج٢ ص٣٨٢ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص١٨٩ عن حلية الأولياء ج٢ ص٣٧ والعوالم ج١٦ ص١٩١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٥ و ١٦ عن محمد بن بحر الشيباني، وعلل الشرايع ص٢٠٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص٢١٩ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٣٣٥ والمستدرك للحاكم ج٣ ص١٧٠ وإمتاع الأسماع ج١٢ ص٢٠٦ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٩٤ و (ط دار الفكر سنة ١٤١٥هـ) ج١٣ ص٢٨٠ و ٢٨١ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٧٤ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص٤٦ وأنساب الأشراف ج٣ ص٤٩ وتهذيب التهذيب ج٢ ص٢٦٠ وتاريخ الخلفاء ص٢١٠ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ٣٣٠ و ٣٣١ و (ط سنة ١٤٠٠هـ) ص٢٠٥ و ٢٠٦ وترجمة الإمام الحسن من طبقات ابن سعد ص١٣٢ و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث سنة ١٤١٦هـ) ص٧٥ وتهذيب الكمال ج٦ ص٢٥٠.

ونقول:

أولاً: قال محمد بن بحر الشيباني في كتاب الفروق: «إن جبيراً كان دسيساً إلى الحسن «عليه السلام»، دسه معاوية إليه ليختبره، هل في نفسه الإثارة»؟!

وكان جبير يعلم: أن الموادعة التي وادع مع معاوية غير مانعة من الإثارة، التي اتهمه بها، ولو لم يجز للحسن «عليه السلام» مع المهادنة التي هادن أن يطلب الخلافة لكان جبير يعلم ذلك فلا يسأله، لأنه يعلم أن الحسن «عليه السلام» لا يطلب ما ليس له الخ..»[1].

ونقول:

مراده بالإثارة إثارة الحرب من جديد طلباً للخلافة.

ومن المعلوم: أن ما جرى لم يكن صلحاً، بل كان مهادنة، وقد نقض معاوية هذه المهادنة، وأعلن أن كل شرط أعطاه للإمام الحسن، فهو تحت قدميه.. وهذا يخوِّل الإمام الحسن «عليه السلام» العودة للحرب، حسبما أوضحناه سابقاً.

وهذا ما كان يخشاه معاوية، فدسَّ جبيراً للإمام، ليعرف إن كان يفكر في العودة إلى الحرب أم لا.

ثانياً: إن في جملة تلك الجماجم التي كانت في يد الإمام الحسن «عليه السلام»: شبث بن ربعي، وعمرو بن حريث، وحجار بن أبجر، وغيرهم على شاكلتهم كثير.. ولكن هؤلاء يحاربون معه للطمع بالأموال والأقطاع، والمناصب.

---

(١) علل الشرائع ج١ ص٢٢٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٥.

ولا يدافعون عن الإمام الحسن، ولا عن أهل بيته، والمخلصين من شيعته، ولا عن الحق والدين، بل هم إن وجدوا مطامعهم وسلامتهم تتحقق في خيانتهم، والمصير إلى عدوهم معاوية، فإنهم يفعلون ذلك..

ولن يتحقق النصر على أيدي أمثال هـؤلاء.. بل سوف تسفك دماء المسلمين، وتذهب هدراً، ويتوقع أن ينحاز هؤلاء القادة والزعماء إلى من يرون أنه يحقق لهم ما يريدون من رغائب، وينجز لهم ما يحبون من مطالب، ولا يحفظ الإسلام بسفك تلك الدماء، ولا عائدة تعود على المسلمين بشيء من الخير..

فكون جماجم العرب بيده «عليه السلام» لا يراد به: أن هذه الجماجم سوف توصله إلى أهدافه.. لأن القليل منها كان مخلصاً له «عليه السلام»، ولا يقوم هذا القليل بجيش أهل الشام إلا بقتل ذريع، ومريع..

بل المراد: أن القرار له «عليه السلام»، فإن اتخذ قرار الحرب سفكت الدماء الكثيرة والغزيرة من شيعته وغيرهم، وحتى من الطامحين والطامعين، والخونة، وغيرهم بلا فائدة، وإن اتخذ قرار السلم حفظت.

ثالثاً: إنه حتى لو كان جميع من معه من العرب، من الأوفياء المخلصين، فإنه «عليه السلام» إذا عرف أن هذه الحرب سوف تفنيهم، ولن تكون مضمونة النتائج، فلا يحق له التفريط بهذه الجماجم، وجعلها طعمة للسيوف، وتعريضها للحتوف.

على ماذا بايع الحسن معاوية؟!:

روى محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، عن أبي بشر الواسطي عن خالد بن داود، عن عامر قال:

بايع الحسن بن علي «عليه السلام» معاوية على أن يسالم من سالم، ويحارب من حارب، ولم يبايعه على أنه أمير المؤمنين[١].

ونقول:

أولاً: تقدم معنا: أن ما حصل هو الإتفاق على الهدنة، والمتاركة، وأن يعتزل الإمام الحسن.. ولم يبايع الإمام الحسن «عليه السلام» معاوية على أن يكون خليفة لرسول الله، ولا جعله أميراً، والشروط التي وضعها الإمام الحسن «عليه السلام» على معاوية أدل دليل على ذلك، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.. وقد تقدم شطر من ذلك..

ثانياً: إنه بعد أن تمت المهادنة، وقبل أن يتوجه الإمام «عليه السلام» إلى المدينة بأهل بيته خرج على معاوية بالكوفة جويرية بن دراع، أو وداع، أو غيره، فأرسل معاوية إلى الإمام الحسن «عليه السلام» وهو في الكوفة أيضاً يطلب منه أن يتولى قتالهم.

فقال «عليه السلام»: يأبى الله لي بذلك.

قال: فلم؟! أليس هم أعداؤك وأعدائي؟!

قال: نعم يا معاوية، ولكن ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فوجده، فأسكت معاوية[٢].

---

(١) علل الشرائع ج١ ص٢١٨ والعوالم ج١٦ ص١٨٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٣.

(٢) علل الشرائع ج١ ص٢١٨ والعوالم ج١٦ ص١٨٩ و ١٩٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٣ و ١٤ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص٤٨.

فلو صحت الرواية المتقدمة عن أنه «عليه السلام» بايعه على أن يسالم من سالم معاوية، ويحارب من حارب معاوية، لأجابه معاوية بأنك قد بايعتني على أن تسالم من أسالم، وتحارب من أحارب.

وذكر **ابن الأثير**: أن فروة بن نوفل خرج في جماعة من الخوارج حين تمت الهدنة، وأقبلوا حتى حلُّوا بالنخيلة عند الكوفة، وكان الحسن بن علي قد سار يريد المدينة، فكتب إليه معاوية يدعوه إلى قتال فروة، فلحقه رسوله بالقادسية أو قريباً منها، فلم يرجع، وكتب إلى معاوية:

لو آثرت أقاتل أحداً من أهل القبلة لبدأت بقتالك، فإني تركتك لصلاح الأمة، وحقن دمائها(١).

فلعل هذه محاولة ثانية من معاوية لزج الإمام الحسن في حرب الخوارج، ليبقى هو في موقع المتفرج، فإن سقوط الضحايا من أي من الطرفين كان يسعد معاوية، ويشد من أزره، ويشعره بالأمن بصورة أكبر.

فإنا بايعنا معاوية:

وفي حديث آخر: إن الإمام الحسن «عليه السلام» قال يوم المهادنة: ما بين جابرس وجابلق رجل جده نبي غيري وغير أخي.. وإني رأيت أن أصلح بين أمة محمد، وكنت أحقَّهم بذلك، فإنا بايعنا معاوية، ولعله فتنة لكم ومتاع إلى حين(٢).

---

(١) الكامل في التاريخ ج٣ ص١٧٧ و (ط دار صادر) ج٣ ص٤٠٩.

(٢) علل الشرائع ج١ ص٢١٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٤ والسنن الكبرى للبيهقي

ونقول:

أولاً: تقدم: أن ما جرى كان اتفاقاً على الهدنة، والهدنة بين المتحاربين لا تعني بيعة أحدهما للآخر، بل تعني: الإتفاق على المتاركة.. والنبي «صلى الله عليه وآله» قد هادن المشركين في الحديبية، ولم يبايعهم، وعلي «عليه السلام» هادن معاوية، ولم يبايعه.

وفي النصوص: أن معاوية أراد أن يلزم الإمام الحسين «عليه السلام» بالبيعة، فقال له الإمام الحسن «عليه السلام»: «يا معاوية، لا تكرهه، فإنه لا يبايع أبداً أو يقتل، ولن يقتل حتى يقتل أهل بيته، ولن يقتل أهل بيته حتى يقتل أهل الشام»[1].

وهذا هو حال أخيه الإمام الحسن «عليه السلام» بطريق أولى.

ج٨ ص١٧٣ ومجمع الزوائد ج٤ ص٢٠٧ والمصنف للصنعاني ج١١ ص٤٥٢ والعوالم ج١٦ ص١٨٩ و ١٩٠ والمعجم الكبير ج٣ ص٨٧ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٧٢ و ٢٧٥ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٧١ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٨ ص ٤٦ ودلائل النبوة ج٦ ص٤٤٤ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص١٨٧ و ١٩٢ وكشف الغمة ج٢ ص١٩٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص١٧٠ عن مقتل الحسين للخوارزمي (ط الغري) ص١٠٥.

(١) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٣٤ و (ط دار الأضواء) ج٤ ص٤٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٩٦ والعوالم ج١٦ ص١٧٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٥٧ والفتوح لابن أعثم ج٤ ص٢٩٢.

ثانياً: إن ما جرى بين معاوية والإمام الحسن «عليه السلام» هو مهادنة ومتاركة، واعتزال، ولم يجر صلح، وقد تحدثنا عن ذلك فيما سبق..

وقد قلنا: إن كلمة صلح لا يصح استعمالها في هذا المورد.

الحسن لم يخلع نفسه من الإمامة:

قال السيد المرتضى «رحمه الله»:

«فإن قال قائل: ما العذر له «عليه السلام» في خلع نفسه من الإمامة، وتسليمها إلى معاوية، مع ظهور فجوره، وبعده عن أسباب الإمامة، وتعريه من صفات مستحقها؟! الخ..»[١].

والظاهر: أن المراد بأسباب الإمامة: هي الوسائل التي يحتاج إليها الإمام فيها، كالعلم، والنص عليه من المعصوم، والعقل الذي هو في أعلى مراتب الصفاء، والنقاء، والقوة وما إلى ذلك.

والمراد بصفات الإمامة ما هو من قبيل الإستعدادات الروحية والأخلاقية والنفسية، وسائر صفات الكمال، مثل: التقوى، والعصمة، والشجاعة، والكرم، والوفاء، وسائر الصفات المجيدة والحميدة.

وبعد ما تقدم نقول:

أولاً: تقدم معنا: أن الإمامة ليست مما يمكن التخلص منه، والتخلي عنه من قبل الإمام نفسه، بخلع نفسه منها، وإثباتها في غيره، ولا ينخلع الإمام بالمعصية.. لأنها لا تصدر من الإمام المعصوم، بلا ريب بنص آية التطهير،

---

(١) تنزيه الأنبياء للشريف المرتضى ص٢٢١.

وإنما قصور الناس عن فهم تصرفاته، يجعلهم ينسبون إليه الأخطاء جزافاً.

ثانياً: إن كان المراد بالإمامة هو السلطة والحكم، فإنها إذا كانت مجعولة له من قبل الله، فإن الخلافة الإلهية كمقام ومنصب لا يرفعها إلا الله تبارك وتعالى.. ولا يمكن أن يتخلى الإمام عنها من قبل نفسه، كما تقدم.

ويدل على أن الخلافة من الله: أنه تعالى قد جعل داود خليفة في الأرض، فقد قال سبحانه: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ**﴾[1].

وإن كان المراد بالتخلي عنها: هو التخلي القسري، الراجع إلى حيلولة الناس بين من جعلت له الخلافة، وبين ممارسته إياها في الواقع الخارجي، باستعمال القوة ضده، وإكراهه وإلجائه إلى الإعتزال، أو بمحاصرته، ومنع الناس من الإتصال به، أو امتناع الناس عن طاعته، وإجراء قراراته، فإن ذلك كله يبقى رهناً بتلك الموانع، ولا يوجب إلغاء مقام الخلافة من أساسه، بل إذا ارتفع المانع، فإنه الخليفة من قِبَلِ الله يمارس سلطته من دون حاجة إلى تفويض جديد، من قبل مصدر التفويض.

وقضية الإمام الحسن «عليه السلام» مع معاوية من موارد الإكراه والإلجاء، واغتصاب السلطة، لا من موارد التنازل ونقل الحق بالسلطة إلى معاوية.. لأن فقد الأنصار، وتفاقم الأخطار أوجب كف الإمام الحسن «عليه السلام» عن حرب معاوية إلى حين زوال المانع.

---

(١) الآية ٢٦ من سورة ص.

وقد عرفنا: أن معاوية إنما ألجأه، وأكره أهل الكوفة على البيعة له، بعد توجه الإمام الحسن «عليه السلام» إلى المدينة.. وهو لم يجرؤ على ذلك في حضوره «عليه السلام».

الحسن لم يبايع:

وثمة سؤال يقول: ما العذر للإمام الحسن «عليه السلام» في بيعته لمعاوية؟!

ونجيب:

تقدم: أنه لا دليل على أنه «عليه السلام» بايع معاوية كخليفة، بل الشواهد المتوافرة على أنه عقد معه اتفاق هدنة، ورضي بترك الحرب، والكف عن المنازعة.

وهذا هو نفس ما فعله النبي «صلى الله عليه وآله» في الحديبية، وما فعله علي «عليه السلام» في صفين..

وهذا هو ما فعله علي «عليه السلام» حين كف عن منازعة الذين اغتصبوا حقه بعد وفاة النبي أيضاً.

وهذا الواقع المرير المتمثل بالخوف من القتل الذريع، ومن غلبة الضلال، وطمس الحق والدين، وسائر ما تقدم من أسباب، هو الذي الجأ الإمام الحسن «عليه السلام» إلى هذه الموادعة والمتاركة.

الإمام الحسن عليه السلام يأخذ العطاء والصلات من معاوية:

ويتساءل البعض عن أخذ الإمام العطاء والصلات من معاوية، وهو حاكم ظالم، ولا شرعية له؟!

ونجيب:

إن ذلك المال لم يكن ملكاً لمعاوية، بل هي أموال المسلمين، تسلط عليها بالظلم والقهر، فلماذا يمتنع المسلمون من أخذ ما هو لهم ومن حقوقهم؟!

وأي ارتباط بين أخذ الناس حقوقهم، واستنقاذ أموالهم التي يحتجزها الظالمون، وبين مشروعية حكم الظالم الجائر المتسلط بالقوة والقهر؟!

وكيف يتحول هذا الأخذ إلى اعتراف بمشروعية حكمه، وزوال حق أصحاب الحق فيه؟!

بل قال السيد المرتضى في تنزيه الأنبياء:

«وأما أخذ الصلات فسائغ، بل واجب، لأن كل مال في يد الغالب الجابر المتغلب على أمر الأمة، يجب على الإمام وعلى جميع المسلمين انتزاعه من يده كيف ما أمكن، بالطوع أو الإكراه، ووضعه في مواضعه».

ثم ذكر «رحمه الله»: أن الإمام إن لم يتمكن من انتزاع جميع أموال معاوية، وبادر معاوية إلى إخراج شيء على سبيل الصلة، فيجب على الإمام أخذه من يده، ويأخذ منه حقه وحق عياله وأهله، ويقسم الباقي على مستحقيه، لأنه «عليه السلام» هو الولي على ذلك المال، وهو المأمون على الأحكام، والواضع للأموال في مواضعها، وأن يعمل في ذلك وفق ما تفرضه التقية عليه(١).

---

(١) راجع: تنزيه الأنبياء ص١٧٣ ـ ١٧٥ و (ط دار الأضواء) ص٢٢٥ ـ ٢٢٦ والعوالم ج١٦ ص١٩٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣١ و ٣٢.

إظهار الإمام موالاته لمعاوية:

وقد يقال: ما عذر الإمام الحسن «عليه السلام» في إظهار موالاته لمعاوية؟!

ويجاب:

أولاً: قال السيد المرتضى: «ولو فعل ذلك خوفاً واستصلاحاً، وتلافياً للشر العظيم لكان واجباً، فقد فعل أبوه «عليه السلام» مثله مع المتقدمين عليه»(١).

ثانياً: إن الإمام الحسن «عليه السلام» قد أظهر في العديد من المناسبات الطعن الشديد والصريح في معاوية، حتى في مناظراته لهم في المجالس التي كان فيها حاضراً وناظراً، وكان معاوية يهيئ لها، فراجع على سبيل المثال: ما قاله الإمام الحسن «عليه السلام» في المناظرة التي دبَّرها معاوية، فنال هو منها نصيبه من الفضائح المؤلمة والمخزية(٢).

وراجع جواب الإمام «عليه السلام» لمعاوية حين قال له: أنا أخير منك يا حسن(٣).

---

(١) تنزيه الأنبياء ص١٧ و (ط دار الأضواء) ص٢٢٦ والعوالم ج١٦ ص٢٠٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢.

(٢) العوالم ج١٦ ص٢٠٥ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٧٣ والإحتجاج ج٢ ص١٧ و (ط دار النعمان) ج١ ص٤٠٥ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١١٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٢١١ عنه.

(٣) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج٤ ص٢٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٨٦ والعوالم ج١٦ ص٢٢٥ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٠٤.

وراجع -خطبة الحسن لما قدم معاوية المدينة، ونال من علي[١].

نموذج من رأي الإمام الحسن في معاوية:

ونضع بين يدي القارئ نموذجاً قدَّمه الإمام الحسن «عليه السلام» عن نظرته لمعاوية بعد المهادنة مباشرة، حيث كان معاوية لا يزال بالكوفة، فقد قال سبط ابن الجوزي[٢]:

قال أهل السير: ولما سلَّم الحسن الأمر إلى معاوية أقام يتجهز إلى المدينة، فاجتمع إلى معاوية رهط من شيعته، منهم: عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة ـ وهو أخو عثمان بن عفان لأمه، وكان علي «عليه السلام» قد جلده في الخمر ـ وعتبة، وقالوا: نريد أن تحضر الحسن على سبيل الزيارة لنخجله قبل مسيره إلى المدينة، فنهاهم معاوية وقال: إنه ألسن بني هاشم، فألحوا عليه، فأرسل إلى الحسن، فاستزاره.

---

(١) الإحتجاج للطبرسي ج٢ ص٥٣ و (ط دار النعمان ـ النجف) ج١ ص٤٢٠ والعوالم ج١٦ ص٢٢٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٩٠ ونزهة الناظر ص٧٤ والغدير ج١٠ ص١٦٠ والبرهان (تفسير) ج٤ ص١٥٩ والتذكرة الحمدونية ج٣ ص٣٩٦ والمستطرف للأبشيهي ج١ ص٢٣١ وكشف الغمة ج١ ص٥٧٣ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص١٩٦ والعدد القوية ص٣٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٦ ص٥٣٥ عن جواهر المطالب لابن الدمشقي (نسخة مصورة من المكتبة الرضوية بخراسان) ص١٢١ و (ط مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ـ قم) ج٢ ص٢١٥.

(٢) إننا نذكر النص الآتي عن تذكرة الخواص ج٢ ص٢٧ ـ ٣٢ ونثبت في الهوامش نفس ما ذكره الكريم الفاضل، حسين تقي زاده من مصادر للنصوص.

فلما حضر شرعوا، فتناولوا علياً «عليه السلام» والحسن ساكت، فلما فرغوا حمد الحسن الله [تعالى] وأثنى عليه، وصلى على رسوله محمد «صلى الله عليه وآله»، ثم قال: «إن الذي أشرتم إليه قد صلى إلى القبلتين، وبايع البيعتين، وأنتم الجميع مشركون، وبما أنزل الله [تعالى] على نبيِّه كافرون، وإنَّه حرَّم على نفسه الشهوات، وامتنع من اللذّات، حتى أنزل الله فيه: ﴿**يا أيُّها الّذِين آمنُوا لا تُحرِّمُوا طيِّباتِ ما أحلّ الله لكُمْ**﴾[1].

وأنت يا معاوية، ممن قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حقه: اللهم لا تشبعه، أو لا أشبع الله بطنه. أخرجه مسلم عن ابن عباس[2].

وبات أمير المؤمنين يحرس رسول الله «صلى الله عليه وآله» من المشركين، وفداه بنفسه ليلة الهجرة حتى أنزل الله: ﴿**ومِن النّاسِ منْ يشْرِي نفْسهُ ابْتِغاء**

---

(١) الآية ٨٧ من سورة المائدة.

(٢) رواه مسلم في الباب ٢٥ من كتاب البر والصلة والآداب من صحيحه ج٤ ص٢٠١٠ في عنوان: «باب من لعنه النبي وسبَّه» برقم ٢٦٠٤ بإسناده عن ابن عباس قال: كنت ألعب مع الصبيان، فجاء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فتواريت خلف باب.

قال: فجاء فحطأني حطأة وقال: «اذهب وادع لي معاوية». قال: فجئت، فقلت: هو يأكل.

قال: ثم قال لي: اذهب فادع لي معاوية.

قال: فجئت، فقلت: هو يأكل.

فقال: لا أشبع الله بطنه.

ورواه أيضاً ابن عبد البر في ترجمة معاوية من الإستيعاب ج٣ ص١٤٢١ برقم ٢٤٣٥ وأبو داود الطيالسي في مسنده ص٣٥٩ برقم ٢٧٤٦ وابن الأثير في ترجمة معاوية من أسد الغابة ج٤ ص٣٨٦.

مرْضاتِ الله﴾(١).

ووصفه الله بالإيمان، فقال: ﴿إنّما وليّكُمُ الله ورسُولُهُ والّذِين آمنُوا [الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ]﴾(٢). والمراد به أمير المؤمنين.

وقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»(٣)..

وأنت أخي في الدنيا والآخرة(٤).

---

(١) الآية ٢٠٧ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٥٥ من سورة المائدة.

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق (ط سنة ١٣٨٩ هـ) ص١٥٢ و ١٥٣ و (ط مؤسسة البعثة) ص٢٣٨ وبحار الأنوار ج٢١ ص١٤٢ و ج١٠١ ص٤٢٣ و ٤٢٤ ومستدرك الوسائل ج١٨ ص٣٦٦ و ٣٦٧ وعلل الشرائع (ط سنة ١٣٨٥ هـ) ج٢ ص٤٧٣ و ٤٧٤ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٦ ص٤٨٦ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج١١ ص٨٠ وغاية المرام ج٢ ص٧٦.

(٤) الخصال للصدوق ص٤٢٩ و ٤٣٠ ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج١ ص٣١٩ و ٣٢٥ و ٣٤٣ و ٣٥٤ و ٣٥٧ و ٣٨٣ وشرح الأخبار ج١ ص١٩١ و ٤٣٢ وج٢ ص٥٣٩ و ٥٤١ والأمالي للشيخ المفيد ص١٧٤ وكنز الفوائد ص٢٨٢ والأمالي للطوسي ص١٩٤ و ٥٧٣ ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص٥٣ و ٥٤ والأربعون حديثاً لابن بابويه ص٧٢ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٣ و ٣٥ والعمدة لابن البطريق ص١٧٠ و ١٧١ و ١٧٢ و ١٨٣ و ١٨٤ والتحصين لابن طاووس ص٦١٧ والطرائف لابن طاووس ص٦٤ واليقين لابن طاووس ص١٢٢ و ٥٠٨ والمحتضر للحلي ص١٨٤ وبحار الأنوار ج٨ ص١٨٥ وج٢٢ ص٤٩٩ وج٣٨ ص١٣٥ و ١٥٥ و ٣٢٢ و ٣٦٦ و ٣٣٨ و ٣٣٩ و ٣٤١ و

وأنت يا معاوية، نظر النبي «صلى الله عليه وآله» إليك يوم الأحزاب، فرأى أباك على جمل يحرِّض الناس على قتاله، وأخوك [عتبة] يقود الجمل، وأنت تسوقه، فقال: لعن الله الراكب والقائد والسائق، وما قابله أبوك في موطن إلا ولعنه، وكنت معه، وولاك عمر الشام فخنته، ثم ولاك عثمان فتربصت عليه..

وأنت الذي كنت تنهى أباك عن الإسلام حتى قلت مخاطباً له:

---

٣٤٤ و ٣٤٥ وج٩ ص٣٣٧ و ٣٣٨ وسنن الترمذي ج٥ ص٣٠٠ والمستدرك للحاكم ج٣ ص١٤ وعمدة القاري ج٢ ص١٤٧ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص١٠٩٩ والرياض النضرة ج١ ص٢٨ وج٣ ص١٢٤ ونظم درر السمطين ص٩٤ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١١ ص٥٩٨ والكامل لابن عدي ج٢ ص١٦٦ و ٢١٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٥١ و ٥٢ وأسد الغابة ج٤ ص١٦ وج٤ ص٢٩ وتهذيب الكمال ج٢٠ ص٤٨٤ وميزان الإعتدال ج١ ص٤٢١ والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص٦٤ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٧ ص٣٧١ وتاريخ الخلفاء ص١٨٧ وبشارة المصطفى ص١٦٧ و ٣١٥ وإعلام الورى ج١ ص٣٦٣ ومطالب السؤول ص٩٣ و ١١١ وكشف الغمة ج١ ص٣٣٦ و ٣٤٢ وج٢ ص٣٦ ونهج الإيمان لابن جبر ص٤٢٧ و ٤٢٨ و ٤٢٩ والعدد القوية ص٢٤٧ وإرشاد القلوب ج٢ ص٢٥٥ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٢١٩ و ٢٨٠ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج١ ص٦٩ وسبل الهدى والرشاد ج٣ ص٣٦٤ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٢٩٣ وينابيع المودة ج١ ص١٧٨ وج٢ ص٣٩٢ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣ وغاية المرام ج١ ص١٨٩ و ٢٥٥ وج٢ ص٢١٧ و ٢٢٨ وج٥ ص٩٣ و ٩٨ و ١٠٠ و ١٠٥ و ١٢٤ و ١٢٨ وج٦ ص١١٦ وذخائر العقبى ص٦٦.

يا صخر لا تسلمنَّ طوعاً فتفضحنا بعد الذين ببدر أصبحوا مزقا

لا تركننَّ إلى أمر تقلّدنا والراقصات بنعمان به الحرقا

وكنت يوم بدر وأحد، والخندق، والمشاهد كلها تقاتل رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقد علمت الفراش الذي ولدت عليه.

ثم التفت إلى عمرو بن العاص وقال: أما أنت يا ابن النابغة، فادَّعاك خمسة من قريش، غلب عليك ألأمهم، وهو العاص، وولدت على فراش مشرك، وفيك نزل: **﴿إِنّ شانِئَك هُو الْأَبْتَرُ﴾**(١).

---

(١) الآية ٣ من سورة الكوثر.

قال العلامة الأميني في ترجمة عمرو بن العاص من الغدير ج٢ ص١٢٠ ما ملخصه:

أبوه [أي العاص] هو الأبتر بنص الذكر الحميد ﴿إِنّ شانِئَك هُو الْأَبْتَرُ﴾، وعليه أكثر أقوال المفسرين والعلماء، وفي بعض التفاسير وإن جاء ترديد بينه وبين أبي جهل وأبي لهب، وعقبة بن أبي معيط وغيرهم.. إلا أن القول الفصل ما ذكره الفخر الرازي، من أن كلاً من أولئك كانوا يشنئون رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا أن ألهجهم به، وأشدهم شنئة العاص بن وائل. فالآية تشملهم أجمع، ويخص اللعين بخزي آكد، ولذلك اشتهر بين المفسرين أنه هو المراد.

وروى التابعي الكبير سليم بن قيس الهلالي في كتابه: أن الآية نزلت في المترجم نفسه، كان أحد شانئي رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما مات ولده إبراهيم، فقال: إن محمداً قد صار أبتر لا عقب له.

وذكره بذلك أمير المؤمنين في أبيات له. وذكره بذلك [أيضاً] عمار بن ياسر يوم صفين وعبد الله بن جعفر.

فالمترجم له هو الأبتر ابن الأبتر، وبذلك خاطبه أمير المؤمنين «عليه السلام» في كتاب

وكنت عدو الله وعدو رسوله وعدو المسلمين..

وكنت أضرّ عليهم من كل مشرك، وأنت القائل:

ولا أنثني عن بني هاشم ... بما اسطعت في الغيب والمحضر

وعن عايب اللات لا أنثني ... ولولا رضى اللات لم تمطر

وأما أنت يا وليد، فلا ألومك عن بغض أمير المؤمنين، فإنه قتل أباك صبراً، وجلدك في الخمر لما صليت بالمسلمين الفجر سكراناً، وقلت: أزيدكم؟

وفيك يقول الحطيئة:

شهد الحُطيئة حين يلقى ربه ... أن الوليد أحق بالعذر[1]

نادى وقد تمت صلاتهم: ... أأزيدكم ـ سكراً ـ وما يدري

ليزيدهم أخرى ولو قبلوا ... لأتت صلاتهم على العشر

فأبوا أبا وهب ولو قبلوا ... لقرنت بين الشفع والوتر

حبسوا عنانك إذ جريت ولو ... تركوا عنانك لم تزل تجري

وسماك الله في كتابه فاسقاً، وسمى أمير المؤمنين مؤمناً في قوله: ﴿أفمنْ كانَ مُؤْمِناً كمنْ كانَ فاسِقاً لا يسْتوُون﴾[2].

له يأتي بقول: «من عبد الله أمير المؤمنين إلى الأبتر ابن الأبتر عمرو بن العاص، شانئ محمد وآله محمد في الجاهلية والإسلام».

(١) صدر هذا البيت لا يتلاءم مع سائر الأبيات في الوزن.

(٢) الآية ١٨ من سورة السجدة.

وفيك يقول حسان بن ثابت وفي أمير المؤمنين:

أنــزل الله ذو الجــلال علينـــا ... في عـــلي وفي الوليـــد قرانـــا

ليس من كان مؤمناً عمرك الله ... كمـــن كـــان فاســقاً خوانـــا

سوف يدعى الوليد بعد قليل ... وعـــلي إلى الجـــزاء عيانـــا

فعـــلي يجـــزى هنـــاك جنانـــا ... ووليـــد يجـــزى هنـــاك هوانـــا

وأما أنت يا عتبة، فلا ألومك في أمير المؤمنين، فإنه قتل أباك يوم بدر، واشترك في دم ابن عمك شيبة، وهلا أنكرت على من غلب على فراشك، ووجدته نائماً مع عرسك، حتى قال فيك نصر بن حجاج:

نبئـــت عتبـــة هيأتـــه عرســـه ... لـــصداقة الهـــذلي مـــن الحيـــان

ألفاه معها في الفراش فلم يكـن ... فحـلاً وأمـسك خـشية النـسوان

لا تعتبن يا عتب نفسك حبّها ... إن النـــساء حبائـــل الـــشيطان

ثم نفض الحسن ثوبه وقام، فقال معاوية:

أمرتكم أمـراً فلـم تـسمعوا لـه ... وقلت لكـم لا تبعـثن إلى الحـسن

فجـاء ورب الراقـصات عـشية ... بركبانهـا يهـوين مـن سرة الـيمن

أخاف عليكم منه طـول لـسانه ... وبعد مـداه حـين إجـراره الرسـن

فلما أبيتم كنت فيكم كبعـضكم ... وكان خطابي فيه غبنـاً مـن الغـبن

فحسبكم ما قال مما علمتم وحسبي بما ألفاه في القبر والكفن[١]

من تعليقات سبط ابن الجوزي:

وقد تولى سبط ابن الجوزي شرح بعض ما ورد في هذا النص، ونحن نذكر هنا شطراً مما ذكره، ولن نغفل عن إيراد بعض الهوامش التي وضعها الأخ الكريم الفاضل حسين تقي زاده..

قال سبط ابن الجوزي:

---

(١) قد ذكر القصة الخوارزمي بنحو آخر في مقتل الحسين ج١ ص١١٤ الفصل السادس في فضائل الحسن والحسين عن يزيد بن أبي حبيب والحارث بن يزيد وابن هبيرة، وابن أبي الحديد في شرح المختار ص٨٣ من باب الخطب من شرح نهج البلاغة ج٦ ص٢٨٥ عن الزبير بن بكار في كتاب المفاخرات، والطبرسي في الإحتجاج ج٢ ص١٧ برقم ١٥٠ عن الشعبي وأبي مخنف، ويزيد بن أبي حبيب المصري، وبهامشه عن كتاب الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن ص٧٣ عن الزبير بن بكار في كتاب المفاخرات، والشيخ الصدوق في الحديث ٧ من المجلس ٧٤ من أماليه ص٣٩٦ عن هشام بن محمد عن أبيه، قال هشام: وأخبرني ببعضه أبو مخنف وغير واحد من العلماء، والباعوني في الباب ٧١ من جواهر المطالب ج٢ ص٢١٧.

وتجد أبيات الحطيئة في الأغاني ج٥ ص١٢٥ في عنوان: «ذكر باقي خبر الوليد بن عقبة ونسبه»، وفي ترجمة الوليد من تهذيب الكمال ج٣١ ص٥٨ وفي ترجمته من الإستيعاب ج٤ ص١٥٥٥ وفي مروج الذهب ج٢ ص٣٣٥ وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٣ ص١٨ ذيل الخطبة ٤٣، وج١٧ ص٢٢٩ ذيل الكتاب ٦٢ وفي ترجمة الوليد في تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ـ مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ج٢٦ ص٣٣٦ الرقم ٢٠٢ وفي ترجمة عثمان من العقد الفريد لابن عبد ربه ج٤ ص٢٨٣ في عنوان: «فرش العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم».

قال الأصمعي وهشام بن محمد الكلبي في كتابه المسمى بـ «المثالب»[١] ـ وقد وقفت عليه ـ: معنى قول الحسن لمعاوية: «قد علمت الفراش الذي ولدت عليه أن معاوية كان يقال: إنه من أربعة من قريش: عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي، ومسافر بن أبي عمرو، وأبي سفيان، والعباس بن عبد المطلب، وهؤلاء كانوا ندماء أبي سفيان، وكان كل منهم يتهم بهند[٢].

فأما عمارة بن الوليد، فكان من أجمل رجالات قريش، وهو الذي وشى به عمرو بن العاص إلى النجاشي، فدعا الساحر، فنفث في إحليله، فهام مع

---

(١) مثالب العرب ص٧٢ في عنوان: «نكاح الجاهلية».

(٢) قال الزمخشري في ربيع الأبرار ج٣ ص٥٥١ تحت عنوان: «باب القرابات والأنساب»:

وكان معاوية يعزى الى أربعة: إلى مسافر بن عمرو، وإلى عمارة بن الوليد بن المغيرة، وإلى العباس بن عبد المطلب، وإلى الصباح، مغنٍّ أسود كان لعمارة بن الوليد.

قالوا: وقد كان أبو سفيان دميماً قصيراً، وكان الصباح عسيفاً لأبي سفيان، شاباً وسيماً، فدعته هند إليها فغشيها.

وقالوا: إن عتبة بن أبي سفيان من الصباح أيضاً.

وقالوا: إنها كرهت أن تدعه في منزلها، فخرجت إلى أجياد، فوضعته هناك.

وفي هذا المعنى يقول حسان بن ثابت أيام المهاجاة بين المسلمين والمشركين في حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله» قبل عام الفتح:

لمن الصبي بجانب البطحاء	في التراب ملقى غير ذي مهد
نجلت به بيضاء آنسة	من عبد شمس صلتة الخد

وعنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج١ ص٣٣٦ ذيل الخطبة ص٢٥.

الوحش، وكانت امرأة النجاشي قد عشقته[١].

وأما مسافر بن أبي عمرو، فقال ابن الكلبي[٢]: عامة الناس على أن معاوية منه، لأنه كان أشد الناس حباً لهند، فلما حملت هند بمعاوية خاف مسافر أن يظهر أنه منه، فهرب إلى ملك الحيرة ـ وهو هند بن عمرو ـ فأقام عنده.

ثم إن أبا سفيان قدم الحيرة، فلقيه مسافر وهو مريض من عشقه لهند، وقد سقى بطنه، فسأله عن أهل مكة، فأخبره.

وقيل: إن أبا سفيان تزوَّج هنداً بعد انفصال مسافر عن مكة، فقال له أبو سفيان: إني تزوجت هنداً بعدك، فازداد مرضه، وجعل يذوب، فوصِف له الكيّ، فأحضروا له المكاوي والحجام، فبينا الحجَّام يكويه، إذ حبق الحجام، فقال مسافر: «قد يَحْبِق العَيْر والمِكْواة في النار»، فسارت مثلاً، ثم مات مسافر من عشقه لهند[٣].

وذكر هشام بن محمد الكلبي[٤] أيضاً في كتاب «المثالب» وقال: كانت

---

(١) أنظر تفصيل القصة في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٦ ص٣٠٤ ذيل الخطبة ٨٣ وفي الأغاني لأبي الفرج الإصبهاني ج٩ ص٥٥ في ضمن ترجمة مسافر بن أبي عمرو.

(٢) مثالب العرب ص٧٢ في عنوان: «نكاح الجاهلية».

(٣) أنظر مثالب العرب ص٧٢ عنوان: «نكاح الجاهلية»، وترجمة الرجل في الأغاني لأبي الفرج الإصبهاني ج٩ ص٥٠ ومجمع الأمثال للميداني ج٢ ص٩٥ الباب ٢١ فيما أوَّله قاف، الرقم ٢٨٥٠، وترجمة هند من تراجم النساء من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ص٤٤٤ برقم ١٢٦ وفي الجميع: «قد يَضْرِط العَير..»، و «يحبق» بمعناه.

(٤) مثالب العرب ص٧٣ في عنوان: «نكاح الجاهلية».

هند من المغيلمات، وكانت تميل إلى السودان من الرجال، فكانت إذا ولدت ولداً أسود قتلته.

قال [ابن الكلبي]: وجرى بين يزيد بن معاوية وبين إسحاق بن طابة بن عبيد كلام بين يدي معاوية، وهو خليفة، فقال يزيد لإسحاق: إن خيراً لك أن يدخل بنوحرب كلهم الجنة، أشار يزيد إلى أن أم إسحاق كانت تتهم ببعض بني حرب.

فقال له إسحاق: إن خيراً لك أن يدخل بنو العباس كلهم الجنة، فلم يفهم يزيد قوله، وفهم معاوية، فلما قام إسحاق قال معاوية ليزيد: كيف تشاتم الرجال قبل أن تعلم ما يقال فيك؟!

قال: قصدت شين إسحاق؟!

قال: وهو كذلك أيضاً.

قال: وكيف؟!

قال: أما علمت أن بعض قريش في الجاهلية يزعمون أنِّي للعباس.

فسقط في يدي يزيد.

قال الشعبي: وقد أشار رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى هند يوم فتح مكة بشيء من هذا، فإنها لما جاءت تبايعه ـ وكان قد أهدر دمها ـ فقالت: على ما أبايعك؟!

فقال: «على أن لا تزنين».

فقالت: وهل تزني الحرة؟!

فعرفها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فنظر إلى عمر فتبسم[١].

إلى أن قال ابن الجوزي: وأما قول الحسن لعمرو بن العاص: ولدت على فراش مشترك، فذكر الكلبي أيضا في كتاب «المثالب»[٢]، قال: كانت النابغة أم عمرو بن العاص من البغايا أصحاب الرايات بمكة، فوقع عليها العاص بن وائل في عدة من قريش، منهم: أبو لهب، وأمية بن خلف، وهشام بن المغيرة، وأبو سفيان بن حرب في طهر واحد [فولدت عمرواً].

قال ابن الكلبي: وكان الزناة الذين اشتهروا بمكة جماعة، منهم هؤلاء المذكورون، وأميَّة بن عبد شمس، وعبد الرحمان بن الحكم بن أبي العاص، أخو مروان بن الحكم، وعتبة بن أبي سفيان أخو معاوية، وعقبة بن أبي معيط، فلما حملت النابغة بعمرو تكلموا فيه، فلما وضعته اختصم فيه الخمسة الذين

---

(١) أنظر تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٦٢ حوادث سنة ٨ وترجمة هند من أسد الغابة ج٥ ص٥٦٢ ومن الإصابة ج٨ ص١٥٥ رقم ١١٨٥٦ ومن الإستيعاب ج٤ ص١٩٢٢ رقم ٤١١٤ والدر المنثور للسيوطي ج٨ ص١٤٠ ذيل الآية ١٢ من سورة الممتحنة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ..﴾ ومجمع البيان ج١٠ ص٤١٤ ذيل الآية، وترجمة هند من تراجم النساء من تاريخ مدينة دمشق ص٤٤٩ وما بعده، ومثالب العرب لابن الكلبي ص٧٥ في عنوان: «نكاح الجاهلية». وراجع: الغدير ج١٠ ص١٦٩ ـ ١٧٠.

(٢) مثالب العرب ص٧٨ في عنوان: «باب تسمية ذوات الرايات وأمهاتهن ومن ولدن» وما بين المعقوفتين منه.

وأورده أيضاً الزمخشري في ربيع الأبرار ج٣ ص٥٤٨ تحت عنوان: «باب القرابات والأنساب»، وعنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٦ ص٢٨٣ ذيل الخطبة ٨٣.

ذكرناهم، كل واحد يزعم أنه ولده، وأكب عليه العاص بن وائل وأبو سفيان بن حرب، كل واحد يقول: والله إنه منّي، [وكان أشبه بأبي سفيان].

فحكّما النابغة، فاختارت العاص، فقالت: هو منه.

فقيل لها: ما حملك على هذا وأبو سفيان أشرف من العاص؟!

فقالت: هو كما قلتم، إلا أنه رجل شحيح، والعاص جواد ينفق على بناتي، وأبو سفيان لا ينفق عليهن، وكان لها بنات[1].

إنتهى ما أردنا نقله من توضيحات لسبط ابن الجوزي، ومن أراد المزيد، فليراجع كتابه.

الحسن وإمامة معاوية:

وقد يتساءل البعض عن عذر الإمام الحسن «عليه السلام» في القول بإمامة معاوية[2].

ونقول:

---

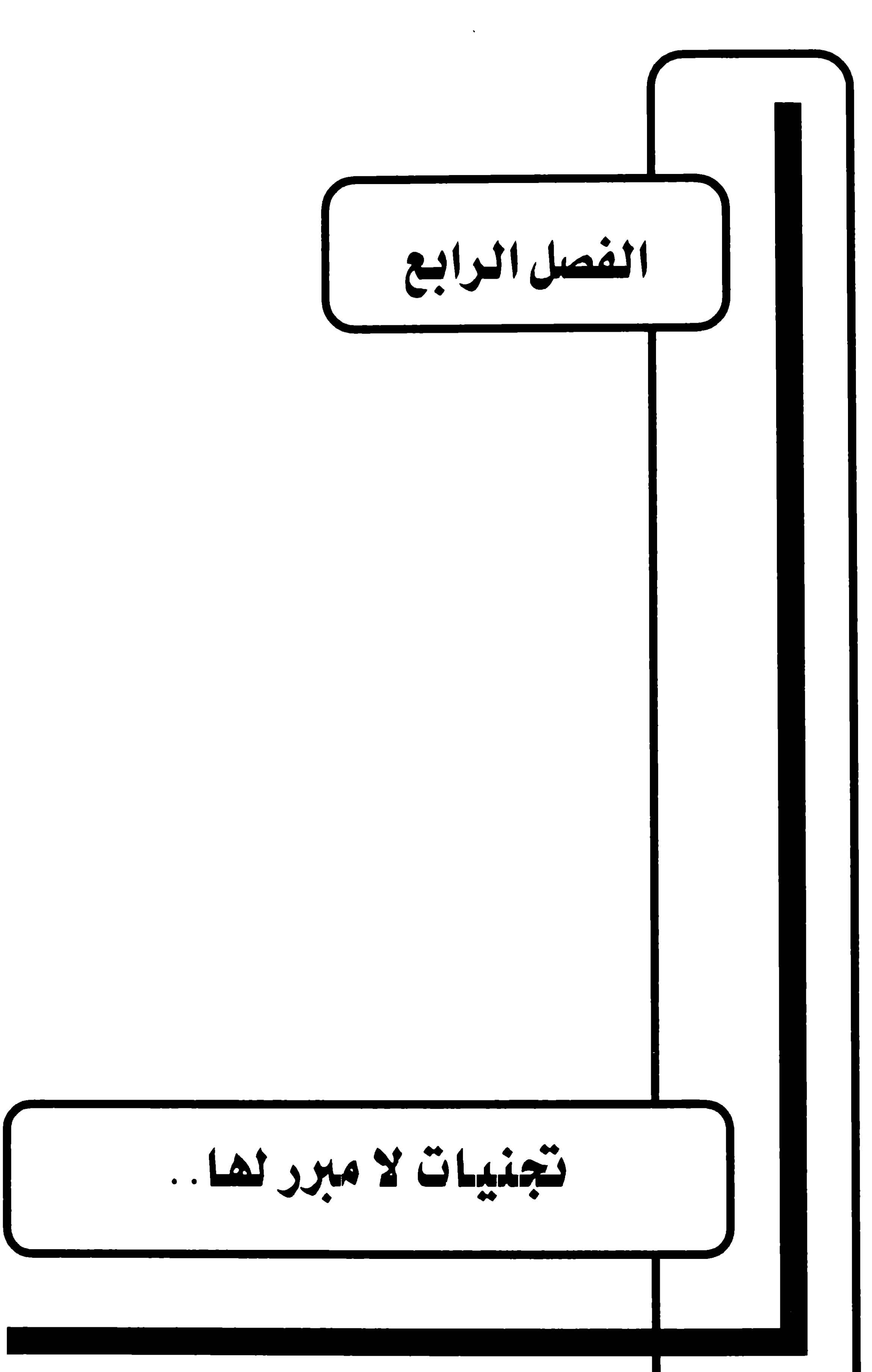
(١) وأورده الكلبي في كتاب مثالب العرب ص٧٩ في عوان: «باب تسمية ذوات الرايات وأمهاتهن ومن ولدن»، نقل المصنف عنه باختلاف لفظي.

وأورده الزمخشري في ربيع الأبرار ج٣ ص٥٥٠ تحت عنوان: «باب القرابات والأنساب»، وما بين المعقوفتين منه، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٦ ص٢٨٤ ذيل الخطبة ٨٣ عن أبي عبيدة معمر بن المثنى في كتاب الأنساب، وفيه: ففي ذلك يقول حسان بن ثابت لعمرو بن العاص حيث هجاه مكافئاً له عن هجاء.

(٢) المصادر في الهامش السابق.

إن هذا لا يعدو كونه كذباً صريحاً، فإن مواقف الإمام الحسن «عليه السلام» التي تتجاوز العشرات من معاوية قبل وبعد الهدنة، وما كان «عليه السلام» يسبغه من أوصاف تدل على أنه كان يرى معاوية ليس فقط لا يصلح لشيء، بل هو آفة وعاهة، وشر ماحق وفساد ساحق..

ولعل هذا الزعم من التسويلات الشيطانية لأتباع معاوية ومحبيه.



الفصل الرابع

تجنيات لا مبرر لها ..

تبريرات شيطانية:

قالوا:

إن الإمام الحسن «عليه السلام» أرسل إلى معاوية بشروط الصلح التي يريدها، فاحتفظ معاوية بورقة الإمام الحسن «عليه السلام» هذه، وكان معاوية قبل وصول الورقة إليه قد أرسل إلى الإمام الحسن «عليه السلام» صحيفة بيضاء مختومة في أسفلها، ليشترط فيها ما شاء، فوصلت هذه الصحيفة إلى الإمام بعد بعثه رسالته إلى معاوية، فكتب الإمام في هذه الصحيفة المختومة أضعاف ما كان قد شرطه، ثم أمسكها.

فلما سلم الإمام الحسن «عليه السلام» الأمر لمعاوية طلب منه الوفاء بالشروط التي اشترطها في الورقة المختومة، فلم يف له بها، فقال له: لك ما كنت كتبت إليَّ أولاً، فقد أعطيتك إياه حينما جاءني كتابك، فقال له الحسن: وأنا قد اشترطت، وأعطيتني العهد على الوفاء بما فيه.. فاختلفا في ذلك، فلم ينفذ للحسن من الشروط شيئاً[1].

---

(١) راجع: الكامل في التاريخ ج٣ ص٤٠٥ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤

ونقول:

لاحظ ما يلي:

أولاً: تقول الرواية: إن الإمام حين جاءته الرسالة المكتوبة كتب شروطه عليها وأمسكها عنده، وسؤالنا هو: لما أمسك الإمام «عليه السلام» هذه الورقة، ولم يرسلها إلى معاوية، ليعرف على ماذا تعقد الهدنة، وليعرف إذا كان معاوية يعطيه هذه الشروط، كلاً أو بعضاً؟!

ثانياً: تقدم أنهم يقولون: إن ثمة شهوداً قد شهدوا على وثيقة العهد، وقد ذكرنا العديد من النصوص المصرحة بذلك، والسؤال هو: أنهم على أي الوثيقتين شهدوا؟! فحينما يشهدون على واحدة منهما تصبح هي المعتمدة، ويذكرون من الشهود: عبد الله بن عامر، وعبد الله بن سلمة الهمداني، وعبد الرحمن بن سمرة، ومحمد بن الأشعث الكندي، وقد ذكر البلاذري: أن الإمام الحسن «عليه السلام» رفض شروط معاوية، وأرسل إليه الصحيفة البيضاء المختومة(١).

ثالثاً: لو قبلنا هذه الرواية المزعومة حول إمساك كل منهما الصحيفة التي وصلت إليه من الطرف الآخر، فإنها إن بررت لمعاوية رفض الشروط

ص١٢٣ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص١٨٦ وتاريخ مدينة دمشق (ط دار الفكر سنة ١٤١٥هـ ق) ج١٣ ص٢٧٢.

(١) أنساب الأشراف ج٣ ص٢٨٥ و (بتحقيق المحمودي ـ ط دار التعارف) ترجمة الإمام الحسن ص٤٠ و ٤١ و ٤٢.

التي في الصحيفة المختومة، فلماذا لا يفي بالشروط التي زعمت الرواية أنه أعطاه إياها أولاً؟!

رابعاً: لماذا سجل الإمام في الصحيفة المختومة أضعاف ما كان شرطه أولاً؟! هل كان قد نسي تلك الشروط في البداية، ثم تذكرها بعد ذلك؟! أو أنه أراد أن يغتنم الفرصة للحصول على أكبر قدر ممكن من الإمتيازات بصورة فيها نوع من التغفيل واستغلال الفرصة؟!

خامساً: إننا نرى: أن هذه الرواية تريد أن تظهر ضعف سياسة الإمام الحسن «عليه السلام» مقابل سياسة معاوية المحكمة والقوية.

كما أنها تريد أن تجد العذر لمعاوية في نقص الشروط، أو ما يشبه العذر له في ذلك.

فوائد الهدنة عند العسقلاني:

وقد ذكر العسقلاني فوائد لعقد الهدنة الذي أبرم بين الإمام الحسن «عليه السلام» ومعاوية، وهي التالية:

١ ـ فيه منقبة للإمام الحسن «عليه السلام»، حيث إنه ترك الملك، لا لقلة، ولا لذلة، ولا لعلة، بل لرغبة فيما عند الله، لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى أمر الدين، ومصلحة الأمة.

٢ ـ فيه رد على الخوارج الذين يكفِّرون علياً ومن معه، ومعاوية ومن معه، بشهادة النبي «صلى الله عليه وآله» للطائفتين: بأنهم من المسلمين.

٣ ـ فيه فضيلة الإصلاح بين الناس، ولاسيما حقن دماء المسلمين.

٤ ـ فيه دلالة على رأفة معاوية بالرعية، وشفقته على المسلمين، وقوة نظره في تدبير الملك، ونظره في العواقب.

٥ ـ فيه دلالة على صحة ولاية المفضول للخلافة مع وجود الأفضل.

٦ ـ جواز خلع الخليفة نفسه إذا رأى في ذلك صلاحاً للمسلمين.

٧ ـ جواز النزول عن الوظائف الدينية والدنيوية بالمال، وجواز أخذ المال على ذلك، وإعطائه، بعد استيفاء شرائطه: بأن يكون المنزول له أولى من النازل، وأن يكون المبذول له من مال الباذل.

فإن كان ولاية عامة، وكان المبذول من بيت المال اشترط أن تكون المصلحة في ذلك عامة[1].

ونقول:

إن ما ذكره العسقلاني غير سديد، وذلك لما يلي:

أولاً: قوله: إن الإمام الحسن «عليه السلام» ترك الملك، لا لقلة، ولا لذلة، ولا لعلة، غير دقيق.. فقد ذكرنا: أنه إنما ترك الحرب ولجأ إلى المهادنة بسبب الخيانات من قادة جيشه، ومن أكثر رؤساء الكوفة، ولأن أحداً لم يستجب له منهم حين ندبهم لحرب عدوهم، ولتشتت آرائهم، ومحاولاتهم قتله، وغير ذلك من أسباب بيّناها أكثر من مرة في هذا الكتاب.

فما زعمه العسقلاني مما يخالف ذلك يعدّ تدليساً على الناس، وتعمية،

---

(١) فتح الباري ج١٣ ص٥٧.

وتضليلاً لا مبرر له، إلا الهوى وعدم الأمانة، ومجانبة الصدق والموضوعية في البحث.

ثانياً: تقدم أن حديث: إن الله يصلح بالحسن «عليه السلام» بين فئتين من المسلمين يخالف تصريحات كثيرة من علي وأبنائه: بأنه «عليه السلام» لا يعترف لمعاوية ومن معه بإيمان ولا بإسلام(١).

وتقدم: أن ثمة تحريفات في حديث الإصلاح هذا، وإنما القدر المتيقن: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: يصلح الله به بين فئتين، أو نحو ذلك.

كما أن أن معاوية قال للحسين بن علي «عليه السلام»: يا أبا عبد الله، علمت أنَّا قتلنا شيعة أبيك، فحنطناهم، وكفنَّاهم، وصلينا عليهم، ودفناهم؟!

فقال الحسين: حجرك، ورب الكعبة، لكنا والله إن قتلنا شيعتك ما كفناهم، ولا حنطناهم، ولا صلينا عليهم، ولا دفناهم(٢).

ثالثاً: بالنسبة لفضيلة الإصلاح بين الناس نقول:

إن الإصلاح بين الناس يراد به عادة: أن يحصل خلاف بينهم، ثم يأتي من ليس طرفاً في المشكلة، ويتوسط بين الطرفين، ويصلح بينهما، وما هو

---

(١) راجع: صفين للمنقري ص٥٠٩ وبحار الأنوار ج٣٢ ص٥٤٣ وشجرة طوبى ج٢ ص٣٤٥ ونهج السعادة ج٢ ص٢٧١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢ ص٢٣٣ وينابيع المودة ج٢ ص٢٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٣١.

حاصل هنا هو بغي معاوية ومن معه على الخليفة الشرعي، وهو الإمام الحسن «عليه السلام» قبل عقد الهدنة، وبعده.

وقد رد الإمام الحسن «عليه السلام» غائلة هذا البغي بالهدنة، واعتزال الحرب إلى أن تتغير الظروف حتى لا يفتك ذلك الباغي بالناس، ويجتث المؤمنين من على وجه الأرض، ولكن معاوية واصل بغيه بنقض شروط الهدنة، فلماذا يتعمدون تحريف الوقائع على هذا النحو؟!

رابعاً: بالنسبة لدلالة الهدنة على رأفة معاوية نقول:

لم يتضح لنا الوجه فيها، فإنه قد أتى بستين ألفاً، أو أكثر، ليقتل الناس من أجل أن يتأمر عليهم، كما صرَّح به هو نفسه، متجاهلاً، ومخالفاً بذلك أوامر الله سبحانه.

وهل تدبير الملك يكون بشن الحروب الطاحنة على أهل بلاد غير بلاده، وقتل الأبرياء، والأخيار والعلماء، دونما سبب سوى إشباع شهوة التسلط على الآخرين؟! وهل كان العراق والحجاز واليمن وغير ذلك داخلة في ملكه، ثم انفصلت عنه؟!

وهل نظر في العواقب حين حارب علياً في صفين، وتسبب بقتل سبعين ألف قتيل؟! وما هو الضرر الذي يلحقه لو حكم علي والحسن «عليهما السلام» بلاداً لا سلطة لمعاوية عليها، ولا يريد أهلها أن يكون هو الحاكم عليهم؟!

وهل قتل حجر بن عدي وغيره من الأبرار الأتقياء، والأوامر التي أصدرها لعماله بقتل شيعة علي تحت كل حجر ومدر، هل ذلك من مفردات رأفة معاوية بالناس، وشفقته عليهم، ومن مفردات تدبير الملك؟!

خامساً: وعن صحة ولاية المفضول مع وجود الأفضل نقول:

أي عقل سليم يرضى بهذه المقولة؟! ألا يعد ذلك عبثاً بمصالح العباد، وتضييعاً للحقوق، وهدماً لبناء الدين الشامخ، وعدواناً على مستقبل الأمة؟!

سادساً: وعن جواز خلع الخليفة نفسه رعاية لمصلحة المسلمين نقول:

إن الإمام الحسن «عليه السلام» لم يخلع نفسه، ولا دليل على أنه بايع معاوية سوى ادِّعاءات محبي معاوية..

وقد قلنا: إن ما جرى لا يمكن عدّه صلحاً، وحتى لو كان صلحاً، فليس بالضرورة أن يبايع أحد المتصالحين الآخر..

بل ما جرى كان هدنة، وعزوفاً عن الحرب، فلا يوجد خلع لهذا، ولا تنصيب لذلك.

سابعاً: وأقبح ما ذكره العسقلاني: هو دعواه: أن الإمام الحسن «عليه السلام» تنازل عن وظيفته الدينية، والدنيوية بالمال. أي إن جشعه إلى المال قد دعاه لبيع منصبه لقاء حفنة منه، فإن هذه إهانة للإمام الحسن، وتحقير له، مع أن هذا المقام قد جعله الله ورسوله له، وليس له أن يتخلى عنه من تلقاء نفسه، لا في مقابل مال، ولا بدونه، كما لا يحق للنبي أن يسلخ نفسه من النبوة مقابل مال أو بدونه.

وأقبح من ذلك: ادِّعاء العسقلاني: أن هذا إنما يصح إذا كان معاوية أولى من الإمام الحسن بمقام الخلافة، مع أن معاوية هو الرجل القاتل، والمعتدي، والخارج على إمام زمانه، والمرتكب للعظائم والمآثم والجرائم، والغادر، والناكث للعهود، الذي يجعل العمل بكتاب الله وسنة رسوله تحت قدميه، ويرفض

العمل بهما.

والأغرب من ذلك: أنه اشترط أن يكون المال المبذول من مال الباذل، وأي نص يثبت أن معاوية قد بذل للإمام الحسن أموالاً يملكها؟!

وهل كان لديه من المال ما يبذله، سوى ما في بيت مال المسلمين؟!

ولا نملك هنا إلا أن نقول:

من كان يخلق ما يقول فحيلتي فيه قليلة

ونقول لهؤلاء:

قال تعالى: ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾[2].

الخلافة مقابل وفاء الدين:

قال الصفدي: «هذا الحسن بن علي قال لمعاوية: إن عليَّ ديناً، فأدوه عني، وأنتم في حل من الخلافة، فأوفوا دينه، وترك لهم الخلافة»[3].

وقال «فيليب حتي» عن الإمام الحسن «عليه السلام»: إنه «كان يميل إلى الترف والبذخ، لا إلى الحكم والإدارة، لم يكن رجل الموقف، فانزوى عن الخلافة مكتفياً بهبة سنوية منحه إياها»[4]، يعني معاوية.

---

(١) الآية ٥٩ من سورة يونس.

(٢) الآية ١٤٨ من سورة الأنعام.

(٣) شرح لامية العجم ج٢ ص٢٧.

(٤) العرب ص٧٨.

ونقول:

إننا نريد أن نغض النظر عن جميع ما تقدم في الفصول السابقة، فإنه كله يصلح جواباً لهذه المزاعم..

ونكتفي بالإشارة إلى ما يلي:

أولاً: بالنسبة لما قاله الصفدي نلاحظ:

ألف: هل الخلافة تشترى وتباع بالمال؟!

ب: لو كان الأمر كذلك لما احتاج الأمر إلى كل هذه الجيوش التي جاء بها معاوية، وهي تعد بعشرات الألوف، ولا إلى الجيوش التي حاول جمعها الإمام الحسن «عليه السلام»، وأرسلها لمواجهة وصد معاوية.

ج: إن الأموال التي أنفقها الإمام الحسن «عليه السلام» على عساكره، وقد زادهم في عطائهم مئة مئة، وما كان يحتاجه في تجهيز وتموين تلك الجيوش طيلة ستة أو ثمانية أشهر كان يكفي جزء يسير منه لأداء ديون المئات أو الألوف من الناس.

د: إن الأرقام التي ذكروا: أن معاوية أعطاها للإمام الحسن «عليه السلام» قد جاءت متباعدة جداً، كما سنشير إليه.. بالإضافة إلى خراج بعض البلاد لمدة سنة، أو مدى الحياة.. وقد ذكرنا بعض الأقوال في ذلك مع بعض مصادرها في فصل الشروط.

هـ: ما هو حجم الديون التي يحتاج أداؤها إلى بيع الخلافة؟! وأين صرف «عليه السلام» هذه الأموال الطائلة والهائلة؟!

و: ألم يكن إبقاء الخلافة في يده أكثر فائدة وتأثيراً في جمع الأموال، إن كان الإمام الحسن «عليه السلام» من طلاب الدنيا، ومن المفتونين بأموالها، وزبارجها، وبهارجها، ـ وحاشاه ـ؟!

ز: إن الذي نصب الإمام الحسن «عليه السلام» لهذا الأمر، وهو مقام الخلافة والإمامة، إما أن يكون هو الله تعالى ورسوله، أو الإمام الذي كان قبله، أو الأمة من خلال بيعتها له، أو كان النصب منهم جميعاً.

وجعل الخلافة له، إنما يعني إعطاءه ولاية التصرف والتدبير للناس ولغيرهم، ولا يملك أحد هذا الحق في ذاته، ولا تلغى هذه الولاية إلا من قبل من جعلها..

وليست الخلافة ملكاً، أو أي شيء آخر يقع عليه البيع والشراء، أو التبادل بينها، وبين الأمور المادية.

ح: كما أن قوله لهم عن دَيْنِهِ: أدُّوه عني، هل يريد به: أن يؤدوه من أموالهم، أو من بيت مال المسلمين الذي سوف يستولون عليه بهذا البيع؟! وهل يصح أن يعطي شيئاً ويأخذ عوضاً عنه من أموال الناس التي استولى عليها غاصب باغ وظالم؟!

ولو كان هذا الدَّين يؤدى من بيت مال المسلمين، فبيت مال المسلمين بيده، فلماذا لا يؤدي منه ديونه قبل عقد الهدنة؟!

ط: لماذا خصَّ معاوية بهذا البيع للخلافة؟! ألم يكن بإمكانه أن يختار شخصاً أكثر حرصاً على مصالح الناس، وأكثر رفقاً، وأكثر مراعاة للأمانة، وللشرع والدين والأخلاق فيهم؟!

ثانياً: بالنسبة لما ذكره «فيليب حتي» نقول:

ألف: إن ما ذكره من ميل الإمام الحسن «عليه السلام» إلى حياة الترف، والبذخ إنما استقاه من شائعات الأمويين ضد الإمام «عليه السلام»، وبعض الكلام في ذلك نسبوه إلى أبيه. كما يلاحظ في مصادر أتباع وأنصار النهج الأموي.

ب: إن سيرة الإمام الحسن «عليه السلام» تكذب هذه المقولات، وأدنى مراجعة لها تظهر هذه الحقيقة، فلا نرى حاجة لحشد النصوص حول هذا الأمر، ونكتفي بالإشارة إلى أنه «عليه السلام» هو القائل:

لكسرة من خسيس الخبز تشبعني ... وشربة من قراح الماء تكفيني

وطمرة من رقيق الثوب تسترني ... حياً وإن مت تكفيني لتكفيني[1]

وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

يا أَهْلَ لَذَّةِ دُنْيا لا بَقاءَ لَها ... إِنَّ اغْتِراراً بِظِلٍّ زائلٍ حُمُقٌ[2]

وعنه أنه قال:

قل للمقيم بغير دار إقامة ... حان الرحيل فودِّع الأحبابا

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص١٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٨١ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣٤١ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٤٧٤.

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٧٠٦ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣٤١ وج٧٠ ص١٢٢ عن تنبيه الخاطر ص٦٩ و ٧٠ و ٧٧ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٤٧٤ وفي مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٨٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٢٥: أن القائل هو الإمام الحسين.

إن الـــذين لقيـــتهم وصـــحبتهم صـــاروا جميعـــاً في القبـــور ترابـــا[١]

وقال مدرك بن زياد ما ملخصه:

كنا في حيطان ابن عباس (أي بساتينه) فجلسوا على ضفاف السواقي.

فقال الحسن: يا مدرك، هل عندك غداء؟!

فقلت: نعم.

ثم جاءه بخبز وملح، وطاقتين من بقل، فأكل منه، وقال: يا مدرك، ما أطيب هذا.

ثم جيئ بالطعام، وكان في غاية الحسن والجودة، فأكلوا، ولم يأكل الإمام، فسأله مدرك عن سبب ذلك، فقال: إن ذاك الطعام أحب عندي[٢].

والطعام الذي في غاية الحسن والجودة تجسيد للبذخ والترف..

وقد ذكر «عليه السلام»: أنه ليس من الأمور المحببة عنده، بل طاقة بقل، وخبز وملح هو الأحب عنده، وهو الأطيب لديه..

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص١٤٥ و (ط أخرى) ج٤ ص١٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٨١ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣٤٠ ومستدرك سفينة البحار ج١ ص١٨٤ وج٥ ص٤٧٤.

(٢) ترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص١٣٥ ـ ١٣٦ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٣٨ ـ ٢٣٩ وترجمة الإمام الحسين من الطبقات الكبرى لابن سعد ص٣٢ ـ ٣٣ و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٦ ص٣٠٨ عن مختصر تاريخ دمشق (ط دار الفكر) ج٧ ص٢١.

ج: إن نفي «فيليب حتي» أن يكون الإمام الحسن «عليه السلام» يميل إلى الحكم والإدارة، يرد عليه:

أولاً: أن هذا صحيح في نفسه، إن كان المقصود: أنه لا يميل إليه بما هو مقام دنيوي، فيه جاه عريض، ونفوذ كلمة، وإرضاء للنزعات الشخصية.. أما إن كان واجباً إلهياً، ومسؤولية شرعية.. فهو «عليه السلام» لا يتخلى عن الواجب، ولا يخالف حكم الشرع.

ثانياً: إن كلام «فليب حتي» عن الميل النفسي لهذا الأمر أو لذاك، ما هو إلا حديث عن حالة نفسية، لا يعرفها إلا علام الغيوب، ولاسيما بعد مضي ألف وأربع مئة سنة من الزمن الذي كان يعيش فيه الرجل المقصود بهذا الحكم الغيبي الصارم، وعدم وجود شواهد تشير إلى نفي هذا الميل، أو إثباته.

بل الشواهد متوفرة على أنه «عليه السلام» الرجل الكامل، المسدد والمعصوم والمؤيد، وكان جده رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأبوه علي «عليه السلام» أعرف به من كل أحد، لأنهما «صلوات الله عليهما» هما اللذان ربيا الإمام الحسن «عليه السلام»، وهما أعرف الناس بخصائصه وميزاته «عليه السلام»، بما لهما من عقل راجح، ونظر ثاقب، ورأي صائب، فكيف إذا كان جده أفضل الخلق، وأعظم الرسل، وقد قال الله تعالى عنه: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾؟!

فما يقوله «صلى الله عليه وآله» في حق الإمام الحسن ليس استجابة لهوى،

بل هو مأخوذ عن عالم الغيب والشهادة وعن خبرة ومن دون ارتجال، ولا تأثر بهوى، وبصيرة نافذة.

أما «فيليب حتي»، فلا يملك علم الغيب، وليس منزهاً عن الإستجابة لنوازع الهوى، والتأثر بما يقوله أعداء الإمام، وأعداء نهجه بادّعاءات أهل الباطل، ولا يتحرج من أخذ أقوالهم وأفعالهم كمستندات، تبرِّر له الحكم على أوصياء الأنبياء والمطهرين بالأحكام الجائرة والقاصرة، وأن يتخذ من شائعات أعداء الحق والدين ذريعة لنقض من ثبتت عصمته، وظهر فضله، واشتهر كماله، وعلمه، وتجلت براعته في إدارة الأمور بنحو يتمكن فيه من حفظ الناس من شيعته وغيرهم، من التعرض للإبادة والاستئصال.

د: إن هذا الذي ذكرناه آنفاً يسقط قول «فيليب حتي»: إن الإمام الحسن لم يكن رجل الموقف، إذ إنه «عليه السلام» لو لم يكن رجل الموقف، لم يكن معنى لقول النبي الذي لا ﴿**يَنْطِقُ عَنِ الْهُوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾: الحسن والحسين «عليهما السلام» إمامان، سواء قاما بالأمر أو قعدا، بسبب عدوان الظالمين وبغي الباغين..

كما أن أباه علياً قد جعله خليفة من بعده، وقد بايعته الأمة أيضاً.. وهو «عليه السلام» أعرف بولده من «فيليب حتي» وغيره.

فمن أين اكتشف فيليب حتي: أن الإمام الحسن «عليه السلام» لم يكن رجل الموقف، وأي شيطان من الأنس والجن، أو شيطان هوى أوحى إليه بذلك. فلو لم يكن «عليه السلام» رجل موقف، فلماذا لم يتركه معاوية وشأنه بعد عقد الهدنة، بل دسَّ إليه السم على يد زوجته جعدة بنت الأشعث؟!

هـ: أما اكتفاؤه «عليه السلام» بمنحة سنوية، منحه إياها معاوية، فقد تقدم حين الحديث عن كلام الصفدي بعض ما يفيد في هذا الأمر.

العلايلي وموجة السأم:

وقال العلايلي عن الإمام الحسن «عليه السلام»:

«إن الحسن كان قديراً على أن يَعِدَ[١] الجماعات المنحلّة عن طريق الإستثارة والحماس، وبث روح العزم والإرادة، كما رأينا في القادة الحديديين أمثال نابليون الذي تولى شعبا أنهكته الثورة الطويلة، كما أنهكت الغرب، وزاد هو في إنهاكه بالحروب المتتالية المستمرة التي أخذ بها أوربا..

ولكن القائد ـ يعني الإمام الحسن «عليه السلام» ـ غمرته موجة السأم التي غمرت الناس»[٢].

ونلاحظ على كلام العلايلي:

أولاً: هناك فرق كبير بين سياسات ونهج الإمام الحسن وعلي والنبي، وسائر أهل العصمة والتقوى والفضل والدين في الناس، وبين سياسات ونهج نابليون وأضرابه من الظالمين والضالين في سياستهم لهم، فإن أهل التقوى والعصمة والدين يعاملون الناس وفق أحكام الشرع والدين، والقيم والأخلاق الإنسانية.

---

(١) مأخوذة من الوعد.

(٢) الإمام الحسين للعلايلي ج٢ ص٢٨٣ وحياة الإمام الحسن للقرشي ج٢ ص١١٢ و ١١٣.

وبهذا الأسلوب، وهذا النهج عامل علي «عليه السلام» والإمام الحسن الناس، وكانت الطريقة المثلى التي لم تكن أية طريقة أخرى تضارعها، مع التأكيد على المنطلق الإيماني الذي يقوم على أساس أن ثمرات الجهاد في الدنيا والآخرة لا تعود للحاكم، أو للقائد، بل هي ملك لمن جاهد وضحى، وتعب وناضل، فرداً فرداً، بمقدار بذله، وحسن نيته، وسلامة ممارسته..

ولكن نابليون وأمثاله، يرون أن ثمرات الجهاد تصبُّ في مصلحة الحاكم والقائد المتسلط، وإنما الناس أدوات بين يديه توصله إلى غاياته، فإذا حصل الحاكم والقائد على ما يريد، فقد انتهى دور الأدوات، ولم يعد لها قيمة.

كما أن منطلقات هؤلاء الظالمين في التعامل مع الناس تختلف جذرياً عن منطلقات الأنبياء وأوصيائهم، فنابليون وأضرابه تكون وسيلتهم لحمل الناس على ما يريدون أحد أمرين:

الأول: إطلاق شعارات فارغة، وحماسيات خاوية لا تتعدى الدغدغات للمشاعر والإثارات العاطفية، لا تلبث أن تنكمش وتتلاشى، ثم ما وراء عبادان قرية، لأنها فاقدة المضمون..

الثاني: إن البطش والعدوان، والأذى، والعقوبات، والقهر هي الوسيلة الأكثر حضوراً، لدى هؤلاء الظالمين التي أعدوها لكل من تلكأ أو تباطأ، أو تبرم، أو توهموا فيه ذلك، كما أن من حاول أن يتكلم ويستفهم، فإن مصيره ربما ينتهي إلى الدمار والبوار.

ثانياً: إن دعوى العلايلي: أن الإمام الحسن «عليه السلام» قد تراجع تحت تأثير موجة السأم التي ألمت بالناس، فغمرته كما غمرتهم، فيه مجافاة

للحقائق.. فإن القضية إذا كانت تلامس مصير شعب، وفيها خطر عليه، ربما ينتهي بالإستئصال والإبادة، وفيها خطر على الدين والحق، لا يتعامل معها الإمام الحسن «عليه السلام» بمنطق السأم والرغبة، بل بمنطق الواجب الإلهي والمسؤولية الشرعية والإنسانية، وشتَّان ما بينهما..

فإن التخلي عن الواجب الإلهي والمسؤولية الشرعية والإنسانية يثمر الهلاك في الدنيا والآخرة.

أما السأم، فإنما تُطلب الراحة الدنيوية للتغلب عليه، ولا يطلب فيه التعب والنصب، وركوب الأخطار.. ولا يُقدم عاقل على التسبب بسفك دماء أمة، ومحق دين، وإلقاء نفسه في جهنم في الآخرة، استجابة لحالة سأم ألمت به.

رونلدسن والقابليات القيادية:

وقال المستشرق: «دوايت. م. رونلدسن»: «الأخبار تدل على أن الحسن كانت تنقصه القوة المعنوية، والقابلية العقلية لقيادة شعبه بنجاح..»[١].

ونقول:

أولاً: أين هي الأخبار التي دلت هذا المستشرق على عدم وجود القابلية العقلية لقيادة الإمام الحسن «عليه السلام» لشعبه، فإننا بالرغم من سعينا للإطلاع على أكبر عدد ممكن من الأخبار عن الإمام الحسن «عليه السلام»، لم نجد ما يؤكد هذا الزعم؟!

---

(١) عقيدة الشيعة تعريب (ع. م. ص)، وحياة الإمام الحسن للقرشي ج٢ ص١١٣. وراجع الفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ هامش ص٧٢٣.

ثانياً: إن هذا القائل لا يفرق بين الإمام الحسن «عليه السلام» وبين أي إنسان آخر، بل هو يتعامل مع النصوص من دون تمحيص، ويوردها على أنها الحقيقة والواقع، استناداً إلى حدسيات واستحسانات، وأهواء، بل هو يأخذ شائعات، وأكاذيب لعدو على عدوه لإسقاطه، أو إضعافه على أنها حقائق واقعة، وبراهين قاطعة، مع أنها قد تكون مجرد وسيلة حرب ومواجهة، وليس لها في واقع الأمر عين ولا أثر..

كما أنه لا يفرق بين الكاذب الذي يرى أن الغاية تبرر الوسيلة، فلا يدَّخر وسيلة، مهما كانت غير مشروعة إلا ويستفيد منها للوصول إلى غاياته.. ويرى ذلك كمالاً وعقلاً، وسياسة، وكياسة.. وبين الصادق الذي يلتزم بمنهج وشرع وقيم أخلاقية، وإنسانية.. فيقدم ويحجم على أساسها.

بل ربما كان الأول أحب إلى قلبه من هذا الثاني.

ثالثاً: روي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو جد الإمام الحسن، الذي رباه ونماه، وفق ما يريده الله وهو أعرف به من جميع البشر في كل زمان أنه قال: لو كان العقل رجلاً لكان الحسن[1]. والنبي «صلى الله عليه وآله» لا ينطق عن الهوى.. وهذا المستشرق ليس فقط لم ير الإمام الحسن «عليه السلام»، بل يفصل بينه وبينه حوالي أربعة عشر قرناً من الزمان. وهو لا يميز

---

(١) راجع: فرائد السمطين ج٢ ص٦٨ ومقتل الحسين للخوارزمي (ط الغري) ج١ ص٦٠ ومائة منقبة لابن شاذان ص١٣٥ منقبة ٦٧ وغاية المرام ج٥ ص٣٤ و ٢٠٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص٥٠٢ وج١٥ ص١٣٣ عن مودة القربى (ط لاهور) ص١١٨.

بين من يأخذ منهم ويعتمد عليهم، بل هو كحاطب ليل لا ينطلق من مبادئ وقيم أخلاقية وإنسانية، بل يتبع ما تقوده إليه أهواؤه ورغباته، وحدسياته، ومناسبات توهمها وجعلها هي الرابط، مع أنها قد لا تكون خالصة من الشوائب والأحقاد، والسياسات، والعصبيات في أحيان كثيرة.

رابعاً: إن ما ذكرناه آنفاً في ردّ كلام العلايلي وغيره ـ أو بعضه ـ جارٍ هنا أيضاً، فليلاحظ ذلك.

«لامنس»: الحسن قعيد الهمة:

أما «لامنس»، فقد بالـغ في التجني على الحقيقة، وأوغـل في الشطط، حيث قال:

«بويع الحسن بعد مقتل علي، فحاول أنصاره أن يقنعوه بالعودة إلى قتال أهل الشام، وقلب هذا الإلحاح من جانبهم حفيظة الإمام الحسن القعيد الهمَّة، فلم يعد يفكر إلا في التفاهم مع معاوية..

كما أدى إلى وقوع الفرقة بينه وبين أهل العراق.. وانتهى بهم الأمر إلى إثخان إمامهم ـ اسماً لا فعلاً ـ بالجراح.

فتملكت الحسن منذ ذلك الوقت فكرة واحدة، هي الوصول الى اتفاق مع الأمويين، وترك له معاوية أن يحدِّد ما يطلبه جرَّاء تنازله عن الخلافة.

ولم يكتف الحسن بالمليوني درهم التي طلبها معاشاً لأخيه الحسين، بل طلب لنفسه خمسة ملايين درهمٍ أخرى، ودخْل كورة فى فارس طيلة حياته.

وعارض أهل العراق بعد ذلك في تنفيذ الفقرة الأخيرة من هذا

الإتفاق.. بيد أنه أجيب إلى كل ما سأله، حتى إن حفيد النبي اجترأ، فجاهر بالندم على أنه لم يضاعف طلبه، وترك العراق مشيَّعاً بسخط الناس عليه، ليقبع في المدينة»(١).

وقال: إن معاوية كان واثقاً «من قعود همته، وإيثاره للدعة»(٢).

ونقول:

لا بأس بملاحظة ما يلي:

أولاً: إن كان الإمام الحسن «عليه السلام» قعيد الهمة، وكان معاوية واثقاً من ذلك، ولم يعد يشغل باله به، فلماذا دسَّ إليه السم من خلال زوجته جعدة بنت الأشعث؟!

ثانياً: الغريب في الأمر: أن «لامنس» يتهم الإمام الحسن: بأنه قعيد الهمة، وبأنه قبع بالمدينة، وبغير ذلك من كلمات جارحة، واتهامات، وافتراءات، لأنه لم يطع الشكاك والخوارج، والخونة، الذين أصروا عليه بقتال معاوية، في حين أننا ـ كما قال بعضهم ـ: «ما رأينا قط: أن حب السلام في أمة واحدة، جنسها واحد، ودينها واحد، ولغتها واحدة يكون موضع الطعن والتشهير بمن يرغب فيه»(٣).

فكيف إذا كان هذا السلام يتوخى منع الإبادة لأمة من الناس، وإزالتها

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ج٧ ص٤٠٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ج٧ ص٤٠٢ عن أحمد شاكر.

من على وجه الأرض كلها، أو كانت هذه الحرب سوف تؤدي إلى محق الدين والحق، وتقويض دعائمه؟!

إن الذين اعتدوا على الإمام الحسن «عليه السلام» كانوا من أعدائه المعروفين باسم الخوارج، أو من طلاب الدنيا، الذين أرادوا أن يجعلوا من الحرب وسيلة إليها، لأن ذلك يرفع من مقادير أثمان خيانتهم لدى معاوية، بالإضافة إلى من كانوا من الشكاك، ومن الذين يأتمرون بأمر رؤسائهم، كما قدَّمنا بيانه.

ثالثاً: إن كلام «لامنس» متناقض، فإنه تارة يقول: إنهم حين طالبوه بقتال أهل الشام، لم يعد يفكِّر إلا بالتفاهم مع معاوية، ثم يقول بعد سطر واحد: إنه لما اعتدى عليه أصحابه، وأثخنوه بالجراح تملكته منذ ذلك الوقت فكرة الوصول إلى اتفاق مع الأمويين، فأيهما هو الصحيح؟!

رابعاً: هل تفكير الإمام الحسن بالهدنة هو الذي أدَّى إلى وقوع الفرقة بينه «عليه السلام» وبين العراقيين؟! أم أن هذه الفرقة كانت منذ زمن؟! فإن الشكَّاك، والمخادعين، ورؤساء القبائل الطامعين، والذين لا يبالون بغير مصالحهم، والمؤتمرين بأوامر رؤسائهم وغيرهم ـ إن هؤلاء ـ كانوا موجودين قبل ذلك في عهد أبيه علي «عليه السلام»، وهناك حروب عديدة حصلت بين علي والخوارج، لاسيما في النهروان. وكانت شكوى علي من أهل العراق في خطبه تتوالى دون انقطاع، ولدينا نصوص كثيرة منها..

ويبدو لنا: أن هذا الرجل يريد أن يلقي بالتبعة في محاولات قتل الإمام الحسن «عليه السلام» على الإمام نفسه، ويبرئ ساحة المجرمين الناكثين للعهود.

خامساً: والأغرب والأعجب من ذلك: أن «لامنس» يتحدث عن سبعة ملايين درهم، منها مليونا درهم جعلت معاشاً لأخيه الحسين «عليهما السلام»، وخمسة ملايين لنفسه، وفوق ذلك خراج كورة من بلاد فارس يبقى لهم مدى الحياة.. مع أن هناك نصوصاً أخرى ترفض ذلك.. وستتحدث عنها حين ذكر الشروط ونبين ما يمكن أن يقال فيها..

ولكننا هنا نريد أن نجاري هذا الرجل فيما يدَّعيه، ونسأله:

إذا كان الأمر كما يقول، فإن هذا المبلغ هائل جداً ومخيف، وإعطاؤه للإمام الحسن والحسين مخاطرة عظيمة.. فهو يكفي لتجهيز جيش بأكمله، وشنِّ حرب على الحكم والحاكمين في أي وقت، وإذا كان الحسن «عليه السلام» قعيد الهمة، فإن أخاه الإمام الحسين كان عالي الهمَّة، باعتراف معاوية نفسه.

وتقدم: أن الحسين «عليه السلام» لم يبايع معاوية حين حصل اتفاق الهدنة.. وهذا ينبغي أن يخيف معاوية.

وعدا ذلك، كيف تبخرت هذه المبالغ وذهبت، ولم نجد للإمام الحسن ولا لأخيه دُوراً، ولا قصوراً، ولا بساتين، ولا تجارات، ولا أنعاماً، ولا درراً، ولا جواهرَ، ولا ذهباً، ولا فضةً الخ..

وهل غفل اللصوص المحترفون، والأشرار السلَّابون، والناس الطامعون، والفقراء المعدمون ـ وأكثر الناس كانوا فقراء ـ عن هذه الملايين، ولم يتعرضوا لاستلابها، أو لسرقتها، أو حاولوا إقامة شراكات، وتجارات، وسواها مع الإمام الحسن وأخيه «عليهما السلام»؟!

ولماذا يطلب هذه الملايين من معاوية؟! وبيت المال لا يزال بين يديه،

فليأخذ ما فيه، ويسلمه لمعاوية فارغاً.. إلا إن كان يريد أن يحصل على مشروعية لأخذ هذا المال، فهل تؤخذ الشرعية من باغٍ ظالم؟!

ويا ليته ذكر لنا المصدر الذي نقل عنه: أن حفيد النبي ندم على أنه لم يضاعف هذا المبلغ!! ولماذا يتكلم هذا الرجل بما يلوح منه الإستهزاء برسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

وما معنى قوله: إنه «عليه السلام» ترك العراق مشيَّعاً بسخط الناس عليه، ومن أي مصدر أخذ هذا الخبر؟!

مع أن النص التاريخي يقول: «وجعل الناس يبكون عند مسيرهم من الكوفة»[1].

وعند ابن خلدون: «وخرج أهل الكوفة لوداعه باكين»[2].

ولماذا قال: ليقبع بالمدينة؟! أليس في هذا التعبير إهانة له «عليه السلام»؟! وهل هذه التعابير علمية، أو هي دليل نزاهة وموضوعية؟!

ألم يكن الأولى والأجدر بـ «لامنس»: أن يختار الألفاظ النظيفة، التي تسبغ على أقواله رونقاً، وتبعدها عن أجواء الإستفزاز للمشاعر، والخروج عن أبسط قواعد اللياقة على الأقل؟!

---

(١) الكامل في التاريخ ج٣ ص٤٠٧.

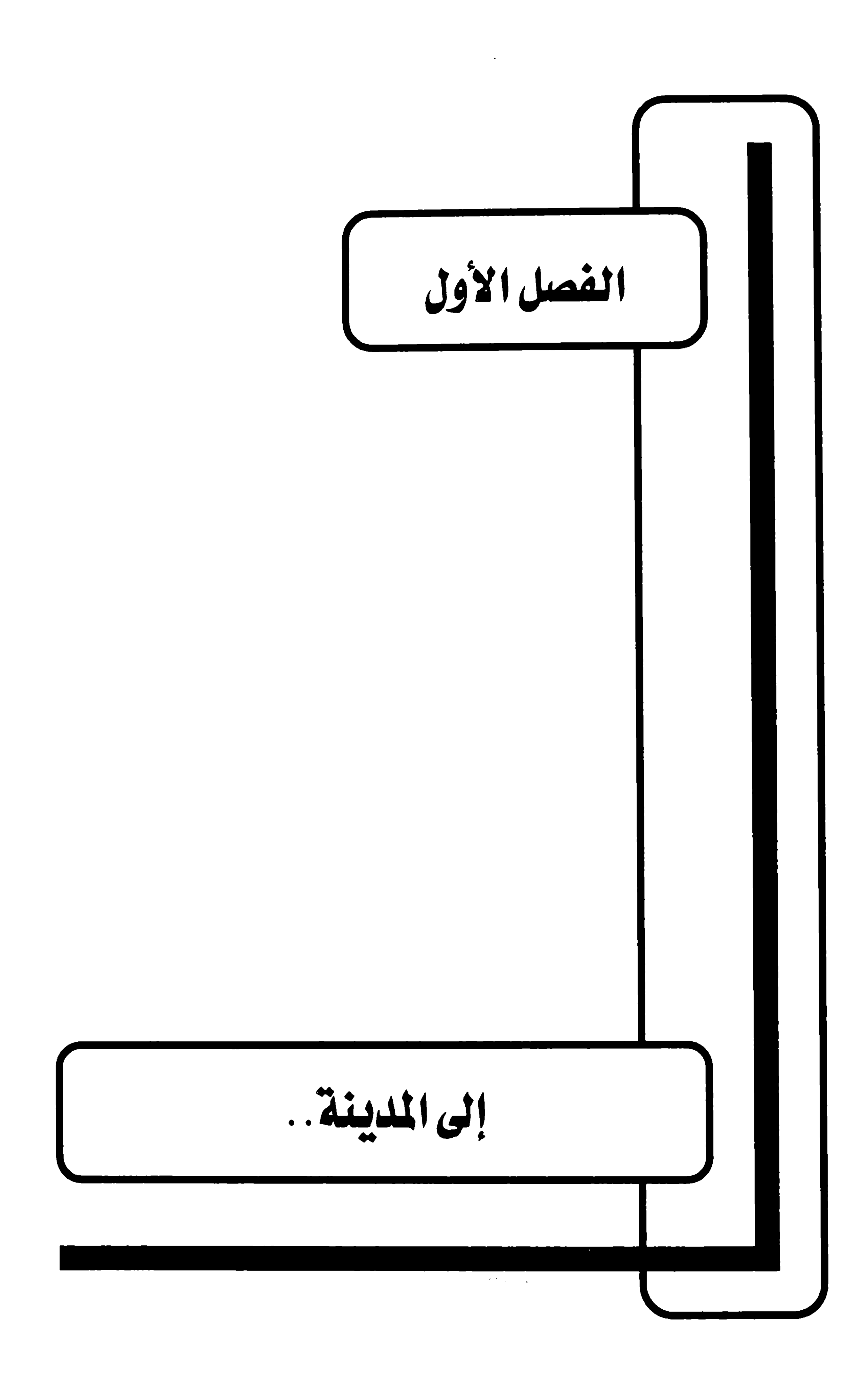
(٢) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج١ ص٦٤٩ و (ط الأعلمي) ج٢ ق٢ ص١٨٧.

القسم الخامس

من الهدنة . . حتى الشهادة . .

الباب الأول

في مواجهة سيساسات المناوئين..



الفصل الأول

إلى المدينة..

من الكوفة إلى المدينة:

عرفنا أن الإمام الحسن «عليه السلام» عزم بعد الهدنة على أن يغادر الكوفة والعراق إلى المدينة في الحجاز.. وطلب منه المسيب بن نجبة وظبيان بن عمارة المكث في الكوفة، فقال: «ليس إلى ذلك من سبيل»[1].

ويبدو لنا أن سبب ذلك: أنه لو بقي في الكوفة، فسيبقى مراقباً، ومتهماً بأنه يدبر للخروج على السلطة، وسيبقى محبوه وشيعته محط نظر السلطة، وملاحقتها لهم بالأذى، والبلايا.

وتذكر بعض النصوص: أن معاوية شيعه إلى قنطرة الحيرة[2].

ويذكر بعضهم: أن أهل الكوفة خرجوا إلى وداعه بجميع طبقاتهم، وهم ما بين باك وآسف[3].

ولكن تقدم: أن أهل القادسية حين مرَّ بهم قالوا له: يا مذل المؤمنين.

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص١٦.

(٢) ترجمة الإمام الحسن من أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج٣ ص٤٦.

(٣) تحفة الأنام للفاخوري ص٦٧.

وقدم «عليه السلام» المدينة ومعه أهل بيته، وهو عليل[١].

وللمدينة حياتها وحالاتها، ولها أيضاً مكانتها الدينية، والعلمية، والثقافية، التي تميزها عن سائر البلاد، كما أن للحكام سياساتهم مع أهلها.. ولهم خططهم الخاصة التي تسعى لمحاصرتها، وعدم السماح لأهلها بالإنتشار في البلاد، وبين العباد، حتى لا يثيروا القضايا الحساسة سياسياً وإيمانياً، ودينياً، بالطريقة التي تصادم طموحات الحكام، وتضر بخططهم، وتظهر عوارها وأخطارها.

وكان للإمام الحسن، ومعه الإمام الحسين «عليهما السلام»، خصوصية التفرد في صفات الخير والكرامة، والميزات في مختلف الفضائل إلى حد أن ذلك يفرض تأثيره، وهيمنته على الجميع بدون استثناء، فهما ابنا الرسول، وهما معنيان بآية المباهلة، وآية التطهير، وآية المودة في القربى، وآيات سورة هل آتى، وعشرات الآيات الأخرى.. وهما أيضاً أعلم أهل الأرض، ولهما مقام العصمة، والحكمة والإمامة للأمة.

ومن المدينة بدأت مرحلة جديدة قوامها دفاع الأئمة «عليهم السلام» عن ثوابت الدين، وأصول الإسلام، والهداية، والرعاية، والحفاظ على المسار العام في خط السلامة والإستقامة قدر الإمكان.

وفي الأبواب والفصول الآتية نماذج من هذا الجهاد، ولاسيما ما يتصل منه بحركة رموز الحكم وأدواته، ومساعيهم الرامية لتكريس سياساتهم، ومفاهيمهم التي يريدون توظيفها في خدمة مصالحهم.

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٤ ص٢٩٦.

زياد يتجرأ على أفضل الخلق:

وأول نموذج يذكر هنا هو محاولات زياد كسر هيبة الإمام الحسن «عليه السلام»، وتوهين أمره، ولا ندري إن كان ذلك بإيحاء من معاوية، أو أنه تمرد منه، نتج عن غروره، وسوء تقديره، فأعاده معاوية إلى حجمه الطبيعي، ليبقى قادراً على الإستفادة منه في خططه وسياساته.

فقد ذكر المؤرخون ما جرى بين الإمام الحسن وبين زياد حين شفع بسعيد بن سرح، فرفض زياد قبول شفاعته «عليه السلام».

قال المعتزلي: «كان سعيد بن سرح مولى حبيب بن عبد شمس شيعة لعلي بن أبي طالب «عليه السلام»: فلما قدم زياد الكوفة طلبه وأخافه، فأتى الحسن بن علي «عليه السلام» مستجيراً به، فوثب زياد على أخيه وولده وامرأته، فحبسهم، وأخذ ماله، ونقض داره.

فكتب الحسن بن علي «عليهما السلام» إلى زياد:

من الحسن بن علي إلى زياد..

أما بعد، فإنك عمدت إلى رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، فهدمت داره، وأخذت ماله، وحبست أهله وعياله، فإن أتاك كتابي هذا فابن له داره، وأردد عليه عياله وماله، وشفعني فيه، فقد أجرته. والسلام.

فكتب إليه زياد: من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن بن فاطمة..

أما بعد، فقد أتاني كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلي، وأنت طالب حاجة وأنا سلطان، وأنت سوقة، وتأمرني فيه بأمر المطاع المسلط على رعيته.

كتبت إليّ في فاسق [لا يؤويه إلا مثله، وشر من ذلك توليه أباك وإياك] آويته، إقامة منك على سوء الرأي، ورضا منك بذلك، وأيم الله لا تسبقني به ولو كان بين جلدك ولحمك، وإن نلت بعضك غير رفيق بك، ولا مرع عليك، فإن أحب لحم عليّ أن آكله للحم الذي أنت منه، فسلّمه بجريرته إلى من هو أولى به منك، فإن عفوت عنه لم أكن شفعتك فيه، وإن قتلته لم أقتله إلا لحبه أباك الفاسق. والسلام.

فلما ورد الكتاب على الحسن «عليه السلام» قرأه وتبسم، وكتب بذلك إلى معاوية، وجعل كتاب زياد عطفه، وبعث به إلى الشام، وكتب جواب كتابه كلمتين لا ثالث لهما:

من الحسن بن فاطمة إلى زياد بن سمية..

أما بعد، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «الولد للفراش، وللعاهر الحجر»، والسلام.

فلما قرأ معاوية كتاب زياد إلى الحسن ضاقت به الشام، وكتب إلى زياد:

أما بعد، فإن الحسن بن علي بعث إلي بكتابك إليه جواباً عن كتاب كتبه إليك في ابن سرح، فأكثرت العجب منك، وعلمت أن لك رأيين:

أحدهما من أبي سفيان، والآخر من سمية..

فأما الذي من أبي سفيان فحلم وحزم..

وأما الذي من سمية، فما يكون من رأي مثلها، من ذلك كتابك إلى الحسن تشتم أباه، وتعرض له بالفسق، ولعمري إنك الأولى بالفسق من أبيه. [لأنت

أولى بالفسق من الحسن، ولأبوك إذ كنت تنسب إلى عبيد[١] أولى بالفسق من أبيه].

فأما أن الحسن بدأ بنفسه ارتفاعاً عليك، فإن ذلك لا يضعك لو عقلت.

وأما تسلطه عليك بالأمر، فحق لمثل الحسن أن يتسلط..

وأما تركك تشفيعه فيما شفع فيه إليك، فحظ دفعته عن نفسك إلى من هو أولى به منك..

فإذا ورد عليك كتابي فخلّ ما في يديك لسعيد بن أبي سرح، وابن له داره، واردد عليه ماله، ولا تعرض له، فقد كتبت إلى الحسن أن يخيّره، إن شاء أقام عنده، وأن شاء رجع إلى بلده، ولا سلطان لك عليه لا بيد ولا لسان.

وأما كتابك إلى الحسن باسمه واسم أمه، ولا تنسبه إلى أبيه، فإن الحسن ويحك! من لا يرمى به الرجوان وإلى أي أم وكلته لا أم لك!

أما علمت أنها فاطمة بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فذاك أفخر له لو كنت تعلمه وتعقله!

وكتب في أسفل الكتاب شعراً من جملته:

أما حسن فابن الذي كان قبله إذا سار سار الموت حيث يسير

وهل يلد الرئبال إلا نظيره وذا حسن شبه له ونظير

---

(١) فترى معاوية يحاول إبعاد الشبهة عن أبي سفيان، ويلقيها مباشرة بعبيد، الذي كان زياد ينسب إليه قبل أن يستلحقه معاوية.

ولكنه لو يـوزن الحلـم والحجـا بـأمر لقـالوا يـذبل وثبـير[١]

ونقول:

إننا نكتفي هنا بذكر النقاط التالية:

ما الذي غيَّر معاوية؟!:

قد يتساءل المرء عن سبب هذا الموقف من معاوية، المؤيد والناصر للإمام الحسن «عليه السلام» ولأبيه، مقابل من اتخذه معاوية صفياً وحليفاً، ويداً بها يصول على أهل البيت ومحبيهم وشيعتهم، ويوسعهم قتلاً، وتنكيلاً، وظلماً، وتشريداً في طول البلاد وعرضها.

وكيف انقلب معاوية من عدو للإمام الحسن وأبيه وأمه، إلى مغرق في الثناء عليهم، جاد في إظهار عظمتهم، وتعداد فضائلهم، وميزاتهم؟! وهل ذهبت السكرة، وجاءت الفكرة.. فكانت تلك ساعات الشيطان، وكانت هذه ساعة للرحمان، ومن غواية إلى هداية؟! أم أن في الأمر سراً لا بد من

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص١٩٤ ـ ١٩٦ وذكره باختصار في نفس الجزء ص١٨ و ١٩ ونقل في بحار الأنوار ج٤٤ ص٩٢ هذا المختصر عن المعتزلي، ونقله في ج٤٤ أيضاً ص١٠٤ و ١٠٥ وذكره باختصار في مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٢٢ وأنساب الأشراف، ترجمة الإمام الحسن «عليه السلام» (بتحقيق المحمودي) ج٣ ص٥٢ و ٥٣ وفي هامشه عن تاريخ مدينة دمشق ج١٨ ص١٨٧ وفي (ط أخرى) ج١٩ ص١٩٨ وعن تهذيب تاريخ مدينة دمشق ج٥ ص٤٢ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٧٣. وراجع: العقد الفريد ج٥ ص١١ والإيضاح ص٥٤٨ والبيان والتبين ج٢ ص٢٩٨.

الوصول إليه والدلالة عليه؟!

وما الذي جعل معاوية ينقلب من عدو لدود، إلى صديق ودود إلى هذا الحد؟! حتى إنه يتغنى بفضائلهم، ويزجي لهم الثناء، ويشيد بهم، ويعدد مآثرهم، مع أن ذلك سرعان ما تلاشى وتبخر، وعادت حليمة إلى عادتها القديمة..

ونجيب:

١ ـ بأن معاوية لم يتغير ولم يتبدل، بل هو لا يزال سادراً في غوايته، ممعناً في عدواته، جاداً في خططه الشيطانية. ولكنه يريد أن يجعل من هذا الثناء على الحسن، وعلى أبيه وأمه «عليهم السلام» وسيلة لباطله، وحبالة من حبائل مكره.

فقد أدرك أن ما فعله زياد كان حماقة كبيرة لا يمكن التخلص من آثارها وتبعاتها إلا بهذا الموقف.. لأن ما فعله زياد لا يعدو كونه سعياً لفرض أمر نشاز على الإمام الحسن وبني هاشم، وكل مسلم ومؤمن، ولا يسع أحداً القبول به، لأنه مخالفة صريحة للدين، وللنصوص الواضحة والفاضحة لمن يريد تكريس المفاهيم الجاهلية، وهو معاوية بالذات.

٢ ـ إن زياداً إنما غضب، لأن الإمام الحسن لم ينسبه إلى أبي سفيان، حيث كتب إليه «عليه السلام» يقول: «من الحسن بن علي إلى زياد» كما ذكره ابن عساكر.

٣ ـ من المعلوم: أن زياداً إنما ولد على فراش عبيد، فاستلحقه معاوية بأبي سفيان استناداً إلى قول أبي سفيان: إنه هو الذي زنى بأمه سمية،

فحملت به، مع أنها كانت تحت زوجها عبيد، واستناداً أيضاً إلى شهادة خمار اسمه أبو مريم: بأن أبا سفيان قد طلب منه بغيّاً، فأتاه بسمية..

٤ ـ والزنا بذات البعل يوجب الرجم، ولا يوجب نسباً، ولا يصحح استلحاقاً، وقد صرح رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذلك، حيث قال: «الولد للفراش، وللعاهر الحجر».

٥ ـ إن ما فعله معاوية من استلحاق زياد بأبي سفيان تغيير لأحكام الله، وعدوان على شرع الله، وتكذيب لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإعادة للناس إلى منطق الجاهلية.

وجهر الإمام الحسن بهذا الأمر، إنما يضر بمعاوية، لأنه يدل على قلة دينه، وعلى جرأته على الله ورسوله.. فكيف إذا تطورت الأمور بسبب رعونة زياد إلى حدود مثيرة وخطيرة، فإن المصيبة على معاوية ستكون أطمّ وأعظم. فمعاوية يريد أن يتحاشى بلوغ الأمور إلى ما لا تحمد عقباه..

٦ ـ كما أن الإمام الحسن «عليه السلام» قد أنهى الأمر إلى معاوية، لأنه يعلم أن معاوية سوف لا يتهاون بالموضوع، بل سوف يعالجه بنفس هذه الطريقة التي حصلت.. وكان من المفيد جداً استدراج معاوية لتسجيل هذه الإعترافات.

٧ ـ ربما كان هذا هو سر تبسم الإمام الحسن «عليه السلام» حين قرأ كتاب زياد إليه.

ويؤيد ذلك: أنه «عليه السلام» قد وضع كتاب زياد طي كتابه لمعاوية، وأرسلهما معاً إليه..

٨ ـ لقد كان من نتائج ذلك: ظهور بغي معاوية الفاضح على أهل البيت، فهو يعرف عظمتهم «عليهم السلام»، وموقعهم، وعظيم فضلهم، ثم هو يحاربهم، ويبغي لهم الغوائل، ويقتلهم، ويعمل على إبادتهم، وإبادة شيعتهم، ويلعن أوصياء النبي منهم في خطبه، وفي قنوت صلاته، فأي دين لدى هذا الرجل؟! وكيف يمكن أن يؤتمن على دماء الناس، وأعراضهم، وأموالهم، وعلى مستقبلهم، ودينهم، وأخلاقهم؟!

٩ ـ رأينا: أن الإمام الحسن «عليه السلام» قد عاد وكتب رسالة أخرى لزياد تؤكد له على أنه «عليه السلام» لا يزال على موقفه منه، لكي لا يتوهم زياد أو يوهم الناس: بأن معاوية قد وضع للإمام الحسن حداً في هذا الأمر، وأنه ألزم الإمام بمفاعيل استلحاق زياد بأبي سفيان، ليكون هذا من الإمام مقابل إلزام زياد بعدم التعرض لسعيد بن سرح بسوء، وإعادة أمواله إليه، وبناء داره، وغير ذلك.

والأنكى والأشد من ذلك على زياد: أن الإمام الحسن «عليه السلام»، واجه زياداً بهذا الأمر في مجلس معاوية نفسه بحضور مروان وعمرو بن العاص، فقد قال له الإمام «عليه السلام» في مناظرة جرت له «عليه السلام» معهم: «وما أنت يا زياد وقريشاً؟!

لا أعرف لك فيها أديماً صحيحاً، ولا فرعاً نابتاً، ولا قديماً ثابتاً، ولا منبتاً كريماً، بل كانت أمّك بغيّاً تداولها رجال قريش وفجّار العرب، فلمّا ولدت لم تعرف لك العرب والداً، فادّعاك هذا ـ يعني معاوية ـ بعد ممات أبيه، ما لك افتخار، تكفيك سميّة، ويكفينا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأبي عليّ بن أبي طالب سيّد المؤمنين، الَّذي لم يرتدّ على عقبيه، وعمّي حمزة

سيّد الشهداء وجعفر الطيار، وأنا وأخي سيّدا شباب أهل الجنّة»[١].

١٠ ـ واللافت: أن رسالة الإمام الأولى إلى زياد لا تعدو كونها أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، وطلب إعادة الأمور إلى نصابها، ولم يعرِّض فيها لزياد بما يثير حفيظته، ولكن استكبار زياد وبغيه، وطلبه ما ليس له بحق قد أوقعه في هذا المأزق.

فاعتزازه بسلطانه لا مبرر له، لأنه سلطان مستعار من غاصب ظالم، وما بني على الظلم والبغي، لا يعدو كونه ظلماً وبغياً آخر، ولكن سلطان الإمام الحسن «عليه السلام» هو قرار إلهي من مالك الملك، وخالق الخلق..

على أن السلطة التي يتمتع بها زياد لم ينلها عن جدارة واستحقاق، بسبب علمه، ودينه، وتقواه، وخلقه الكريم، وتضحياته، وجهاده، كما أنه لم يحصل عليها من صاحب الحق، بل حصل عليها من ظالم باغ متغلب قاتل ومجرم.

زياد هو المعتمد لدى معاوية:

١ ـ إن ابن خلكان قال: إن هذه القضية قد جرت بين الإمام الحسين «عليه السلام»، وزياد ومعاوية، لا بين الحسن «عليه السلام» وبينهما، ولعل هناك من صحّف بين كلمتي الحسن والحسين بسبب تقارب الكلمتين.

٢ ـ ذكر المدائني: أنه لما أصدر معاوية إلى عماله أوامره باضطهاد شيعة

---

(١) المحاسن والمساوئ للبيهقي (ط مكتبة مصر ومطبعتها) ج١ ص١٢٤ و ١٢٥ والمحاسن والأضداد ص١٣٨ ـ ١٤٤.

علي «عليه السلام» ومحبيه «كان أشد الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة، لكثرة من بها من شيعة علي، فاستعمل عليهم زياد بن سمية، وضم إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم»(١).

عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم:

هناك نوعان من الناس:

١ ـ نوع يريدك لنفسه، فتكون المحامي والمدافع عنه، والساعي في زيادة نفوذه وبسط سلطته، وتكدس الأموال في خزائنه، والقاضي لحوائجه وهو يتصرف معك، وكأنك عبد قن، لا تملك لنفسك ضراً ولا نفعاً، بل هو إذا أحس منك برودة، أو قصوراً أو تقصيراً نبذك بقوة، وربما وجد السبيل للبطش بك، والتخلص منك، وهؤلاء هم أهل الدنيا من الحكام المتسلطين، الذين يريدون من الناس أن يتخذوهم أرباباً من دون الله.

٢ ـ وهناك من يريدك لنفسك أنت، فيعيش من أجلك، ولإبلاغك سعادتك، فهو يحمل همك، ويؤلمه ما يؤلمك، ويسعده ما يسعدك.. ويكون لك بمنزلة الوالد الرحيم، الذي يدبر أمورك من موقع الحكمة، والمحبة،

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١١ ص ٤٣ و٤٤ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص٢٧ والغدير ج١١ ص٢٨ والدرجات الرفيعة ص٦ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧ والنصائح الكافية ص٩٧ والأربعين في حب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ج٤ ص٣٥٦ وسفينة النجاة للتنكابني ص٨١.

والعقل، والروية، والحرص ولا يريد منك جزاءاً ولا شكوراً، بل هو يفعل ذلك لوجه الله، وحده لا شريك له.

وهؤلاء هم الأنبياء، والأوصياء، ومن سار على نهجهم، وتأسى بهم من الصالحين.

وقد كان من يدخل مجلس رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يعرف الرسول بتميز مجلسه عن غيره، ومقام النبوة أشرف مقام وبعده يأتي مقام الإمامة.. ولكن الإمام والنبي لا يوظفان هذا المقام في التعالي على الناس، وبإظهار التميز والفوقية بالنسبة للآخرين، بل كان كلما ازداد شرفاً زاد تواضعاً.

ولذلك تجد أن ثمة اندماجاً تاماً بين الإمام والنبي، وبين سائر الناس، فلا تشريفات، ولا إجراءات، بل يكون نبيهم، وإمامهم معهم كأحدهم، ولذلك وجدنا سعيد بن سرح ينزل ضيفاً على إمامه حين قدم المدينة، كما أن بعض أصحاب الإمام الرضا «عليه السلام» نزل ضيفاً على الإمام، فأحس أن الإمام يتفقده بالليل ويغطيه. وما أروعها وألذها من لحظة تغمر القلب بالبهجة والروح والرضا..

وهذا ما أكدته الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[١].

وقول النبي العظيم: «أنا وعلي أبوا هذه الأمة»[٢].

---

(١) الآية ١٢٨ من سورة التوبة.

(٢) راجع المصادر التالية: البرهان (تفسير) ج١ ص٣٦٩ ومعاني الأخبار ٥٢ و ١١٨

زياد ظالم غاشم:

١ ـ من الواضح: أن زياداً ظالم ومعتد، وحاقد، يأخذ البريء بذنب من لا ذنب له سوى حبه لمن أمر الله بحبهم، ويهدم داره، ويأخذ ماله، وعياله، ويطلق سراح أخيه.

وبالرغم من ذلك كله، فإنك لا تجد في كلمات الإمام «عليه السلام» لزياد أي ملامة أو تعريض بإدانة أو إهانة، ولم يسأله عن سبب ما أقدم عليه تجاه سعيد.

٢ ـ كما أن الإمام الحسن ليس رجلاً كسائر الناس، بل هو إمام معصوم، وهو أعلم أهل الأرض، وهو ريحانة وابن رسول الله وهو سيد شباب أهل الجنة وقد نزلت في حقه آيات كثيرة.

فيفترض تكريمه، وتعظيمه، واعتبار شفاعته فرصة تغتنم، وشرفاً يحتفظ به، ويسعى للحصول عليه.. فالمتوقع هو: أن يبادر زياد إلى إجابة طلبه، حتى لو كان لمن يشفع فيه ما يعتبره زياد ذنباً يريد أن يعاقبه عليه.

٣ ـ وإذا استكبر زياد عن قبول شفاعة الإمام، فإن نفس أن يجير الإمام الحسن هذا الرجل، يجعل له حقاً بإعادة النظر في أمره، ويمنع من ملاحقته،

وعيون أخبار الرضا ج٢ ص٨٥ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج١ ص٩١ وعلل الشرائع ص١٢٧ وكمال الدين ص٢٦١ والأمالي للصدوق ص٦٥ و ٤١١ و ٧٥٥ وبحار الأنوار ج١٦ ص٩٥ و ٣٦٤ وج٢٣ ص١٢٨ و ٢٥٩ وج٢٦ ص٢٦٤ و ٣٤٢ وج٣٦ ص٦ و ٩ و ١١ و١٤ و ٢٥٥ وج٣٨ ص٩٢ و ١٥٢ وج٣٩ ص٩٣ وج٤٠ ص٤٥ وج٦٦ ص٣٤٣.

فإن الجوار محترم حتى عند أهل الجاهلية.. ولم يرفض الإسلام ذلك، بل اعترف به، ما لم يوجب تعطيلاً لحد، أو تعدياً على حكم.

مضامين كتاب زياد:

وقد تضمن كتاب زياد للإمام الحسن «عليه السلام» مضامين غير سديدة، ولا رشيدة، والوصف الذي يليق بها: أنها رسالة طاغية فاجر لإمام زاك وطاهر، وعالم باهر، وحكيم بصير، ونيقد خبير.

ومما تضمنته تلك الرسالة الفاجرة الأمور التالية:

١ ـ لقد بدأ زياد بنفسه، وهو الغارق في الموبقات والمآثم، والجرائم، مقدماً إياها على سيد شباب أهل الجنة، الإمام المطهر المعصوم أعلم أهل الأرض، وأفضلهم.

٢ ـ إنه نسب نفسه إلى أبي سفيان، مع أن رسول الله تعالى يقول: الولد للفراش، وللعاهر الحجر، لأن أبا سفيان إنما يدعي أنه ولده من الزنا بأمه التي كانت تحت عبيد.

٣ ـ لقد نسب الإمام الحسن إلى أمه فاطمة «عليها السلام» بهدف الإنتقاص من مقامه «عليه السلام»، مع أن هذه النسبة تظهر له المزيد من الشرف والكرامة، فهو شريف في نفسه، وشريف بأبيه، وشريف بجده محمد «صلى الله عليه وآله»، وشريف بأمه فاطمة «عليها السلام».

٤ ـ زعم زياد: أنه ليس للإمام أن يبدأ بأسمه قبل اسم زياد لأنه «عليه السلام» طالب حاجة..

ولنا:

أولاً: أن نسأل زياداً عن أنه لو أراد النبي «صلى الله عليه وآله» أن يكتب إلى أي كان من الناس يطلب منه أن يرسل له بالخراج، أو بالخمس، أو أي شيء آخر، هل يجب على النبي أن يبدأ باسم ذلك، وليس له أن يبدأ باسم نفسه؟!

ثانياً: إن الإمام لم يطلب حاجة من زياد، بل أمره بالمعروف ونهاه عن المنكر، والظلم.

٥ ـ زعم زياد: أنه ليس للإمام الحسن «عليه السلام» أن يبدأ بنفسه، لأن الحسن سوقة، وزياد سلطان.

ونجيب:

بأن سلطان زياد لا قيمة له، لأنه مستمد من باغ وغاصب، وهو معاوية، وما بني على باطل فهو باطل.. والسلطان الشرعي هو سلطان الإمام الحسن الذي جعله الله تعالى له على لسان نبيه، ثم من خلال وصية أبيه له.

٦ ـ إن زياداً وصف سعيد بن سرح بأنه فاسق. ولا ندري، إن كان زياد يرى نفسه عادلاً تقياً. وهو مولع بارتكاب الآثام، واحتراف الإجرام؟! وهل كان زياد موكلاً بهدم بيوت الفساق، والقبض على إخوانهم، وبقتل كل فاسق يقع في يده؟!

٧ ـ وقد كذَّب زياد الآية القرآنية الدَّالة على عظمة الإمام الحسن، وطهارته من كل ذنب ورجس، مهما كان، حين حكم على الإمام الحسن «عليه السلام» بأنه فاسق مثل سعيد بن سرح.

٨ ـ وحكم زياد على سعيد بن سرح بالفسق لحبه لعلي «عليه السلام»

فيه تكذيب لرسول الله «صلى الله عليه وآله» حيث يقول لعلي: لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق.

٩ ـ جعل إيواء الإمام الحسن لهارب من الظلم، إقامة على سوء الرأي، فهل منع الظالم من إنشاب أظفاره في ضحاياه من سوء الرأي؟!

١٠ ـ هل الرضا بحب الأنبياء والأوصياء من سوء الرأي أيضاً؟! أليس حب هؤلاء مما أمر به الله تعالى في كتابه، حيث قال: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[١].

١١ ـ وما أصلف هذا الرجل حين يقول لأفضل الخلق، وأعلمهم، وأتقاهم، وأشرفهم: بأنه يستخرج سعيد بن سرح من بين جلد الإمام الحسن ولحمه، فإنها تعابير خشنة ومؤذية..

١٢ ـ والأشد قبحاً، وأعظم فظاعة، وأكثر جرأة قوله: إن أحب لحم إليه أن يأكله هو لحم يكون الإمام منه..

ثم هو يأمر الإمام «عليه السلام» بتسليم سعيد إليه.. بعد أن حكم على سعيد بأنه ذو جريرة لمجرد حبه، لأبيه «عليه السلام». كما أنه يعلن رفضه لشفاعة الإمام، ويعطي لنفسه الحرية في العفو عنه دون قبوله شفاعة الإمام به، أو قتله عقوبة له على حبه لعلي «عليه السلام».

---

(١) الآية ٢٤ من سورة التوبة.

رسالة الإمام الثانية إلى زياد:

ثم أرسل «عليه السلام» إلى زياد رسالة ثانية رأينا فيها:

أولاً: إنه «عليه السلام» بدأ فيها بنفسه، ولم يكترث باعتراض زياد السابق، ربما لكي يفهمه: أن الشريف هو من حباه الله موجبات الشرف من العلم والتقوى، ومكارم الأخلاق، وكريم السجايا..

ولا ينفع اللئيم ما يدَّعيه من الشرف لنفسه ليل نهار..

ومن كان له سلطان، ويريد أن يستفيد منه في ادِّعاء الشرف لنفسه، فغاية ما يحصل عليه: هو سكوت الناس من إعلان لؤمه وحقارته، والتعويض عن ذلك بالهمس بهذا اللؤم في خلواتهم لثقاتهم.

وتتأكد عدم الجدوى هذه إذا كان سلطاناً مغتصباً من أصحابه الحقيقيين، ويقوم على البغي والظلم.

ثانياً: إنه «عليه السلام» قد نسب نفسه إلى أمه، ليفهم زياداً أن ثمة بوناً شاسعاً بين الانتساب إلى سيدة نساء العالمين، المطهرة المعصومة بنص القرآن، وبين الانتساب إلى مثل سمية.

ثالثاً: إنه «عليه السلام» زاد على انتسابه إلى فاطمة قوله: «بنت رسول الله» ليفهم أيضاً: أنه «عليه السلام» قد جمع الشرف من جميع أطرافه:

ـ شرفه بنفسه، وميزاته، وعلمه، ودينه، وخلقه، وطهارته، وجهاده، وتضحياته الخ.. وكونه سيد شباب أهل الجنة.

ـ شرفه بأبيه سيد الوصيين، وقائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم.

ـ شرفه بأمه فاطمة، سيدة نساء العالمين.

ـ شرفه بجده رسول الله «صلى الله عليه وآله»، خاتم الأنبياء والمرسلين.

ـ شرفه بتشريف الله تعالى له بمقام الإمامة، ومقام القربى والزلفى لديه سبحانه.

رابعاً: إنه «عليه السلام» نسب زياداً ـ كما في رواية ابن خلكان ـ إلى أمه، التي لا يجرؤ زياد نفسه على نسبة نفسه إليها في مكاتباته لأي كان من الناس، حتى ولو أراد أن يوظف سلطانه في هذا المجال، فإنه لا ينفعه شيئاً.

خامساً: إنه «عليه السلام» زاد ـ كما في رواية ابن خلكان أيضاً ـ توصيفاً لا يطيقه زياد، حيث قال: «زياد بن سمية عبد بني ثقيف»، فإن عبيداً زوج سمية كان عبداً رومياً، وقد اشتراه زياد نفسه وأعتقه.

وهذا يعني: أن زياد ـ حسب نص رسول الله ـ يلحق بصاحب الفراش، فتلحقه صفة الاسترقاق، مما يعني: أن زياداً لا يزال عبداً.

سادساً: اتضح مما تقدم: أنه لا يصح نسبة زياد إلى أبي سفيان، بعد قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «الولد للفراش، وللعاهر الحجر».

الفصل الثاني

زيارات إلى الشام.. وجوائز معاوية..

عطاءات معاوية للحسنين عليهما السلام:

قال ابن كثير: لما استقرت الخلافة لمعاوية كان الحسين «عليه السلام» يتردد إليه مع أخيه الحسن «عليه السلام»، فيكرمهما إكراماً زائداً، ويقول لهما: مرحباً وأهلاً، ويعطيهما عطاء جزيلاً، وقد أطلق لهما في يوم واحد ماءتي ألف، وقال: خذاها وأنا ابن هند.

والله لا يعطيكماها أحد قبلي ولا بعدي.

فقال الحسين: والله لن تعطي أنت ولا أحد قبلك، ولا بعدك رجلاً منا.

ولما توفي الحسن كان الحسين يفد إلى معاوية في كل عام، فيعطيه ويكرمه[1].

والصحيح: أنه «عليه السلام» قال لمعاوية ـ كما في نص آخر ـ: لن تعطي أنت ولا أحد قبلك ولا بعدك لرجلين أشرف ولا أفضل منا[2].

---

(١) راجع: البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص١٦١ وكلمات الإمام الحسين ص٢٥٧ و ٢٥٨ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص١١٣ وج٥٩ ص١٩٣.

(٢) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص١١٣ وج٥٩ ص ١٩٣ وترجمة الإمام الحسين

ورووا عن الحسن والحسين: أنهما كانا يقبلان جوائز معاوية، فقد روي ذلك عن الإمام الصادق عن أبيه[١].

في نص آخر عن الإمام الصادق، عن الإمام الباقر «عليهما السلام»: كانا يغمزان معاوية، ويقعان فيه، ويقبلان جوائزه[٢].

وذكر ابن قدامة: أنهما «عليهما السلام»، وعبدالله بن جعفر، وكثيراً من الصحابة كانوا يقبلون جوائز معاوية[٣].

لكن عبارة الجصاص تقول: «كان الحسن والحسين يأخذان العطاء، وكذلك من كان في ذلك العصر من الصحابة، غير متولين له، بل متبرؤون منه على السبيل التي كان عليها علي «عليه السلام» إلى أن توفاه الله إلى جنته، ورضوانه. فليس إذن في ولاية القضاء من قبلهم، ولا أخذ العطاء منهم

لابن عساكر ص١٠ وعن مختصر تاريخ دمشق ج٧ ص١١٥.

(١) تهذيب الأحكام ج٦ ص٣٣٧ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٧ ص٢١٤ و (الإسلامية) ج١٢ ص١٥٧ والحدائق ج١٨ ص٢٦٠ وراجع: مستدرك الوسائل ج١٣ ص١٨١ والمصنف لابن أبي شيبة ج٥ ص٤١ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٦٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٨١.

(٢) قرب الإسناد ص٤٤ و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ص٩٢ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٧ ص٢١٦ و ٢١٧ و (الإسلامية) ج١٢ ص١٥٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٤١ وج٧٢ ص٣٨٢ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص١٣١ والعوالم ج١٦ ص١٠٢.

(٣) المغني لابن قدامة ج٧ ص٣٣٢.

دلالة على توليهم، واعتقادهم إمامتهم»[١].

وقالوا: كان معاوية يبعث للحسين في كل سنة ألف ألف درهم، سوى عروض وهدايا من كل ضرب[٢].

وفي بعض الروايات: أن الإمام الحسن «عليه السلام» كان يفد في كل سنة على معاوية، فيصله بمائة ألف[٣].

ونقل خالد محمد خالد عن معاوية: أنه أعد أحمال الهدايا لصفوة الصحابة في المدينة، ثم أخبر عن كل واحد منهم بما سيفعل بهديته، فقال: «وأما الحسن، فلعله يدع لزوجاته بعض الطيب، ثم يترك لمن حوله كل شيء.

..وأما الحسين، فيبدأ بأيتام الذين قتلوا مع أبيه في صفين، فإن بقي بعد ذلك شيء، نحر به الجزر، وسقى به اللبن»[٤].

ولنا مع هذه النصوص وقفات، هي التالية:

---

(١) أحكام القرآن ج١ ص ١٠١ و (ط دار الكتب العلمية) ج١ ص ٨٦.

(٢) الإحتجاج ج٢ ص٩٣ و (ط دار النعمان) ج٢ ص٢٢ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٢١٥ والعوالم، الإمام الحسين ص٩٣ وهداية الأمة للحر العاملي ج٦ ص٥٣ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٧ ص٢١٧ و (الإسلامية) ج١٢ ص١٥٩ وأنساب الأشراف ج٣ ص١٥٥.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص١٦٦ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص٩ وسيرة أهل البيت للقرشي (الموسوعة) ج١١ ص٣٠٢.

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة ج٣ ص٤٧ وأبناء الرسول في كربلاء ص٥٥ وحياة الإمام الحسين للقرشي ج١ ص١٢٨.

المراد بالجائزة:

ليس المراد بالجائزة هنا المكافأة على عمل، بل المراد بها مطلق العطية، ولعل سبب تسميتها بالجائزة: أنه كان من عادة العرب استضافة الضيف ثلاثة أيام، ثم يعطونه ما يجوز به مسافة يوم وليلة.. وهي قدر ما يجوز به المسافر من منهل إلى منهل، فما كان بعد ذلك فهو صدقة.

ولذا يقال: أجيزوهم، أي أعطوهم[1].

رواية الإمام الكاظم عليه السلام:

روي عن الإمام الكاظم «عليه السلام» ما يدل على خلاف ما ذكر آنفاً، فقد رووا عنه أنه قال: إن الحسنين «عليهما السلام» كانا لا يقبلان جوائز معاوية[2].

ويؤكد ذلك قولهم: إن معاوية لما قدم مكة وصل الإمام الحسين «عليه السلام» بمال كثير، وثياب وافرة، وكسوات وافية، فرد الجميع عليه، فلم يقبله منه[3].

---

(١) لسان العرب ج٥ ص٣٢٧ ونزهة النظر للبدري ص١٥٢ والنهاية في اللغة ج١ ص ٣١٤ وأقرب الموارد ج١ مادة: جوز.

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر للقرشي ج٢ ص٣٣٤ و (ط مطبعة الآداب ـ النجف سنة ١٣٩٥هـ) ج٢ ص٢٣٣ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ هامش ص٧٣٣.

(٣) مطالب السؤول ص٧٣ و (بتحقيق ماجد بن أحمد العطية) ص٣٨٦ والفصول المهمة ص١٧٥ وكشف الغمة ج٢ ص٢٣٢ و ٢٣٣ والمحجة البيضاء ج٤ ص٢٢٣.

وربما كان سبب ذلك: أن العطاء يؤخذ من بيت المال الذي يعلم مصادر المال فيه.. لكن الهدايا والجوائز لا يتضح أمر الحليَّة فيها، لإبهام مصادر جمعها. وربما كان فيها ما هو مشتبه بالمغصوب.

وربما كان يراد للهدايا: أن تجعل ثمناً لموقف في غير طاعة الله، كالبيعة ليزيد «لعنه الله»، أو يراد بها غض النظر عن بعض التعديات على حقائق الدين. أي أن الهدايا تعطى بهدف إحراج من يأخذها في البيعة ليزيد، أو لمنعه من الاعتراض على المخالفات لله ولرسوله، أو لغير ذلك من أسباب، ولو بحمله على السكوت، وعدم الإعلان بالاعتراض على التعديات والإنحرافات.

وقد لاحظنا: أن الجصاص لم يتحدث عن جوائز، بل تحدث عن قبول الحسنين «عليهما السلام» للعطاء الذي يكون من الأموال التي تجمع في بيت المال من مصادر محددة ومعروفة، وأما الجوائز والهدايا، فتبقى حلِّيتها موضع شبهة وريب.

التفاوت في المقادير يثير الشبهة:

وقد أظهرت النصوص المتقدمة: تفاوتاً فاحشاً في مقادير الأموال التي يزعمون أن معاوية كان يخصّ بها الحسن والحسين «عليهما السلام»، فهي تبدأ بالمئة ألف أو أقل، وتنتهي بالملايين الخمسة أو السبعة.

وقد ذكرنا في فصل «شروط الصلح» جانباً معتداً به من هذه الاختلافات.

بل لقد زعمت بعض النصوص: أن معاوية أعطى الإمام الحسن «عليه السلام» من الإبل فقط ما كان أوله بالمدينة، وآخره بالشام، كما تقدم.

غير أن ما لفت نظرنا في النص المتقدم عن ابن كثير ما يلي:

ألف: حديثه عن وفادة الحسنين إلى معاوية، حيث قال: «فيكرمهما معاوية إكراماً زائداً، ويقول لهما: مرحباً وأهلاً»!! فهل يمكن أن تكون كلمة «مرحباً وأهلاً» هي هذا الإكرام الزائد من معاوية للحسن والحسين؟!

أليست هذه الكلمة هي أبسط كلمة تقال لأي إنسان يلتقي إنساناً آخر، يفترض أن ينزل ضيفاً عليه؟!

ب: قول ابن كثير عن معاوية: «..ويعطيهما عطاءً جزيلاً»، ليتبين من العبارة التالية: أن هذا العطاء لم يكن جزيلاً، بل كان قليلاً وهزيلاً، فقد قال ابن كثير: «وقد أطلق لهما في يوم واحد ماءتي ألف، وقال: خذها، وأنا ابن هند. والله لا يعطيكماها أحد قبلي، ولا بعدي».

وإذا كان هذا هو عطاء معاوية لأفضل رجلين على وجه الأرض، وهما إمامان، وسيدا شباب أهل الجنة، وهما ابنا أفضل الخلق أجمعين، وأبوهما سيد الوصيين، وأمهما سيدة نساء العالمين.

فكم كان عطاؤه لهما حين لم يكن مقدار ذلك العطاء يليق بهذا التبجح الأموي البارد؟! هل كان يعطي كل واحد منهما بمقدار ما يخص به المتسولين في الطرقات؟!

ج: ألم يعط معاوية نفسه سمرة بن جندب أربع مئة ألف درهم ليروي حديثاً مختلقاً عن النبي «صلى الله عليه وآله» في ذم علي «عليه السلام» يقول:

إن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ

الله عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[١]. قد نزل في علي «عليه السلام».

وإن قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ الله وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[٢]. نزل في ابن ملجم «لعنه الله»[٣].

د: إن ابن كثير حصر الكلام في أمر العطاء بين معاوية وبين الإمام الحسين «عليه السلام»، مع وجود الأخ الأكبر، وهو الإمام الحسن «عليه السلام».. مع أنه قد تقدم: أن الإمام الحسين لم يكن يتكلم في محضر أخيه الحسن «عليهما السلام»، فلماذا نقض «عليه السلام» طريقته هنا؟!

هـ: إن الرواية قد واصلت إبراز حسن أخلاق معاوية وكرمه، وجوده، وأن إكرامه، غامراً للإمام الحسين إلى ما بعد وفاة الإمام الحسن «عليهما السلام».

فهل سرّ وسبب ذلك: هو إظهار سماحة معاوية وكرمه، وحسن خلقه مع رجل تبين فيما بعد أنه لم يكن وفياً، ولا معترفاً بالإحسان، بل كان ناكراً

---

(١) الآية ٢٠٤ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٢٠٧ من سورة البقرة.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٤ ص٧٣ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٣٨٣ و ٣٨٤ وبحار الأنوار ج٣٣ ص٢١٥ وخلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص٣٦٢ و ٢٦٣ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٣٨٦ والغارات للثقفي ج٢ ص٨٤٠ وفرحة الغري لابن طاووس ص٤٧ وشجرة طوبى ج١ ص٩٧ والغدير ج١١ ص٢٩ و ٣٠ وج٢ ص١٠١ وإكليل المنهج في تحقيق المطلب للكرباسي ص٢٩٠ والنصائح الكافية ص٧٦ وإحقاق الحق (الأصل) ص١٩٦ وسفينة النجاة للتنكابني ص٣٠٣ وحياة الإمام الحسين للقرشي ج٢ ص١٥٦.

للجميل، مقابلاً للإحسان بالإساءة، بخروجه على ابن هذا الذي أحسن إليه هذا الإحسان العظيم ليحاربه، فنال جزاءه، ورأى ما أساءه؟!

و: لماذا تبجح معاوية بأمه هند، لمجرد أنه أعطى هذا المبلغ الزهيد جداً، لصفوة الخلق؟! هل تحاشى ذكر أبيه خوفاً من طرح موضوع صحة انتسابه إليه؟!

أو أن هذا المال الذي أعطاه قد حصل عليه من خلال أمه هند؟!

أو أنه ليس من الأموال التي يأخذها من بيت المال، بل هو مال شخصي تعب هو وأولاده في تحصيله.

وهل يُسعِد آكلة أكباد الناس، وهم من أعظم الشهداء الأتقياء منزلة عند الله، كحمزة عم الرسول «صلى الله عليه وآله» ـ هل يسعدها ـ أن تعطي، أو يعطي ولدها من تبغضهم إلى هذا الحد درهماً واحداً؟!

ومن يشق البطون، ثم يأكل أكباد الشهداء، هل يمحو العار عنه أن يعطي ولده ملايين الدراهم لهذا أو ذاك؟!

ز: إن معاوية إنما تسلط على بيت مال المسلمين نتيجة لبغيه على إمام زمانه، ومحاربته له، وإنما عقد الإمام معه هدنة لترك الحرب، وشرط عليه شروطاً..

ومن المعلوم: أن نقض الشروط من طرف واحد لا قيمة ولا أثر له.

ومن جملة الشروط، شروط مالية، فرضها عليه من موقع إمامته، وأحقيته بالأمر، وانحصار حق التصرف في بيت المال به «عليه السلام»، لأنه الإمام الحق، فأي مال يمكن استنقاذه من يد معاوية، فإنه يرجع إلى أهله، ويكون

طاعة لله تعالى، وليس من قبيل جوائز الظالمين.. والرواية عن الإمام الباقر قد صرحت بذلك أيضاً[١].

ح: وقد ذكرنا في ما سبق من هذا الكتاب شطراً وافراً من الظروف التي مهدت للهدنة، وبينت أنها كانت ضرورية، لحفظ أساس الدين، وصيانة دماء المسلمين.

ط: إن الشروط المالية التي وضعت للهدنة، قد جعلت أي تعدٍّ على الجانب المالي غير متيسر لمعاوية، إلا من خلال نكث العهد، ونقض الشروط.

ونحن نعلم: أن تصحيح الأوضاع، وإعادة الأمور إلى نصابها يكون أيسر من إعادة تأسيس الدين بعد اقتلاعه من جذروه، واستبداله بأحكام الجاهلية.

ي: إن ما كان يصل من معاوية إلى الحسن والحسين، وإلى بعض بني هاشم، كعبد الله بن جعفر، وابن عباس أموال كان جزءاً ضئيلاً مما قررته شروط الهدنة.. وليس هو من كرم نفس معاوية، ولا من تفضلاته، ولا هو من ماله الخاص.

ك: إن تسمية بعض ما يعطيه معاوية للحسنين «عليهما السلام» بأنه هدايا، غير دقيق، بل هي مما كانت شروط الهدنة قد الزمت معاوية بها لأصحابها الشرعيين.

وإعلان معاوية عدم وفائه بالشروط، لا يبرئه من تبعات المخالفة، ولا أثر له، ولا يعتدّ به.

---

(١) دعائم الإسلام ج٢ ص٣٢٣.

ل: ما أشار إليه خالد محمد خالد من أن معاوية يعترف بأن ما يأخذه الإمام الحسن «عليه السلام» يدع لزوجاته منه بعض الطيب، ثم يترك لمن حوله كل شيء، غير دقيق، فإن بعض النصوص تقول:

كانَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ «عليهما السلام» يَأْخُذانِ مِنْ مُعاوِيَةَ الأموالَ ، فَلا يُنْفِقانِ مِنْ ذلِكَ عَلى أنْفُسِهِما وَلا عَلى عِيالِهِما ما تَحْمِلُهُ الذُّبابَة بِفيها[١].

م: أما بالنسبة لما ذكره معاوية أيضاً عن الإمام الحسين «عليه السلام»، واهتمامه بأيتام الجمل وصفين، فنلاحظ:

ـ أن هذه الرعاية لهؤلاء الأيتام كانت أحد شروط الهدنة.

ـ ومن شروطها أيضاً: أن يكون خراج دارابجرد وفسا اللتين فتحتا صلحاً هو مصدر الأموال التي تصرف في هذا السبيل.

ـ إن ما فتح صلحاً يكون خالصاً للإمام «عليه السلام».

وهذا يعطي: أنه «عليه السلام» يريد أن يأكل الأيتام من مال أهل البيت، ولا يريد مالاً كيفما اتفق، حتى لو كان من أموال المسلمين المقاتلين أو غيرهم.

ـ لم يذكر «عليه السلام» أيتام من قتل من أصحاب أبيه في النهروان، لعدم العلم بوجود أيتام لهم، لأن الذين قتلوا من أصحاب أمير المؤمنين كانوا أقل من عشرة.

ن: وآخر ما نذكره هنا: أننا حين نقول: إن نقض معاوية للشروط لا

---

(١) راجع: علل الشرايع ص٢١٨ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٣ ومستدرك الوسائل ج١٣ ص١٨٠.

يعفيه من المسؤولية، كما أن سلطة الظالم على الأمة، وعلى سائر شوونها لا يعطيه شرعية..

فإن من جملة أدلتنا على ذلك قول النبي «صلى الله عليه وآله»: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا.. الدال على أن إقصاءهما العملي عن مقامهما لا يعني انعزالهما. وكلمة «أو قعدا» شاهد صدق على ذلك.

س: إن الحديث عن شراء سكوت الحسنين «عليهما السلام» بالأموال غير مجد، فإنهما لم يسكتا عن الجهر بالحق، ولو سكتا، لكان هذا يتضمن تكذيباً لآية التطهير، الحاكمة بأنهما معصومان..

تحل الصدقة لثلاثة أصناف:

روى الكليني «رحمه الله»، عن العدة، عن البرقي، عن أبيه، عمن حدثه، عن عبد الرحمن العرزمي، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال:

جاء رجل إلى الحسن والحسين «عليهما السلام» وهما جالسان على الصفا، فسألهما..

فقالا: إن الصدقة لا تحل إلا في دين موجع، أو غرم مفظع، أو فقر مدقع.. ففيك شيء من هذا؟!

قال: نعم.

فأعطياه.

وقد كان الرجل سأل عبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، فأعطياه، ولم يسألاه عن شيء.

فرجع إليهما، فقال لهما: ما لكما لم تسألاني عما سألني عنه الحسن والحسين «عليهما السلام»؟!

وأخبرهما بما قالا، فقالا: إنما غذّيا بالعلم غذاء[١].

ونقول:

إيضاحات:

ربما يكون وصف الدَّين بالموجع في صورة ما إذا كان حالاً، وباهظاً، لا يتمكن من إيفائه بأية حيلة أو وسيلة، وصار المدين يتعرض للمطالبات من الدائن.. ولم يكن أمامه أي حل إلّا بالتعرض للصدقة، لتكون معينة له على قضاء دينه.

الغرم في التجارة: الخسارة، وغرم الدية: ألزم بإدائها.

المفظع: الشديد الشنيع.

المدقع: من الدقعاء، وهو التراب. والفقر المدقع هو الذي يؤدي بالإنسان إلى أن يصبح على التراب، لا يملك حتى حصيراً ليجلس عليه.

فسألهما: أي طلب منهما مساعدته بالمال.

لا بد من التعليم:

١ ـ دل هذا النص على أن أي عمل يقدم عليه الإنسان في حياته، لا بد

---

(١) راجع: الكافي ج٤ ص٤٧ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٩ ص٢١١ و (الإسلامية) ج٦ ص١٤٥ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣٢٠ ومرآة العقول ج١٦ ص١٧٧ وذخيرة المعاد ص٤٦٢.

أن يعرف قيمته، وهدفه، وموقعه من رضا الله تعالى، وسخطه، فإن الإقدام عليه، لمجرد وجود الرغبة أو الحاجة إلى فعله بعينه لا تبرر فعله، كما لا يكفي الحدس والظن والاحتمال فيما يرتبط برضا الله وسخطه، وإنما يعلم ويؤخذ رضا الله من الذين نصبهم هداة لعباده، وقادة لبلاده، وليس كل من يدَّعي هذا المقام يصدّق ويقبل منه، ويعتمد على دعواه، بل لا بد من قيام الحجة والدليل على صدقه..

٢ ـ وقد رأى ابن عمر، وعبد الرحمان بن أبي بكر: أن الحسنين «عليهما السلام» قد غذّيا بالعلم غذاء..

فوجودهما «عليهما السلام» كله يتكون من هذا الغذاء، فليسا متعلمين، وينتهي علمهما عند حدود ما سمعا، أو رأيا، بل هو علم حي، يتفاعل معه كل وجودهما، فهو كعلم أبيهما، الذي قال: علمني رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ألف باب من العلم، يفتح لي من كل باب ألف باب..

ليس هذا من المروءة:

هناك من يستسهل تحصيل المال عن طريق التسول، متظاهراً بالفقر، أو مدعياً مرضاً أو عاهة تمنعه من العمل..

وقد يبرر ذلك: بأن ما يترتب على هذا التسول هو مجرد شعور المعطي بأنه متفضل، وأن له ميزة على الآخذ، وهذا ليس بالأمر الذي يجب الوقوف عنده، أو التحرز منه..

وقد غفل هؤلاء عن أن الله تعالى يريد المؤمن أن يكون عزيزاً وكريماً، وذا مكانة مرموقة، وينتقل من مقام إلى مقام، ومن حسن إلى أحسن منه.

ومن المعلوم: أن من يتظاهر بالحاجة، ويريد أن يعيش كلاً على الآخرين إنما يتظاهر بما يوجب وهناً في شخصيته، وضعفاً في مروءته، إن كان صادقاً، ويكون بتسوله هذا معيناً على هدم شخصيته، وتقويض درجة عزته، ومكانته، والله تعالى يريد له العزة والكرامة، والمقام المحمود..

وإن كان كاذباً في دعواه الحاجة، فإن ذلك يجعله في مواجهة المسؤولية الشرعية تجاه تصرفه بأموال الناس الذين يرون أنه خدعهم، ولو كشف أمره لهم لما أعطوه شيئاً.

أعطياه، ولم يدققا في مسألته:

١ ـ وقد رأينا: أن الحسنين «عليهما السلام» اكتفيا بإعطاء ذلك السائل القاعدة التي تحدد له موقع المال الذي يحصل عليه من الحلية أو الحرمة.. ولم يدققا معه لمعرفة أنه من أي الأصناف الثلاثة التي يحل لها أخذ الصدقة.

ويبدو أنهما «عليهما السلام» أوكلا أمر تحديد العنوان المنطبق عليه إليه، حملاً لفعل المسلم على الصحة، لأن الاستقصاء في السؤال قد يكون محرجاً، وربما مذلاً أيضاً..

كما أن هناك من يحبّ التستر على أحواله، حفظاً لما يمكن حفظه من ماء الوجه.

٢ ـ ويلاحظ أيضاً: أن النص المتقدم لم يحدد لنا المقصود من الصدقة التي تحلّ، هل هي الصدقة الواجبة، وهي الزكاة؟! فيكون المقصود: أن ذلك الرجل كان بحاجة إلى مبالغ كبيرة لحلّ مشكلته، لا تعطى لمثله في العادة من الزكاة الواجبة إلا في هذه الحالات الثلاث المشار إليها، إذ لا تعطى أموال

الله إلى كل من يطلبها، إذا لم يكن موجب للإعطاء والأخذ..

لأن عدم مراعاة الموجبات يؤدي إلى تضييع الأموال، وانتفاء فائدة التشريع.

ويحتمل أن يكون السؤال عن الصدقة المستحبة، إذ لا يجوز لأحد أن يتسول، ويعرض نفسه للمهانة والذل، إلا في أمر يوجب ذلك، بسبب خطورته وأهميته..

وقد قلنا: إننا نرجِّح إرادة الصدقة المستحبة.

الكرم الهاشمي:

ذكروا: أن رجلين، أحدهما من بني هاشم، والآخر من بني أمية، قال هذا: قومي أسمح.

وقال هذا: قومي أسمح.

قال: فسل أنت عشرة من قومك، وأنا أسأل عشرة من قومي.

فانطلق صاحب بني أمية، فسأل عشرة، فأعطاه كل واحد منهم عشرة آلاف درهم.

وانطلق صاحب بني هاشم إلى الحسن بن علي «رضي الله عنه»، فأمر له بمائة وخمسين ألف درهم.

ثم أتى الحسين «عليه السلام»، فقال: هل بدأت بأحد قبلي؟!

قال: بدأت بالحسن.

قال: ما كنت أستطيع أن أزيد على سيدي شيئاً، فأعطاه مائة وخمسين ألفاً من الدراهم.

فجاء صاحب بني أمية، فحمل مائة ألف درهم من عشرة أنفس، وجاء صاحب بني هاشم فحمل ثلاث مائة ألف درهم من نفسين.

فغضب صاحب بني أمية، فردها عليهم، فقبلوها.

وجاء صاحب بني هاشم، فردها عليهما، فأبيا أن يقبلاها وقالا: ما كنا نبالي: أخذتها، أم ألقيتها في الطريق!![1].

ونقول:

لماذا لا تنفق الأموال على الفقراء؟!:

إن هذه الرواية، وإن كانت لم تذكر لنا سنداً يمكن النظر فيه، ولكن ذلك لا يعني الحكم عليها بالوضع والاختلاق.

غير أن ثمة سؤالاً يواجهنا حول مضمونها، وهو أنها تقول: إن الإمام الحسن «عليه السلام» قد أعطى ذلك الرجل مئة وخمسين ألف درهم، وأعطاه الإمام الحسين «عليه السلام» مثلها، فما هذا التفريط بهذه الأموال الطائلة، في حين أنه كان يمكن توزيعها على مئات المحتاجين؟!

وقد يجاب:

أولاً: إن هذا الكلام، وإن كان صحيحاً في نفسه، ولكن من الصحيح أيضاً: أن ثمة أموراً تواجه الإنسان، تضطره لإنفاق مبالغ مالية ضخمة، يريد الله تعالى له أن ينفقها، ويعاقبه على إمساكه وتقصيره فيها..

---

(١) المحاسن والمساوي للبيهقي (ط بيروت) ص٥٦ و (ط أخرى) ج١ ص٨٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٩ ص٢٧١.

فمثلاً قد يحتاج إلى إنفاق هذا المبلغ على علاج مريض يهمه أمره، أو إلى بناء مساجد يذكر فيها اسم الله، أو إنشاء مدارس، تدرس فيها أحكام الله.

وقد يحتاج إلى إنفاق مبالغ كبيرة لكسر شوكة ظالم، أو فضح مبتدع ضال مضل، أو ما إلى ذلك، فهل يمكن أن نترك الضلال يستشري، والظلم يستفحل، وقلة الدين تنتشر ونقول: أعطوا الأموال للفقراء، وللفقراء فقط؟!

وكسر العنجهية الأموية، التي يريدون توظيفها في تسويق باطلهم، وإقصاء أهل الحق عن حقهم، وإظهار خوائهم وزيفهم، قد يكون من أوجب الواجبات، وأفضل القربات، لأن كسرها فيه قوة للدين وأهله، وكبت وذلة للباطل وأهله.. وهو يقعد المفسدين والظالمين عن الوصول إلى مواقع القيادة، بالإستناد إلى ادِّعاءات فارغة، وأوهام وأباطيل واهية.

ثانياً: إن هذه الأموال إذا كانت تسدي للدين وأهله هذه الخدمة، وتدفع كيد أهل الباطل عن المؤمنين، وتوهن أمرهم، فلا مانع من إنفاقها حتى لو كانت من بيت المال لحفظ الشأن العام، وحفظ بيضة الإسلام، وحقائق الدين.

على أن للأئمة الطاهرين مخصصات جعلها الله لهم، لاقتضاء مقام الإمامة الحافظة للدين ولأهله فيهم.

كما أنهم كانوا يعملون في زراعة الأرض وفي استنباط العيون، وغرس الأشجار، وإنشاء الضياع والمزارع، وما إلى ذلك.. فضلاً عما كان يخصهم به محبوهم من أموال لكي ينفقوه فيما أهمهم.

الإمام الحسن سيد الحسين:

١ ـ وقد صرحت الرواية: بأن الحسين «عليه السلام» حين علم أن أخاه قد أعطى مئة وخمسين ألفاً، قال: «ما كنت أستطيع أن أزيد على سيدي شيئاً».

وهذا غاية التعظيم والتبجيل من أخ لأخيه، وهو درس لكل عاقل في الأدب والتواضع، وأصول التعامل بين الإخوة، ورعاية حقوقهم، وعرفان الحق لأهله، من دون تعلل أو اختزال.

٢ ـ وقد روي عنهم «عليهم السلام» قولهم: «لا تضيعن حق أخيك، اعتماداً على ما بينك وبينه من مودة، فإن من ضيعت حقه، لم يكن لك بأخ»[١].

لأن تضييع حق أي كان من الناس إنقاص من مقامه، واختزال لحقوقه

---

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٣ ص٥٤ ومن لا يحضره الفقيه ج٤ ص٣٩٢ وتحف العقول ص٨٢ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج٤ ص٢١٢ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٢ ص٢٠٨ و (الإسلامية) ج٨ ص٥٤٦ كتاب الحج أبواب العشرة باب ١٢٢ حديث ١٢ وروضة المتقين ج١٣ ص٨٨ والوافي ج٢٦ ص٢٣٩ وتحفة السنية (مخطوط) ص٣٢٨ وبحار الأنوار ج٧١ ص١٦٥ و ١٦٨ وج٧٤ ص٢١٠ و ٢٢٩ وكنز الفوائد للكراجكي ص٣٤ وعيون الحكم والمواعظ ص٥٢٦ وكشف المحجة ص١٦٨ وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٥ ص٤٣ ومستدرك سفينة البحار ج١ ص٦٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص ١٠٥ وربيع الأبرار ج١ ص٣٦٣ والتذكرة الحمدونية ج٤ ص٣٧٨ ومطالب السؤول ص٢٧٦ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج٢ ص١٦٢ وأعلام الدين ص١٧٨ و ٢٨٧.

وميزاته، وخصائصه.. فإذا وقف ـ والحالة هذه ـ إلى جانب أخيه، فإنهما لن يظهرا متشابهين، بل سيظهر التشويه، والنقص في أحدهما، فلا يرضى من يدّعي أخوّته أن يساوي نفسه به، بل هو سيطلب التفرد والابتعاد عنه، أو التخلي عن معنى الأخوّة له.

٣ ـ ونحب لفت النظر إلى أن الأخوّة النسبية، التي ترافقها في العادة النشأة، والعشرة، والاطلاع المتبادل بين الأخوين على كل تفاصيل حياة أخيه، فإن هذه العشرة تقتضي رفع الكلفة، والتعامل بعفوية، بعد تجريد افتراضي من كل واحد منهما للآخر عن مقاماته، وخصوصياته، وامتيازاته..

فإن كان عالماً، فإنه لا يتعامل معه بما له هذه الصفة، وإن كان حسن الخلق طيب المعاشرة، فإن ذلك لا يأخذ له حيزاً في نفسه، فيما يمنحه إياه من احترام، وإكرام، ومودة..

وإن كان أسنّ منه، فإنه يغفل عن هذه الخصوصية أيضاً، إلى حد أنه قد لا يشعر بوجودها.

مع أن الإسلام يريد الاحتفاظ بذلك كله، ويريد توظيفه في بناء العلاقة وتوطيدها، على أن تكون نفس هذه المعاني والخصوصيات لها دورها الفاعل في تحديد المسار التعاملي بينهما، وفي الهيمنة عليه.

لا يزيد الأخ على أخيه:

ولو أن الحسين «عليه السلام» زاد في مقدار المال الذي أعطاه، ولو قدراً يسيراً على ما أعطاه أخوه الإمام الحسن «عليه السلام»، لبقي لهذه الزيادة أثر في نفس الآخذ، وغيره يعطي للحسين أرجحية ـ ولو بمقدار ضئيل ـ على

أخيه الإمام الحسن، ولو على مستوى الميل النفسي، والانجذاب اللاشعوري، وهذا ما لا يريد الإمام الحسين أن يتسبب به بنحو أو بآخر.

لا مانع من الاحتمال:

ويمكن لمن شاء من الناس: أن يحتمل أن يكون الحسنان «عليهما السلام» قد علما مسبقاً بهذه المنافسة التي تجري بين الهاشمي والأموي، ولو من طريق غير عادي، كأن يكون رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أخبر بذلك قبل وفاته، كما أخبر بغيره.

أو أن يكونا قد علما بها بعلم الإمامة، الذي يسّره الله لهما «عليهما السلام»، فجاء تصرفهما في سياق حفظ مقام الإمامة، وموقعها في الناس.. فإن من مظاهر الرحمة الإلهية بالناس: صيانة مقام الإمام، حتى عن مثل هذه الأوهام، وإظهار عوار وباطل أهل الباطل، وكشف زيفهم، وتقويض خططهم الرامية إلى خداع الناس، والمكر بهم، كما أشرنا إليه.. ولتبقى عقائد الناس على ما هي عليه من الصفاء والنقاء، ويبقى ارتباطهم بأهل البيت «عليهم السلام» في سياقه الصحيح والواضح والنقي.

إرجاع الأموال إلى أصحابها:

١ ـ ثم إن ذلك الأموي الذي صدم مما جرى، وعرف أنه كان مخدوعاً بما يشيعه قومه عن أنفسهم، وأنه كان مجرد ادِّعاء فارغ، بادر إلى إرجاع الأموال إلى الذين أخذها منهم، ففوجئ بأنهم قبلوها منه من دون تردد فيما يبدو.. الأمر الذي أفهمه: أنهم لا يبالون بمشاعر صاحبهم، وأنه قد وضع ماء وجهه في مهب الريح.. مع أن نفس إرجاعه الأموال إليهم يعبر عن خيبته،

وعن غضبه وألمه، وأن هؤلاء القوم الذين عقد أمله عليهم، قد ساهموا في صنع هذا الفشل، وتكريس الخذلان والخيبة له.

على أن نفس إرجاع المال إليهم لا يخلو من الاعتراض المهين على من أعطى هذه المقادير الضئيلة والقليلة منه.. فكان من المفروض أن يسألوه عن سبب إرجاع المال، وأن يبحثوا معه عن وسيلة يتداركون فيها هذا الذي جرى، ولا أقل من أن يسوِّغوه ذلك المقدار الضئيل من المال، لا أن يبادروا إلى أخذه منه.

٢ ـ وقد كان من الطبيعي: أن يجري هذا من الأموي والهاشمي، وغيرهما من الناس، مقارنة بين هؤلاء الأمويين، وبين الحسنين «عليهما السلام» اللذين رفضا قبول المال، حين عرض عليهما إرجاعه إليهما، وقالا له: «ما كنا نبالي أخذتها، أم ألقيتها بالطريق».

وهذه العبارة تظهر: أن علاقتهما «عليهما السلام» بهذا المال قد انقطعت، لا لسبب سوى أنهما حين أعطياه قد أعطياه عن طيب نفس، ورضى خاطر، وأصبح بالنسبة إليهما لا يختلف عن أي شيء يكون ملقى في الطريق..

خير المال ما وقي به العرض:

عن الأصمعي قال: بلغنا عن ابن عون، قال: كتب الحسن إلى الحسين «عليهما السلام» يعيب عليه إعطاء الشعراء.

قال: فكتب إليه: إن خير المال ما وقى العرض[(١)].

وفي نص آخر: أنت أعلم منِّي أن خير المال ما وقى العرض[(٢)].

قال الأربلي: «فانظر أيدك الله إلى حسن أدبه في قوله: أنت أعلم مني، فإن له حظاً من اللطف تاماً، ونصيباً من الإحسان وافراً.. والله أعلم حيث يجعل رسالاته»[(٣)].

وقال العلامة المجلسي «رحمه الله»: «لعل لومه «عليه السلام» ليظهر عذره للناس»[(٤)].

وكنا قد ظننا: أن الذي كتب إلى الإمام الحسين ليس هو الإمام الحسن، لأنهما كانا يعيشان في بلد واحد، وكان كل منهما مطّلعاً على أحوال الآخر، فلو كان ثمة ما يحتاج إلى بيان، فبالإمكان الكلام معه مباشرة، ولا حاجة إلى الكتابة.

---

(١) تاريخ ابن معين ج٢ ص١٠١ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص١٨١ و ١٨٢ وترجمة الإمام الحسين «عليه السلام» من سيرة ابن عساكر ص٢٢٠ وبغية الطلب لابن العديم ج٦ ص٢٥٩١ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص٢٢٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص١٢٤ و ١٨٨.

(٢) راجع: كشف الغمة ج٢ ص٤٧٦ ـ ٤٧٧ ونثر الدر للآبي ج١ ص٣٣٥ المجالسة (١١٧١)، والتذكرة الحمدونية ج٢ ص٨٦ والمستطرف (ط دار القلم) ج١ ص٣٧ ونزهة الناظر ص٨٣ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٩٥ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤٠٧ والفصول المهمة ج٢ هامش ص٧٦٩ وكنز العمال ج١٦ ص٢٠٤.

(٣) كشف الغمة للأربلي ج٢ ص٤٧٧ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص٢٤١.

(٤) بحار الأنوار ج٤٤ ص١٩٥.

وهذا يرجح أن يكون الكاتب للحسين «عليه السلام» هو الحسن بن أبي الحسن البصري..

ثم ظهر لنا: إن كلامنا ربما كان له وجه، بناء على رواية الأصمعي عن ابن عون، لكن المذكور في مصادر أخرى لم يتحدث عن ملامة وجهت إلى الإمام الحسين، كما أن جواب الإمام الحسين «عليه السلام» فيها قد تضمن ما يدل على أن الكتاب كان بين الإمام الحسن والحسين «عليهما السلام»، بقرينة قوله له: «أنت أعلم مني بأن خير المال الخ..»، فإن الإمام الحسين لا يقول لغير الإمام الحسن، الذي هو إمامه: «أنت أعلم مني»، لا للحسن البصري ولا لغيره.

فما ذكره العلامة المجلسي في بحار الأنوار، من أن المطلوب: هو أن يأتي هذا الجواب من الإمام الحسين «عليه السلام» بالذات، ليكون حجة دامغة على الذين يحاولون النيل من الإمام الحسين، باتهامه بتبذير الأموال، وإنفاقها في غير وجوهها الصحيحة.. كلام وجيه.

ولا شيء يمنع من أن يكون الإمام الحسين كان حينئذٍ في بعض ضياعه خارج المدينة يدبر شؤونها لمدة أيام، فكتب إليه أخوه، ليكون كتابه بخطه بمثابة وثيقة دامغة، وحجة قاطعة..

ظن الحسين هو الحسن:

خرج الحسن «عليه السلام» إلى سفر فأضلّ طريقه ليلاً، فمرّ براعي غنم، فنزل عنده، فألطفه، وبات عنده، فلمّا أصبح دلّه على الطريق، فقال له الحسن «عليه السلام»: إنّي ماض إلى ضيعتي، ثمّ أعود إلى المدينة، ووقّت له وقتاً، وقال له: تأتيني به.

فلمّا جاء الوقت شغل الحسن «عليه السلام» بشيء من أموره عن قدوم المدينة، فجاء الراعي، وكان عبداً لرجل من أهل المدينة، فصار إلى الحسين «عليه السلام» وهو يظنّه الحسن «عليه السلام»، فقال: أنا العبد الذي بتَّ عندي ليلة كذا، ووعدتني أن أصير إليك في هذا الوقت، وأراه علامات عرف الحسين «عليه السلام» أنّه الحسن.

فقال الحسين «عليه السلام» له: لِمَنْ أَنْتَ يا غُلامُ؟!

فقال: لفلان، فقال «عليه السلام»: كَمْ غَنَمُكَ؟!

قال: ثلاثمائة.

فأرسل إلى الرجل، فرغّبه حتّى باعه الغنم والعبد.. فأعتقه، ووهب له الغنم مكافأة لما صنع مع أخيه، وقال «عليه السلام»: إنَّ الَّذي باتَ عِنْدَكَ أَخي، وَقَدْ كافَأْتُكَ بِفِعْلِكَ مَعَهُ[1].

ونقول:

هناك عدة أسئلة تفرض نفسها، حول هذا النص، نذكرها كما يلي:

الإمام لا يضل الطريق:

تقول الرواية: إن الإمام قد ضل طريقه في سفره، فنزل عند راع، وبات ليلته عنده، فلما أصبح دلّه على الطريق، وتواعد معه الإمام الحسن على أن يلتقيا في المدينة في وقت بعينه.

---

(١) مقتل الحسين «عليه السلام» للخوارزمي ج١ ص١٥٣ وشرح إحقاق الحقّ (الملحقات) ج١١ ص٤٤٥ عنه.

والسؤال هو: هل يضل الإمام الطريق؟!

ويمكن أن يجاب:

بأن الإمام حين يسافر من بلد إلى بلد، فإنه لا يكون وحده، بل يستصحب معه من يعينه ويهتم بحال مراكبه، وقضاء حاجاته، واختيار الطرق التي يسلكها، مما يكون منها أكثر أماناً، وأسهل مسلكاً، وما إلى ذلك. وإن احتاجوا إلى خبراء وأدلاء، فإنهم يستصحبونهم معهم أيضاً.

وعلى هذا، فإن حصل أي وهم في تحديد الطريق، فإن المسؤولية فيه تقع على بعض هؤلاء.. وليس بالضرورة أن يتصدى الإمام «عليه السلام» لحل كل مشكلة بما آتاه الله إياه من علم الإمامة، فإنه علم خاص بما يوجب تأكيد وحفظ وصيانة هذا المقام، ويعين على القيام بمسؤولياته.

ولا يستفيد منه في أموره الشخصية، ولاسيما إذا كانت الفائدة الشخصية تحصل بسؤال أو بأدنى جهد..

ولو أريد توظيف علم الإمامة المتصل بالغيب في كل حركة، وموقف لاختلت حركة الحياة، وربما فسدت بعض الرؤى، وتعرضت بعض المفاهيم للنقض وقيمتها للسقوط..

الإمام.. وخلف الوعد:

وتقول الرواية: إن الإمام الحسن «عليه السلام» حين ذهب إلى ضيعته شغل ببعض الأمور، عن قدوم المدينة، فلما جاء الراعي إلى المدينة في الموعد المقرر لم يجد الإمام الحسن «عليه السلام»، ووجد الحسين «عليه السلام» فظنه هو، فعرّفه بنفسه، فقضى حاجته، وكافأه على ما صنعه مع أخيه..

فكيف يُخلف الإمام «عليه السلام» وعده؟!

ومن المعلوم: أن مكافأة الإمام الحسين «عليه السلام» لذلك الراعي لا تزيل الحزازة التي يتركها خُلف الوعد.. لاسيما وأن الإمام الحسين أعلمه: بأن أخاه لم يأت على الموعد، وأنه هو الذي كافأه عنه.

ولنفترض: أن الراعي قد ميّز بين الإمام الحسن والحسين، وأكمل طريقه إلى الموعد المقرر، فلم يجد الإمام الحسن هناك، فماذا سيكون حاله في تلك اللحظة؟! وماذا سيخطر على باله تجاه من وعده وتخلف عن الوفاء بوعده، ويرى أن جهده قد ذهب سدى؟!

ويمكن أن يقال في الجواب:

أولاً: لعل الإمام الحسن «عليه السلام»، قد طلب من أخيه أن يقوم مقامه في قضاء حاجة ذلك الرجل، ولم يطّلع الرواة على ذلك.

ولكنه جواب يقوم على احتمال لا شاهد له.

ثانياً: إن المذموم وغير المقبول: هو أن يُخلف المؤمن وعده مختاراً، وأما إذا منعته ظروف قاهرة من الوفاء بالوعد لم يكن ذلك الخُلف قبيحاً.. فإن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها.

وليس لدينا ما يدل على أنه كان قادراً على الوفاء بالوعد، فحمل فعل الإمام «عليه السلام» على أفضل الوجوه وأسناها يفرض التخلي عن هذا الاتهام.

ثالثاً: لدينا شاهد قرآني على ما نقول، وهو: آية التطهير، التي تحتم علينا الاعتقاد بأنه لم يكن خُلفاً اختيارياً.

كيف لم يميِّز الراعي الحسن عن الحسين؟!:

ذكرت الرواية: أن الراعي ظن أن الحسين «عليه السلام» هو الإمام الحسن «عليه السلام».. مع أن الشبه بين الأخوين لم يكن إلى حد أن لا يميز أحدهما من الآخر.. إلا إذا فرض: أن ذلك الراعي كان على درجة عالية من التغفيل والسذاجة. وليس في الرواية ما يشي بشيء من ذلك.

مع أن الرواية تصرح: بأن الحسن «عليه السلام» قد بات ليلته عند الراعي، فلما أصبح دلّه الراعي على الطريق، فيفترض أن يميز شخصه وصوته.

علماً بأن الراعي كان عبداً لأحد أهل المدينة، فيفترض فيه أن يكون عارفاً بالحسن والحسين «عليهما السلام»، ويميز أحدهما عن الآخر.. إلا إذا كان سيده قد اشتراه وأسكنه خارج المدينة، ولم يمض وقت يتردد فيه إليها ليعرف أهلها، ويميز بعضهم عن بعض.

ويمكن أن يجاب:

بأننا إذا أخذنا بعض ما تقدم بعين الإعتبار، وأضفنا إليه: بأن المبيت عند الراعي لا يحتِّم التعرف على الشكل والصوت بنحو يمنع من الاشتباه، فإن الإنارة في تلك القرية في البادية تكاد تكون معدومة، كما أن العاهات في البصر كانت شائعة، وكان سكان البادية يحرصون على التستر بالظلمة، والسكون، وخفض الأصوات من السلابين والنهابين والغزاة.. هذا، عدا عن أمور أخرى يمكن إضافتها إلى ذلك.. فإن الصورة تصبح أكثر وضوحاً، ويزول قسط وافر من التعجب والاستغراب.

حجم المكافأة:

ويبقى هنا سؤال عن هذا الحجم الكبير للمكافأة على مبيت ليلة عند راع في صحراء، ثم دلالته على الطريق.

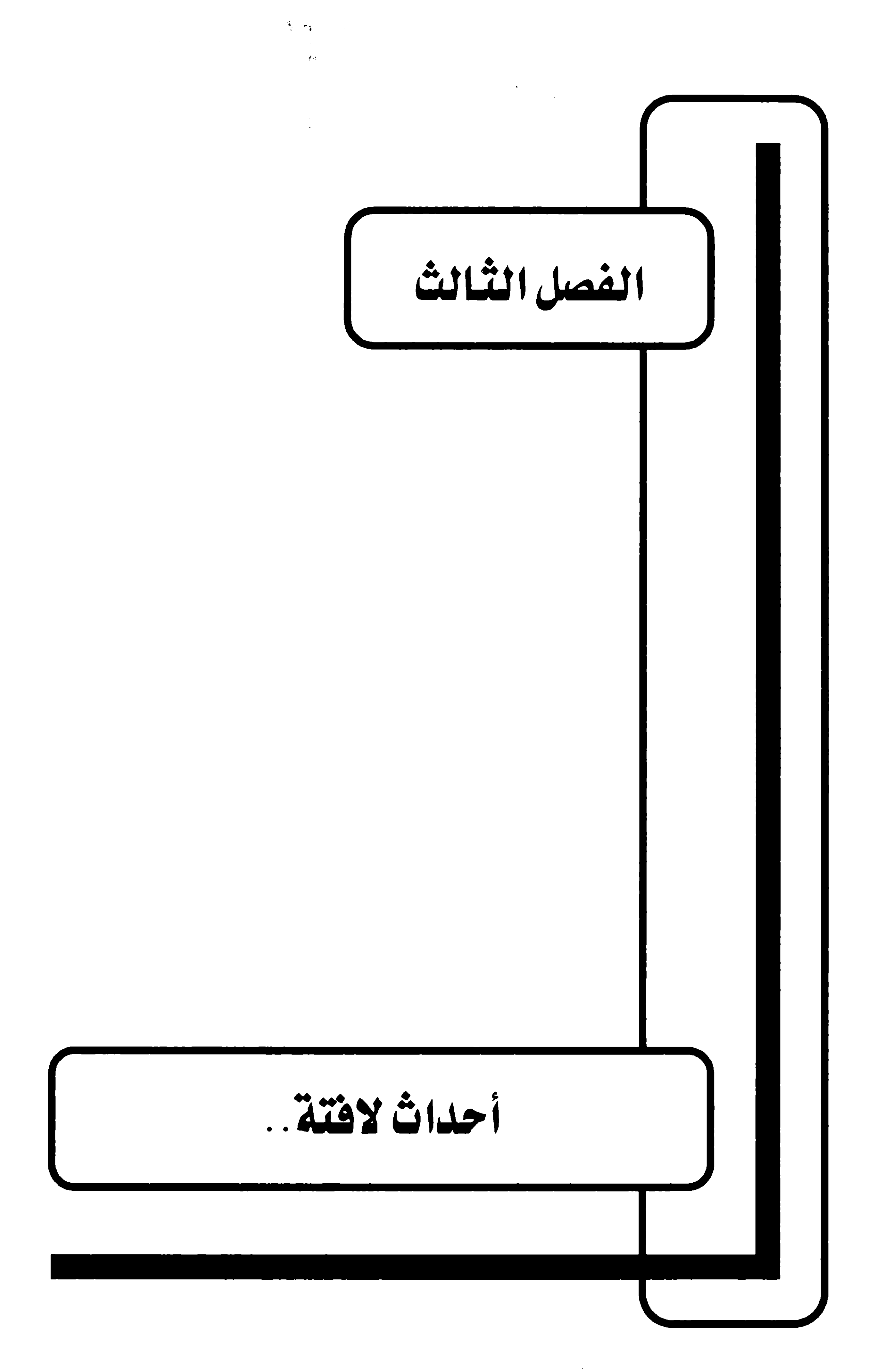
ويمكن أن يجاب:

بأن هناك أموراً حيوية ومهمة جداً لحياة المجتمعات، وتُعدّ سبباً لبقائهم، وتيسير حياتهم، وتخفيف الأعباء عنهم.. ويحتاج الإمام والحاكم إلى تأصيلها، وترسيخها، إلى حد تصبح معها، وكأنها جزء من فطرتهم، وطبيعتهم، ووجودهم.. ولو أريد الاكتفاء بالإرشاد والتعليم في هذه الأمور فقد تمضي سنوات وعقود، من دون الحصول على نتائج معتد بها.

فلا بد من حدث عظيم يشد الأنظار، ويثير الفضول، ويحرك الرغبات والطموحات، وتلتذ به المشاعر، ويتناقله الشعراء في أشعارهم، ويسجله الكتَّاب في مؤلفاتهم، ويتندر به الأدباء في ندواتهم وفي أسفارهم، ويسري في العروق الحيّة للمجتمعات، كما يسري ماء الحياة والدم فيها.

وتكون حصيلة هذا الحدث الكبير أعظم بكثير من حصيلة عشرات القرون من دونه.. وما ذكرته هذه الرواية هو أحد هذه الأحداث الكثيرة والنادرة، الهادفة إلى تكريس هذا المعنى الذي دعا هذا الراعي لاستضافة تائه في الصحراء، ويحميه من الجوع والعطش والبرد، والحيوانات المفترسة، ومن السلابين والمجرمين، ومن كل سوء.. وبذلك يكون قد أحيا نفساً. ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً.

فجاءت هذه المكافأة على قدر هذا الإنجاز الكبير لتسهم في حفظه، وفي تقويته، وفي امتداده..



الفصل الثالث

أحداث لافتة..

ابن مسلمة والإمام الحسن:

ويقولون: إن حبيب بن مسلمة التقى الإمام الحسن «عليه السلام» في الطواف، فقال له: يا حبيب، رب مسير لك في غير طاعة الله!!

فقال له حبيب: أما مسيري إلى أبيك فليس من ذلك.

فقال «عليه السلام»: بلى والله، ولكنك أطعت معاوية على دنيا قليلة زائلة، فلئن قام بك في دنياك، لقد قعد بك في آخرتك.. ولو كنت إذ فعلت شراً قلت خيراً، كان ذلك كما قال الله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾[١].

ولكنك كما قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٢].

ثم تركه، وانصرف[٣].

---

(١) الآية ١٠٢ من سورة التوبة.

(٢) الآية ١٣ من سورة المطففين.

(٣) حياة الإمام الحسن للقرشي ج٢ ص٢٨٥ و٢٨٦ عن أحكام القرآن للرازي ج٣ ص١٨١ وزهر الآداب ج١ ص٥٥ و (ط دار الجيل سنة ١٩٧٢م) ج١ ص٩٧ ـ ٩٨ والعوالم ج١٦ ص٢٣٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٠٦ ومناقب آل أبي طالب

ونقول:

يلاحظ هنا ما يلي:

١ ـ يلاحظ: أن الإمام الحسن «عليه السلام» قد تعمد تذكير حبيب بن مسلمة بذنوب له سابقة، حيث يتوقع ممن يكون في أقدس مكان، ويمارس العبادة: أن يستجيب لداعي التوبة من الذنوب، وطلب غفرانها من الله تعالى، لأنه إذا لم يتب في هذه الساعة، وفي هذا المكان، فمتى وأين يفعل ذلك، فإن ذلك يدل على شقائه وخذلانه؟!

٢ ـ ولكن هذا الرجل ليس فقط لم يستجب لداعي التوبة، بل هو قد أعلن إصراره على تلك المعاصي، وهذا يمثل فضيحة له، ودلالة على أن طوافه، وتواجده في أقدس مكان لم يغير شيئاً من حالاته أو من نفسيته، بل زاده جرأة، واستكباراً.

(ط دار الأضواء) ج٤ ص٢٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٨٨ وكشف الغمة ج٢ ص٤٠٠ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص١٩٧ ونثر الدر للآبي ج١ ص٣٣٢ والعقد الفريد ج٤ ص٢٢ ووفيات الأعيان ج٣ ص١٨٦ و (ط دار الثقافة) ج٢ ص٦٨ ـ ٦٩ وتاريخ الإسلام (وفيات سنة ٤١ ـ ٦٠) ص٣٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص١٨ ونور الثقلين (تفسير) ج٢ ص٢٥٧ وج٥ ص٥٣٢ وكنز الدقائق (تفسير) ج١٤ ص١٨٣ وراجع: أحكام القرآن للجصاص ج٣ ص١٨٩ والدر المنثور ج٣ ص٢٧٥ وتفسير الآلوسي ج١١ ص١٣ وتاريخ مدينة دمشق ج١٢ ص٧٨ وأنساب الأشراف ج٣ ص١١ ـ ١٢ والبيان والتبيين ص٢٥٩ وترجمة الإمام الحسن من طبقات ابن سعد ص٦٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٢٣٣.

٣ ـ يلاحظ: أن الإمام «عليه السلام» لم يجرح شعور حبيب، بل لطف عبارته إلى أقصى حد ممكن، لأن قوله في غير طاعة الله يحتمل أن مسيره كان لأجل أمر مباح، ويحتمل أن يكون مسيراً في معصية الذي يمكن أن يصبح طاعة لله بأدنى إضافة قصدية. كما أن كونه مباحاً يكفي في أن لا يكون في معصية.

وإن لم يكن طاعة وانقياداً للأمر الإلهي.. فيكون «عليه السلام» قد أبعد ذهن القارئ عن أن يفهم ذلك على أنه اتهام مباشر، وطعن في الصميم.

٤ ـ لكن جواب حبيب يدل على أنه يدَّعي: أن مسيره لحرب أمير المؤمنين ليس مباحاً ولا معصية، بل مسير طاعة لله فقط..

٥ ـ وبعد أن بلغ الأمر إلى هذا الحد كان لا بد من التوضيح، فذكر «عليه السلام»:

أولاً: ما دل على أن حبيباً مجرد تابع للغير، مطيع لمن لا يدعو إلى هدى، بل إلى الشرور والآثام، ومن لا يملك قراره، فعليه أن يراجع حساباته، فليس هذا هو شأن الرجل السري، الذي يعوّل عليه.

ثانياً: إنه تابع طامع بالحصول على ما هو زائل وقليل، وهذا يشير إلى أنه ليس ذلك الرجل العاقل الحكيم، فإنما يطمع العاقل الحكيم بالكثير الباقي.

ثالثاً: إن الآخرة خير من الأولى، وهي الأرقى والأبقى، فالتفريط بها سوء توفيق، وخذلان من الله.

رابعاً: إن ذلك كله لا يمنع حبيباً من المداراة، وإخفاء المعايب والمثالب،

صوناً لماء الوجه، ولو في مرحلة الظاهر.. ولكن حبيباً لم يفعل ذلك، بل ارتكب القبيح ثم أصر عليه، وتباهى به، فكان ذلك خذلاناً مضاعفاً..

كلام معسول كالسيف المسلول:

بلغ الإمام الحسن «عليه السلام»: أن معاوية قال: «لا ينبغي أن يكون الهاشميّ غير جواد، ولا الأمويّ غير حليم، ولا الزّبيريّ غير شجاع، ولا المخزوميّ غير تيّاه.

فقال «عليه السلام»: قاتله الله! أراد أن يجود بنو هاشم فينفد ما بأيديهم، ويحلم بنو أمية فيتحبّبوا إلى الناس، ويتشجّع آل الزبير فيفنوا، ويتيه بنو مخزوم فيبغضهم الناس»(١).

ونقول:

١ ـ إن الكشف عن هذه النوايا الخبيثة لا يتيسر إلا لمن آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب، وإنما يعرف نوايا الناس، ومقاصدهم الحقيقية على نحو القطع النبي والإمام من خلال علم النبوة والإمامة، وكل من عداهم، لا يتعدى حاله الظن والحدس، الذي لا يسمن، ولا يغني من جوع.

٢ ـ إن هذه المقاصد الخفية شريرة وخبيثة إلى أبعد الحدود، وهي تهدف

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ج١ ص١٩٦ وكشف الغمة ج٢ ص٤٠٠ والتذكرة الحمدونية ج٣ ص٤١٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٠٦ وربيع الأبرار ج٢ ص٤٢٢ والبيان والتبيان ج٤ ص٦١ ونثر الدر ج١ ص٣٣١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٠٦.

إلى هدم أسر وقبائل بأكملها على طريقة دس السم، وهو الداء الدوي في العسل الشهي.

٣ ـ وهذا يعطي: أنه لا موقع لإحسان الظن، بمن عرف بالإجرام، والجرأة على الأنبياء والأولوياء، والأبرياء، فلا تجوز الاستنامة لهم، والتعامل بغفلة وسذاجة، بل لا بد من الحذر، والتفطن لما ينوون ويخططون.

٤ ـ كما أن تصدي الإمام الحسن «عليه السلام» لبيان مقاصد معاوية يعطي: أن على أهل الفكر والوعي أن لا يستهينوا بمثل هذه الأمور، بل يجب عليهم لفت أنظار الناس إليها، ورفع مستوى وعيهم، وتفكيرهم، وكشف ما خفي عنهم لهم.

٥ ـ وهذا هو ما كان يخشاه معاوية من علي وأهل البيت «عليهم السلام»، وقد قال لعكرشة بنت الأطرش: هيهات يا أهل العراق، لقد نبَّهكم علي بن أبي طالب، فلن تطاقوا[١]. أو نحو ذلك.

طهر ما طاب منك:

ومما يدخل في هذا السياق التعليمي، لتصحيح المفاهيم، وضبط الكلام، وجعله يصب في الإتجاه الإيجابي البناء، الذي يوحي بالمفاهيم الصحيحة والنافعة، التي يريد الله تعالى لها أن تهيمن على وجدان الناس وحركتهم العفوية، بعيداً عن الخواء والإبتذال، والثرثرة، ولزوم توخي الدقة، ولو

---

(١) راجع: العقد الفريد ج٢ ص١٠٨ و ١١١ ومحادثة النساء ص٨١ وقاموس الرجال ج١١ ص٢. وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج٦٩ ص٢٩٢ وبلاغات النساء (ط مكتبة بصيرتي) ص٧١ و (ط دار النهضة) ص١٠٤ وصبح الأعشى ج١ ص٣٠١.

بالعودة إلى أهل الذكر «عليهم السلام»، نذكر هنا ما رواه الكليني بسنده عن أبي مريم الأنصاري ـ رفعه ـ قال: إن الحسن بن علي «عليه السلام» خرج من الحمام، فلقيه إنسان، فقال: طاب استحمامك.

فقال: يا لكع، وما تصنع بالإست ههنا.

فقال: طاب حميمك.

فقال: أما تعلم أن الحميم العرق.

قال: فطاب حمامك.

فقال: وإذا طاب حمامي، فأي شيء لي.. ولكن قل: طهر ما طاب منك، وطاب ما طهر منك(١).

التهنئة بالمولود:

وروى الكليني بسنده عن أبي برزة الأسلمي قال: ولد للحسن بن علي «عليه السلام» مولود فأتته قريش، فقالوا: يهنئك الفارس.

فقال: وما هذا من الكلام؟!

قولوا: شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب، وبلغ الله به أشده،

---

(١) الكافي ج٦ ص٥٠٠ والعوالم ج١٦ ص٢٦٦ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١١١ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢ ص٥٩ و (الإسلامية) ج١ ص٣٨٣ ومرآة العقول ج٢٢ ص٤٠٢ ومن لا يحضره الفقيه ج١ ص١٢٥ ح٢٩٧ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص٥٢ و (منشورات الشريف الرضي) ص٥٤.

ورزقك بره(١).

وفي نص آخر عن الإمام الصادق «عليه السلام» قَالَ: هَنَّأَ رَجُلٌ رَجُلاً أَصَابَ ابْناً فَقَالَ يَهْنِئُكَ الْفَارِسُ.

فَقَالَ لَه الْحَسَنُ «عليه السلام»: مَا عِلْمُكَ يَكُونُ فَارِساً أَوْ رَاجِلاً؟!

قَالَ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَمَا أَقُولُ؟!

قَالَ: تَقُولُ شَكَرْتَ الْوَاهِبَ وبُورِكَ لَكَ فِي الْمَوْهُوبِ وبَلَغَ أَشُدَّه ورَزَقَكَ بِرَّه(٢).

الإمام الحسن ويزيد:

قال ابن شهرآشوب: «كتاب الشيرازي: روى سفيان الثوري عن واصل،

---

(١) الكافي ج٦ ص١٧ والعوالم ج١٦ ص٢٦٦ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١١١ وج١٠١ ص٩٤ ومرآة العقول ج٢١ ص٣٠ ومن لا يحضره الفقيه ج٣ ص٤٨٠ وتحف العقول ص٢٣٥ وتهذيب الأحكام ج٧ ص٤٣٧ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢١ ص٣٨٦ و ٣٨٧ و (الإسلامية) ج١٥ ص١٢١ ومستدرك الوسائل ج١٥ ص١٢٦ والبيان والتبيين ص٥٢١. وراجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٤ ص٨٢ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص٢٢١ وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٥ ص٤١٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٩ ص٢٧٠ وربيع الأبرار ج٤ ص٢٨٢.

(٢) الكافي ج٦ ص١٧ والعوالم ج١٦ ص٢٦٦ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١١١ وج١٠١ ص٩٤ ومن لا يحضره الفقيه ج٣ ص٤٨٠ وتهذيب الأحكام ج٧ ص٤٣٧ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص٢٢١ ومرآة العقول ج٢١ ص٣٠ وراجع: الكامل لابن عدي ج٧ ص١٠١ وميزان الإعتدال ج٤ ص٣١٩ ولسان الميزان ج٦ ص٢٠٤ وعيون الأخبار ج٣ ص٧٧.

عن الحسن، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾[1]: أنه جلس الحسن بن علي «عليه السلام» ويزيد بن معاوية بن أبي سفيان يأكلان من الرطب، فقال يزيد: يا حسن، إني منذ كنت أبغضك.

قال الحسن: إعلم يا يزيد: أن إبليس شارك أباك في جماعه، فاختلط الماءان، فأورثك ذلك عداوتي، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾.

وشارك الشيطان حرباً عند جماعه فولد له صخر، فلذلك كان يبغض جدي رسول الله[2].

ونقول:

إن الله سبحانه يريد لهذه الحقائق أن تطرق سمع أولئك الجبارين الذين قد لا يجرؤ أحد من الناس على مواجهتهم بها، لأنهم يعتصمون ببطشهم، وإجرامهم، ولأن الناس يعلمون: أن مصيرهم سيكون في غاية السوء.

فكان تعالى يهيئ الفرص لمن لا يخافون في الله لومة لائم، ولا يخشون أحداً إلا الله، فيجتمعون في مجلس، أو على طعام، أو في أية مناسبة أخرى، ويسوق الغرور والعنجهية والبطر، والإستكبار.. أولئك الجبارين للتباهي والتبجح بما حصلوا عليه بالظلم والعدوان، فيتطرقون إلى أمور ليجعلوا

---

(١) الآية ٦٤ من سورة الإسراء.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٢٢ و (ط دار الأضواء) ج٤ ص٢٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٨٦ والعوالم ج١٦ ص٢٣٥ وبحار الأنوار ج٤ ص١٠٤ ونور الثقلين (تفسير) ج٣ ص١٨٢ و كنز الدقائق (تفسير) ج٧ ص٤٤٢

منها وسيلة فخر واعتزاز..

فيتلقاها أهل البيت، ويجعلون منها مدخلاً لتصحيح المفاهيم، والجهر بالحقائق التي كان يجهد الظالمون لإخفائها وطمسها.

وتتحول أمجاد أولئك الظالمين إلى وصمات عار، وخزي وبوار لمن أراد أن يوظفها في غير مجالاتها، ليخدع بها الناس، ويشوش الحقائق من خلالها.

واللافت هنا: أن ما ذكره الإمام الحسن «عليه السلام» ليزيد لم يكن من الأمور الخفية والمستورة، بل كان شائعاً ومتداولاً، وليس فيه أي غموض أو إبهام..

وهذا الوضوح والشياع يقطع الطريق على أي جدال، أو نقاش فيه، ويفرض حالة من الإرباك والإحباط، والضياع لدى من يحاول التخلص والتملص منه.

ويترافق هذا مع فهم عميق للحالات والعقبات التي تعترض طريق أولئك الأشرار، وتمنعهم من التصعيد في مواقفهم، والتشدد في مواجهة هذه الحقائق.

الإمام الحسن والوليد بن عقبة:

وقد روى الصدوق كلاماً جرى بين الإمام الحسن «عليه السلام» والوليد بن عقبة، فقد قال الإمام للوليد: لا ألومك أن تسب علياً «عليه السلام» وقد جلدك في الخمر ثمانين سوطاً، وقتل أباك صبراً بأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» في يوم بدر، وقد سماه الله عز وجل في غير آية مؤمناً، وسماك فاسقاً، وقد قال الشاعر فيك وفي علي «عليه السلام»:

أنـــزل الله في الكتـــاب علينـــا — في عـــليّ وفي الوليــــد بيانــــا

فتبـــوَّأ الوليـــد حـــادث فـــسق — وعـــــليّ تبــــــوأ الإيمانــــــا

ليس من كـان مؤمنـاً عمـرك الله — كمـــن كـــان فاســـقاً خوانـــا

سوف يـدعى الوليـد بعـد قليـل — وعـــليّ إلى الجـــزاء عيانـــا

فعـــليّ يجـــزى هنـــاك جنانـــا — وهنـاك الوليـد يجـزى هوانـا[١]

فترى: أن جميع ما أشار إليه «عليه السلام» في الوليد مما يعرفه الكبير والصغير، والقاصي والداني، فبأي شيء، وكيف يدافع الوليد عن نفسه إلا بالسب والشتم، والتجني، والإفتراء؟!

هل قام الدين بمعاوية؟!:

روى المدائني قال: لقي عمرو بن العاص الحسن «عليه السلام» في الطواف، فقال له: يا حسن، زعمت: أن الدين لا يقوم إلا بك وبأبيك، فقد رأيت الله أقامه بمعاوية (أقام معاوية)، فجعله راسياً بعد ميله، وبيِّناً بعد خفائه.

أفيرضى (أفرضي) الله بقتل عثمان؟! أومن الحق أن تطوف بالبيت كما يدور الجمل بالطحين، عليك ثياب كغرقئ البيض، وأنت قاتل عثمان؟!

والله إنّه لألمّ للشّعث، وأسهل للوعث، أن يوردك معاوية حياض أبيك.

---

(١) العوالم ج١٦ ص٢٣٣ والأمالي للصدوق ص٣٩٦ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٩١.

فقال الحسن «عليه السلام»: إن لأهل النار علامات يعرفون بها: إلحاداً لأولياء الله، وموالاة لأعداء الله..

والله، إنك لتعلم أن علياً لم يَرْتَبْ في الدين، ولم يشكّ في الله ساعة ولا طرفة عين، قط..

وأيم الله (ووالله) لتنتهينّ يا ابن أمّ عمرو، أو لأنفذنّ حضنيك بنوافذ أشدّ من القعضبيّة (الأقضبة)..

فإيّاك والتهجّم عليَّ، فإني من قد عرفت؛ لست بضعيف الغمزة، ولا هشّ المشاشة؛ ولا مريء المأكلة..

وإنّي من قريش كواسطة القلادة، يعرف حسبي، ولا أدعى لغير أبي..

وأنت من تعلم ويعلم النّاس، تحاكمت فيك رجال قريش، فغلب عليك جزّاروه (جزارها)، ألأمهم حسباً، وأعظمهم لؤماً، فإيّاك عنّي، فإنّك رجس، ونحن أهل بيت الطّهارة، أذهب الله عنّا الرّجس وطهّرنا تطهيراً.

فأفحم عمرو، وانصرف كئيباً[١].

ونقول:

هنا أمور يحسن لفت النظر إليها، نذكر منها ما يلي:

---

(١) بحار الأنوار ج٤٤ ص١٠٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص٢٧ والعوالم ج١٦ ص٢٣٢ و ٢٣٣ والمحاسن والمساوئ ج١ ص١٣٦ و ١٣٧ والمحاسن والأضداد للجاحظ ص١٥١.

١ ـ يلاحظ: أن الإمام «عليه السلام» يقول لعمرو: لتنتهينّ يا ابن أمّ عمرو.

ولم يقل له: يا ابن العاص.. لأن رجالاً من قريش تحاكموا فيه، حتى غلب عليه أحدهم، فنسب إليه.. فلا شيء يدل على بنوته لأي منهم على نحو الجزم، ولكن سمية أمه بلا ريب.

٢ ـ قول عمرو بن العاص للإمام «عليه السلام»: عليك ثياب كغرقئ البيض.

الغرقئ: القشرة الملتزقة ببياض البيض.

والظاهر: أنه يريد وصف ملابس الإمام في طوافه: بأنها بيضاء، ورقيقة.

٣ ـ إن الإمام الحسن «عليه السلام» قد خاطب عمرواً بما هو فيه، ولا يستطيع عمرو إنكاره، لأنه يعلم به، كما أن الناس يعلمونه فيه، فأي محاولة للإنكار ستكون بمثابة نشر الروائح الكريهة في كل اتجاه.

٤ ـ القعضبيّة: الأسنة، منسوبة إلى رجل اسمه قعضب كان يعمل الأسنة في الجاهلية.

٥ ـ لا ندري أي دين أقامه الله بمعاوية، هل هو دين قتل أئمة الدين، وأهل البيت الطاهرين، والأتقياء والصالحين، والعلماء، والحكماء، والأبرياء؟! وهل هو الدين الذي يريد دفن ذكر رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! أم هو دين أهل الجاهلية، والعصبيات والتمييز العرقي والقبائلي، وما إلى ذلك؟!

٦ ـ ما شأن الإمام الحسن «عليه السلام» وقتل عثمان؟! ألا يزعمون أن

الإمام الحسن «عليه السلام» قد حاول أن يمنع من قتل عثمان، فلم يرض عثمان منه بذلك؟! وألم يكن هو وأبوه وأخوه من أوصلوا إلى عثمان الماء في أيام حصاره؟!

أنا أخير منك يا حسن:

قال ابن شهرآشوب: «قال معاوية للحسن بن علي: أنا أخير منك يا حسن.

قال: وكيف ذاك يا ابن هند؟!

قال: لأن الناس قد أجمعوا علي، ولم يجمعوا عليك.

قال: هيهات، هيهات، لشر ما علوت يا ابن آكلة الأكباد..

المجتمعون عليك رجلان، بين مطيع ومكره، فالطايع لك عاص لله، والمكروه (والمكره) معذور بكتاب الله.

وحاشى لله أن أقول أنا خير منك.. فلا خير فيك، ولكن الله برأني من الرذائل، كما برأك من الفضائل»(١).

ونقول:

أولاً: إن قول الإمام الحسن «عليه السلام» لمعاوية: «وكيف ذاك يا ابن هند»، ثم قوله له: «يا ابن آكلة الأكباد» قد أبطل كل حجة يمكن أن يأتي بها معاوية بعد ذلك، لأن من تكون أمه هي هند التي تأكل أكباد خيار الأمة

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج٤ ص٢٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٨٦ والعوالم ج١٦ ص٢٢٥ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٠٤.

وأبرارها، وشهدائها، ولديها من قسوة القلب، ومن العناد للحق وللدين وأهله هذا المقدار، ولا تقيم للقيم وزناً، ولا تجد العاطفة الإنسانية إلى قلبها سبيلاً، سوف تربي أبناءها على مثل هذه الصفات، والخصوصيات، والحالات.

أما من يتربى في حجر الصديقة الطاهرة سيدة نساء العالمين، الحوراء الإنسية، العابدة التقية، النقية المعصومة، سوف ينشأ أبناؤها منسجمين مع هذه الخصائص النبيلة والجميلة، وهم يعيشون في مهبط الوحي والتنزيل، ومختلف الملائكة مع أفضل الأنبياء، وأفضل الأوصياء، وخير النساء.

فكيف نتصور أن يكون من يعيش في بيئة الطهر يتساوى مع من يعيش في وكر الأفاعي، وعش الشياطين، وكهف الأبالسة؟!

ثانياً: إن معاوية ظن أن سلطانه دليل وجود الخير فيه، وان ابتعاد الإمام الحسن عن السلطة والحكم دليل على نقص الخير لديه، فبين له «عليه السلام» أن الشوكة والسلطان قد تكون لخير في الحاكم، كما هو الحال بالنسبة للأنبياء والأوصياء مثل داود، وسليمان، ونبينا الأعظم، وعلي «عليهم الصلاة والسلام».

وقد تكون لشر مستطير في ذلك الحاكم كفرعون، والنمرود، ومثل البغاة على الأنبياء والأوصياء، وقتلتهم، ومحاربيهم، وظالميهم، كمعاوية، والشجرة الملعونة في القرآن.. ولذلك قال «عليه السلام»: «لشر ما علوت يا بن آكلة الأكباد..».

ثالثاً: إن اجتماع الناس على الحاكم الجائر، والباغي على إمام زمانه، قد يكون طوعياً، وخياراً لهم، وقراراً منهم.. وهذا غير متحقق بالنسبة لمعاوية،

فإنه قد أخضع الناس ببطشه، وجيوشه وقسوته، لا بعدله وتقواه وطاعته لله.

فالناس المجتمعون عليه على قسمين: مطيع، ومكره، فالمطيع للجائر عاص لله، والمكره معذور عند الله.. فلا يدل هذا الإجتماع على حُسن أو خير في من اجتمع الناس عليه.

رابعاً: قد يقال: إن قوله «عليه السلام»: لكن الله برأني من الرذائل شاهد على عصمته «عليه السلام»، كما أن قوله «عليه السلام»: «كما برأك من الفضائل» يشهد على أن معاوية لا يصدر منه خير قط، فإن كل ما يفعله لا يقصد به وجه الله، بل يقصد به الدنيا، ولا شيء آخر غيرها..

من أي شيء تعجب الحسن؟!:

قال ابن شهرآشوب: ذكروا: أن الحسن بن علي «عليهما السلام» دخل على معاوية يوماً فجلس عند رجله، وهو مضطجع.

فقال له: يا أبا محمد، ألا أعجبك من عائشة تزعم أني لست للخلافة أهلاً؟!

فقال الحسن «عليه السلام»: واعجب من هذا جلوسي عند رجلك وأنت نائم، فاستحيى معاوية، واستوى قاعداً، واستعذره[1].

وحسب نص آخر، عن ابن عباس، قال: دخل الحسن بن علي «عليهما السلام» على معاوية بعد عام الجماعة، وهو جالس في مجلس ضيق، فجلس

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج٤ ص٢٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٠٥ والعوالم ج١٦ ص٢١٩ وكشف الغمة ج٢ ص٣٩٨ ونثر الدر للآبي ج١ ص٣٣٠.

عند رجليه، فتحدث معاوية بما شاء أن يتحدث، ثم قال:

عجباً لعائشة: تزعم أني في غير ما أنا أهله، وأن الذي أصبحت فيه ليس في الحق (لي بحق) ما لها ولهذا؟!

يغفر الله لها، إنما كان ينازعني في هذا الأمر أبو هذا الجالس، وقد استأثر الله به.

فقال الحسن «عليه السلام»: أوعجب ذلك يا معاوية؟!

قال: إي والله.

قال: أفلا أخبرك بما هو أعجب من هذا؟!

قال: ما هو؟!

قال: جلوسك في صدر المجلس، وأنا عند رجليك.

فضحك معاوية، وقال: يا ابن أخي، بلغني أن عليك ديناً.

قال: إن علي ديناً.

قال: كم هو؟!

قال: مائة ألف.

فقال: قد أمرنا لك بثلاث مائة ألف.. مائة منها لدَينك، ومائة تقسمها في أهل بيتك، ومائة لخاصة نفسك، فقم مكرماً فاقبض (واقبض) صلتك.

فلما خرج الحسن «عليه السلام«قال يزيد بن معاوية لأبيه: تالله ما رأيت رجلاً استقبلك بما استقبلك به ثم أمرت له بثلاث مائة ألف؟!

قال: يا بني، إن الحق حقهم، فمن أتاك منهم فاحث له[١].

ونقول:

تستوقفنا هنا أمور عديدة، نذكر منها مايلي:

١ ـ يلاحظ: أن معاوية يريد أن يدَّعي لنفسه أنه أهل للخلافة، فيورد ذلك وكأنه من المسلمات، لم يخالف فيه أحد سوى امرأة هي عائشة.

٢ ـ وهو يورد هذا الأمر أمام الإمام الحسن «عليه السلام»، ليكون سكوته «عليه السلام» عنه بمثابة إقرار به.

٣ ـ ثم يزعم: أن موقع الخلافة حق له..

٤ ـ ثم يستنكر على عائشة أن تعطي رأيها في مثل هذا الأمر، فتنكر أهلية معاوية لهذا المقام، ثم تنكر أن يكون له حق فيه.

٥ ـ ثم ادَّعى: أن من كان ينازعه في هذا الأمر هو خصوص علي، وكل من عداه، فإن أحداً منهم لم ينازعه، ولم يدَّع أن له حقاً، أو أن لديه الأهلية لهذا المقام.

٦ ـ وجاءه جواب الإمام الحسن «عليه السلام» ليسقط كلا دعوييه بكلمة واحدة، حيث قال «عليه السلام» له: إن الأعجب من ذلك هو جلوس معاوية في صدر المجلس والإمام الحسن عند رجليه.

أي أن ما ظهر من قلة أدب معاوية تجاه الإمام الحسن، وهو ابن رسول

---

(١) العوالم ج١٦ ص٢١٨ و ٢١٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٠٨ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص١٢ عن محمد بن حبيب في أماليه، وأنساب الأشراف ج٥ ص١٠١.

الله، وسيد شباب أهل الجنة، والإمام المفترض الطاعة حتى لو اغتصب البغاة مقامه منه ـ إن قلة الأدب هذه ـ تدل على أن معاوية لا يملك الأهلية لهذا المقام، لأنه لا يراعي أبسط الأمور، فما بالك بالدقائق، والمسائل العويصة والمعقدة.

وقد تعجب الإمام الحسن «عليه السلام» من أمرين:

أحدهما: تولي معاوية للخلافة، وادِّعاؤه أنه أهل لها، وأنها حق له.

الثاني: قعوده «عليه السلام» عند رجلي طاغية باغ يدعي ما ليس له بحق، ويزعم: أنه أهل لهذا المقام الشريف، وهو لا يقوم بأدنى فروض الأدب مع ذرية أفضل الأنبياء والمرسلين محمد «صلوات الله عليه وآله، وعليهم أجمعين»..

وهنا تعجب ثالث، من أن عائشة التي كانت تؤيد معاوية في حربه لعلي، وللإمام الحسن «عليه السلام»، هي نفسها تنفي الأهلية لمقام الخلافة عن معاوية.

٧ ـ قد اتَّخذ معاوية السؤال عن ديون الإمام الحسن، ثم بذل المال له ذريعة للخروج من المأزق الذي وضع نفسه فيه.

٨ ـ يؤكد هذا المعنى: أنه هو نفسه يعترف لابنه يزيد بأن الحق للإمام الحسن وأهل البيت «عليهم السلام».

رددتها.. وأنا ابن فاطمة:

قال ابن شهرآشوب: «قدم معاوية المدينة فجلس في أول يوم يجيز من دخل عليه من خمسة آلاف إلى مائة الف، فدخل عليه الحسن بن علي «عليه

السلام» في آخر الناس، فقال: أبطأت يا أبا محمد، فلعلك أردت أن تبخلني عند قريش، فانتظرت يفنى ما عندنا..

يا غلام، أعط الحسن مثل جميع ما أعطينا في يومنا هذا، يا أبا محمد، وأنا ابن هند.

فقال الحسن «عليه السلام»: لا حاجة لي فيها يا أبا عبد الرحمن، ورددتها، وأنا ابن فاطمة بنت محمد رسول الله»(١).

ونقول:

١ ـ كلمة يجيز: لا تعني أنه يعطي جوائز للناس، مكافأة لهم على انجاز بعينه، لكن ما كان يعطى للشعراء، قد يقال: إنه في مقابل عمل وجهد، وكذا كل من كانت له هذه الصفة.. وتطلق الجائزة على العطية، ويبدو: أنه إطلاق على سبيل التوسع، فقد كان من عادات العرب: أن الضيف بعد إكرامه ثلاثة أيام يعطى ما يجوز به (أي يقطع به) مسافة يوم وليلة(٢).

٢ ـ من الواضح: أن الحكام يهدفون من هذه العطاءات شراء الذمم، والحصول على الولاء، وإسكات الناس عن إظهار معايبهم، وسرقاتهم، وبدعهم، وانحرافاتهم، والجهر بها يتعرضون له منهم من ظلم وحيف على أيديهم.

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٢٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٨٣ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣٤٣ عنه.

(٢) أقرب الموارد مادة: جوز.

٣ ـ على أن ما كان هؤلاء الغاصبون يعطونه، لم يكن من أموالهم الخاصة، بل هو من أموال بيت المال التي حدد الله تعالى مصارفها، وحصر حق التصرف فيها بالأنبياء والأئمة، ومن أذنوا لهم، وليس هؤلاء المتغلبون والغاصبون من هؤلاء، بلا ريب.

٤ ـ وحين يصل الأمر إلى أهل البيت «عليهم السلام»، وخصوصاً الأئمة منهم، فإن ما يعطى لهم إنما هو جزء من أموالهم المصادرة والمغتصبة، فليس لمعاوية ولا لغيره أن يتبجح بهذا العطاء لهذا النزر اليسير.

وحسبنا أن نذكر القارئ الكريم هنا بقول الشاعر:

يمن عليكم بأموالكم وتعطون من مئة واحداً

ويا ليتهم يعطون من المئة أو من الألف واحداً.. ولكنهم يحاربونهم، ويقتلونهم، ويقهرونهم، ويذلونهم بنفس أموالهم هذه.

هذا، عدا عن عظيم منّهم عليهم، وتبجحهم بهذه العطاءات المغموسة بالبغض والحقد، والسم القاتل، والبلاء النازل.

٥ ـ ولست أدري متى كان الإمام الحسن «عليه السلام» يهتم بالأموال، ومقاديرها، ويمنح الأوسمة بالكرم أو بالبخل وفق ما تقتضيه تلك المقادير؟! ومتى وَصَفَ «عليه السلام» هذا بالكريم وذاك بالبخيل بناء على ذلك؟!

وهل يصح وصف من يعطي مالاً لا يملكه: بأنه بخيل أو جواد، على أن من يبخل بمال الناس، ولا يعطيه لأهله، يجب أن يعدّ من أبخل الناس..

وما أسهل على الشخص: أن يبذل أموال الناس لأحبابه، وأصحابه، وغيرهم، ويوظفها في تقوية حكمه.

فقد قال الشاعر:

ومن أخذ البلاد بغير حرب يهون عليه تسليم البلاد

وقال آخر:

يجود علينا الخيرون بمالهم ونحن بمال الخيرين نجود

فكيف، إذا كان قد أخذ البلاد بالظلم والسيف، وقتل الأبرياء؟! وحصل على أموال الناس بمثل هذه الأساليب الشريرة، وبالجور، والمكر والعدوان؟!

٦ ـ ولعله أصبح من الواضح: التوجهات العنصرية التي نضح بها كلام معاوية، فقد كان ما أهمه: هو أن لا يبخّل عند قريش، ولا يهمه أمر الأنصار، الذين كان يحرمهم، ويضطهدهم، ويبغي لهم الغوائل، مع أنه كان ببلدهم المدينة..

وهذه هي السياسة التي انتهجتها قريش ومن يدور في فلكها، ورسَّخ قواعدها أحد الخلفاء، ثم الأمويون الذين جاؤا بعده.

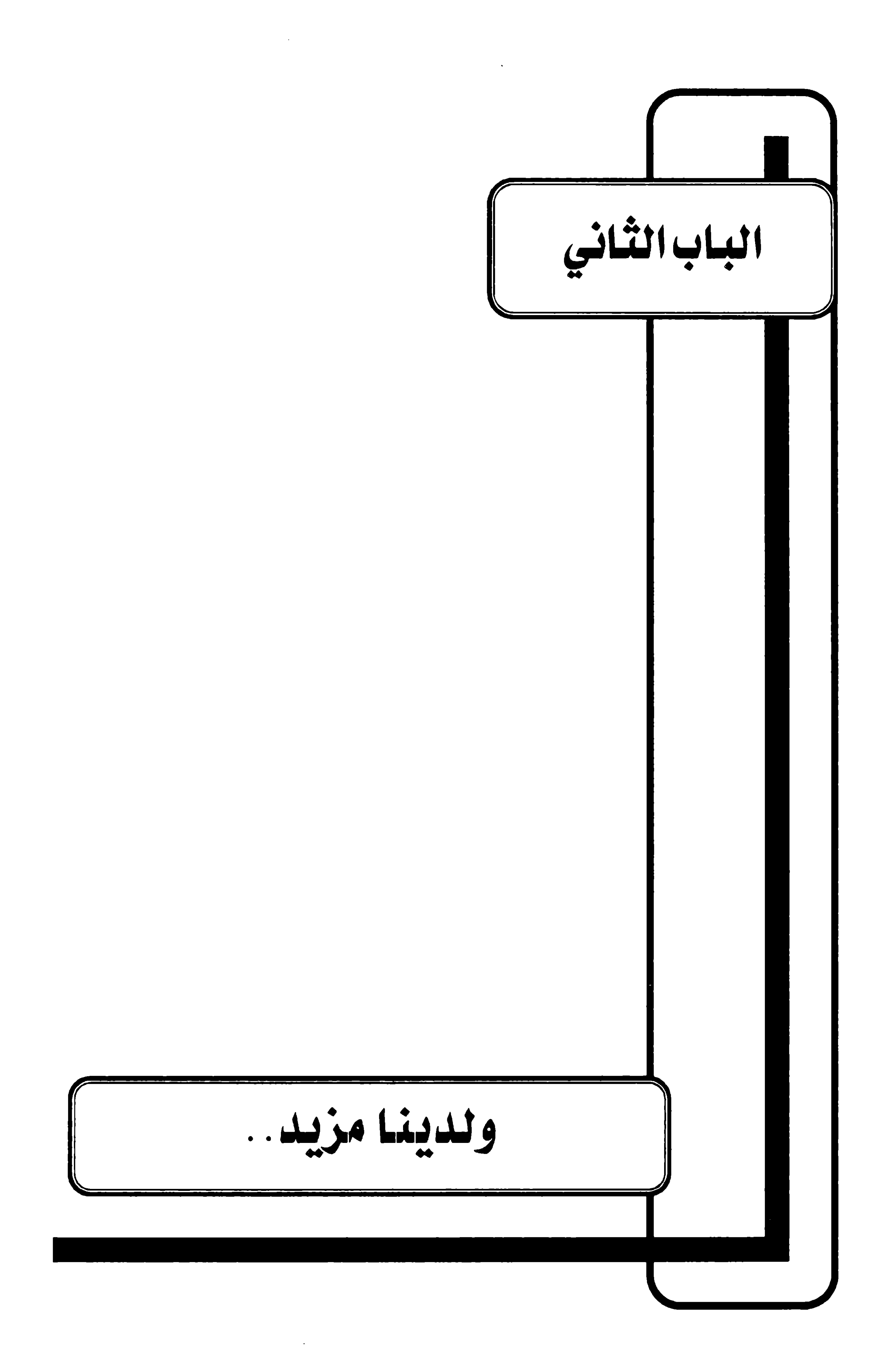
٧ ـ إن معاوية أراد أن يجعل لانتسابه لهند ميزة سماها الكرم، والسخاء، مع أن فعله ليس من ذلك، لا من قريب ولا من بعيد..

فأولاً: لأن المال ليس ماله، وإنما هو مال مغتصب، كما قلنا.

ثانياً: هو حين يعطيه للإمام الحسن، لا يعطيه لمن لا صلة له به، بل يعطيه للمالك الحقيقي له كما أوضحناه.

٨ ـ ولكن الإمام الحسن حين رده على معاوية إنما تكرم بماله الذي يملكه على نحو الحقيقة، بتمليك من الله تعالى الذي هو مالك الملك، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء.

٩ ـ وحين نسب الحسن نفسه إلى فاطمة، فقد نسبها إلى أبيها وهو أشرف الخلق وأفضلهم.. ولم يجرؤ معاوية على نسبة أمه لأبيها، فإن أباها خلو من المآثر، ولا نصيب له من المفاخر، إلا ما كان منها ينضح بالآثام، مضمخاً بالإجرام.



الباب الثاني

ولدينا مزيد..

الفصل الأول

إحتجاجات.. ومناشدات..

بداية:

إن الإحتجاجات والمناشدات، تعطي صورة عما يعتلج في الصدور، ويجيش في النفوس من حب وبغض، وحسد وحقد، ورضا وسخط، وهي دليل على الشيم، والأخلاق: فضائلها ورذائلها، وتدل على الطبائع والأخلاق الخيرة، كما تدل على الأخلاق الشريرة، وتميز الخبيث من الطيب، والمحق من المبطل، والمصلح من المفسد..

ونذكر في هذا الفصل إحدى مناظرات الإمام الحسن «عليه السلام» مع رموز الظلم والجور، ليكون القارئ على بينة من أمره في كل هذا الذي ذكرناه، فنقول:

مناظرة لم يكن في الإسلام مثلها:

روي عن الشعبي وأبي مخنف، ويزيد بن أبي حبيب المصري أنهم قالوا: لم يكن في الإسلام يوم في مشاجرة قوم اجتمعوا في محفل أكثر ضجيجاً، ولا أعلى كلاماً، ولا أشد مبالغة في قول، من يوم اجتمع فيه عند معاوية بن أبي سفيان عمرو بن عثمان بن عفان، وعمرو بن العاص، وعتبة بن أبي سفيان، والوليد بن عتبة بن أبي معيط، والمغيرة بن شعبة، وقد تواطؤوا على أمر واحد.

فقال عمرو بن العاص لمعاوية: ألا تبعث إلى الحسن بن علي فتحضره، فقد أحيى سيرة أبيه، وخفقت النعال خلفه: إن أمر فأطيع، وإن قال فصدق، وهذان يرفعان به إلى ما هو أعظم منهما، فلو بعثت إليه فقصرنا به وبأبيه، وسببناه وسببنا أباه، وصغرنا بقدره وقدر أبيه، وقعدنا لذلك حتى صدق لك فيه.

فقال لهم معاوية: إني أخاف أن يقلدكم قلائد يبقى عليكم عارها حتى تدخلكم قبوركم، والله ما رأيته قط إلا كرهت جنابه، وهبت عتابه، وإني إن بعثت إليه لأنصفنه منكم.

قال عمرو بن العاص: أتخاف أن يتسامى باطله على حقنا، ومرضه على صحتنا؟!

قال: لا.

قال: فابعث إذاً إليه.

فقال عتبة: هذا رأي لا أعرفه، والله ما تستطيعون أن تلقوه بأكثر ولا أعظم مما في أنفسكم عليه، ولا يلقاكم إلا بأعظم مما في نفسه عليكم، وإنه لمن أهل بيت خُصُم جُدُل.

فبعثوا إلى الحسن «عليه السلام»، فلما أتاه الرسول قال له: يدعوك معاوية، قال: ومن عنده؟!

قال الرسول: عنده فلان وفلان، وسمى كلاً منهم باسمه.

فقال الحسن «عليه السلام»: ما لهم خرَّ عليهم السقف من فوقهم، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون!!

ثم قال: يا جارية أبلغيني ثيابي..

ثم قال: اللهم إني أدرأ بك في نحورهم، وأعوذ بك من شرورهم، وأستعين بك عليهم، فاكفنيهم بما شئت وأنى شئت، من حولك وقوتك يا أرحم الراحمين.

وقال للرسول: هذا كلام الفرج.

فلما أتى معاوية رحَّب به وحياه وصافحه، فقال الحسن «عليه السلام»: إن الذي حييت به سلامة، والمصافحة أمَنَة.

فقال معاوية: أجل، إن هؤلاء بعثوا إليك وعصوني ليقرروك أن عثمان قتل مظلوماً، وأن أباك قتله، فاسمع منهم ثم أجبهم بمثل ما يكلمونك، ولا يمنعك مكاني من جوابهم.

فقال الحسن «عليه السلام»: سبحان الله، البيت بيتك، والإذن فيه إليك، والله لئن أجبتهم إلى ما أرادوا، إني لأستحيي لك من الفحش، ولئن كانوا غلبوك إني لأستحيي لك من الضعف، فبأيهما تقر؟! ومن أيهما تعتذر؟!

أما إني لو علمت بمكانهم واجتماعهم، لجئت بعدتهم من بني هاشم، ومع وحدتي هم أوحش مني مع جمعهم، فإن الله عز وجل لوليي اليوم وفيما بعد اليوم، فليقولوا فأسمع، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فتكلم عمرو بن عثمان بن عفان، فقال:

ما سمعت كاليوم، أن بقي من بني عبد المطلب على وجه الأرض من أحد بعد قتل الخليفة عثمان بن عفان، وكان [من] ابن أختهم، والفاضل في

الإسلام منزلة، والخاص برسول الله «صلى الله عليه وآله» أثرة، فبئس كرامة الله حتى سفكوا دمه اعتداءً، وطلباً للفتنة، وحسداً ونفاسة، وطلب ما ليسوا بآهلين لذلك، مع سوابقه ومنزلته من الله، ومن رسوله، ومن الإسلام.

فيا ذلّاه: أن يكون حسن وسائر بني عبد المطلب قتلة عثمان أحياء، يمشون على مناكب الأرض، وعثمان مضرج بدمه، مع أن لنا فيكم تسعة عشر دماً بقتلى بني أمية ببدر.

ثم تكلم عمرو بن العاص، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

إي يا ابن أبي تراب! بعثنا إليك لنقررك: أن أباك سمّ أبا بكر الصديق، واشترك في قتل عمر الفاروق، وقتل عثمان ذا النورين مظلوماً، فادّعى ما ليس له بحق، ووقع فيه.

وذكر الفتنة وعيّره بشأنها، ثم قال:

إنكم يا بني عبد المطلب! لم يكن الله ليعطيكم الملك فترتكبون فيه ما لا يحل لكم.

ثم أنت يا حسن تحدث نفسك: بأنك كائن أمير المؤمنين، وليس عندك عقل ذلك، ولا رأيه، فكيف وقد سلبته، وتركت أحمق في قريش؟! وذلك لسوء عمل أبيك، وإنما دعوناك لنسبك وأباك، ثم أنت لا تستطيع أن تعتب علينا، ولا أن تكذبنا في شيء به، فإن كنت ترى أنا كذبناك في شيء وتقوّلنا عليك بالباطل، وادّعينا خلاف الحق فتكلم، وإلا فاعلم أنك وأباك من شر خلق الله.

أما أبوك، فقد كفانا الله قتله وتفرد به..

وأما أنت، فإنك في أيدينا نتخير فيك، والله أن لو قتلناك، ما كان في قتلك إثم عند الله، ولا عيب عند الناس.

ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان، فكان أول ما ابتدأ به أن قال:

يا حسن، إن أباك كان شر قريش لقريش.. أقطعه لأرحامها، وأسفكه لدمائها، وإنك لمن قتلة عثمان، وإن في الحق أن نقتلك به، وإن عليك القود في كتاب الله عز وجل، وإنا قاتلوك به..

فأما أبوك، فقد تفرد الله بقتله فكفاناه..

وأما رجاؤك للخلافة فلست منها، لا في قدحة زندك، ولا في رجحة ميزانك.

ثم تكلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط بنحو من كلام أصحابه، وقال: يا معاشر بني هاشم كنتم أول من دبّ بعيب عثمان، وجمع الناس عليه، حتى قتلتموه حرصاً على الملك، وقطيعة للرحم، واستهلاك الأمة وسفك دمائها، حرصاً على الملك، وطلباً للدنيا الخسيسة وحبّاً لها، وكان عثمان خالكم فنعم الخال كان لكم، وكان صهركم فكان نعم الصهر لكم، قد كنتم أول من حسده وطعن عليه، ثم وليتم قتله، فكيف رأيتم صنع الله بكم.

ثم تكلم المغيرة بن شعبة، وكان كلامه وقوله كله وقوعاً في علي «عليه السلام» ثم قال:

يا حسن، إن عثمان قتل مظلوماً، فلم يكن لأبيك في ذلك عذر بريء، ولا اعتذار مذنب، غير أنَّا يا حسن قد ظننا لأبيك في ضمه قتلته، وإيوائه لهم، وذبه عنهم.. أنه بقتله راض، وكان والله طويل السيف واللسان، يقتل

الحي، ويعيب الميت، وبنو أمية خير لبني هاشم من بني هاشم لبني أمية، ومعاوية خير لك يا حسن منك لمعاوية.

وقد كان أبوك ناصب رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حياته، وأجلب عليه قبل موته، وأراد قتله، فعلم ذلك من أمره رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ثم كره أن يبايع أبا بكر حتى أُتي به قوداً، ثم دسّ إليه فسقاه سماً فقتله، ثم نازع عمر حتى همّ أن يضرب رقبته، فعمل في قتله، ثم طعن على عثمان حتى قتله.

كل هؤلاء قد شرك في دمهم، فأي منزلة له من الله يا حسن؟!

وقد جعل الله السلطان لولي المقتول في كتابه المنزل، فمعاوية ولي المقتول بغير حق، فكان من الحق لو قتلناك وأخاك، والله ما دم علي بخطر من دم عثمان، وما كان الله ليجمع فيكم يا بني عبد المطلب الملك والنبوة، ثم سكت.

فتكلم أبو محمد الحسن بن علي «صلوات الله عليهما»، فقال:

الحمد لله الذي هدى أولكم بأولنا، وآخركم بآخرنا، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم.

ثم قال: اسمعوا مني مقالتي، وأعيروني فهمكم، وبك أبدأ يا معاوية.

ثم قال لمعاوية: إنه لعمر الله يا أزرق ما شتمني غيرك، وما هؤلاء شتموني ولا سبني غيرك، وما هؤلاء سبوني، ولكن شتمتني وسببتني، فحشاً منك، وسوء رأي، وبغياً وعدواناً، وحسداً علينا، وعداوة لمحمد «صلى الله عليه وآله» قديماً وحديثاً.

وإنه والله لو كنت أنا وهؤلاء يا أزرق! مثاورين في مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» وحولنا المهاجرون والأنصار، ما قدروا أن يتكلموا بمثل ما تكلموا به، ولا استقبلوني بما استقبلوني به، فاسمعوا مني أيها الملا المخيمون، المعاونون عليَّ، ولا تكتموا حقاً علمتموه، ولا تصدقوا بباطل نطقت به، وسأبدأ بك يا معاوية، فلا أقول فيك إلا دون ما فيك.

أنشدكم بالله! هل تعلمون أن الرجل الذي شتمتموه صلى القبلتين كلتيهما، وأنت تراهما جميعا ضلالة، تعبد اللات والعزى؟!

وبايع البيعتين كلتيهما: بيعة الرضوان، وبيعة الفتح، وأنت يا معاوية بالأولى كافر، وبالأخرى ناكث.

ثم قال: أنشدكم بالله! هل تعلمون أنما أقول حقاً، إنه لقيكم مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم بدر ومعه راية النبي «صلى الله عليه وآله» ومعك يا معاوية راية المشركين، تعبد اللات والعزى، وترى حرب رسول الله «صلى الله عليه وآله» والمؤمنين فرضاً واجباً.

ولقيكم يوم أحد، ومعه راية النبي «صلى الله عليه وآله»، ومعك يا معاوية راية المشركين.

ولقيكم يوم الأحزاب ومعه راية النبي «صلى الله عليه وآله» ومعك يا معاوية راية المشركين.

كل ذلك يفلج الله حجته، ويحق دعوته، ويصدق أحدوثته، وينصر رايته، وكل ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» يرى عنه راضيا في المواطن كلها.

ثم أنشدكم بالله! هل تعلمون أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حاصر بني قريظة وبني النضير، ثم بعث عمر بن الخطاب ومعه راية المهاجرين، وسعد بن معاذ ومعه راية الأنصار..

فأما سعد بن معاذ، فجرح وحمل جريحاً..

وأما عمر، فرجع وهو يجبِّن أصحابه، ويجبِّنه أصحابه، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار، ثم لا يرجع حتى يفتح الله عليه.

فتعرض لها أبو بكر وعمر وغيرهما من المهاجرين والأنصار، وعلي يومئذ أرمد شديد الرمد، فدعاه رسول الله «صلى الله عليه وآله» فتفل في عينيه فبرأ من الرمد، فأعطاه الراية، فمضى ولم يثن حتى فتح الله [عليه] بمنّه وطوله، وأنت يومئذ بمكة عدو لله ورسوله، فهل يسوى بين رجل نصح لله ولرسوله، ورجل عادى الله ورسوله «صلى الله عليه وآله»؟!

ثم أقسم بالله ما أسلم قلبك بعد، ولكن اللسان خائف، فهو يتكلم بما ليس في القلب.

[ثم] أنشدكم بالله! أتعلمون أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» استخلفه على المدينة في غزوة تبوك، ولا سخطه ذلك ولا كرهه، وتكلم فيه المنافقون، فقال: لا تخلفني يا رسول الله، فإني لم أتخلف عنك في غزوة قط.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنت وصيي وخليفتي في أهلي بمنزلة هارون من موسى، ثم أخذ بيد علي «عليه السلام» ثم قال: أيها الناس «من تولاني فقد تولى الله، ومن تولى علياً فقد تولاني، ومن أطاعني فقد

أطاع الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أحب علياً فقد أحبني».

[ثم قال:] أنشدكم بالله! أتعلمون أن رسول الله قال في حجة الوداع:

أيها الناس، إني قد تركت فيكم ما لم تضلوا بعده: كتاب الله، فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا آمنا بما أنزل الله من الكتاب، وأحبوا أهل بيتي وعترتي، ووالوا من والاهم، وانصروهم على من عاداهم، وإنهما لم يزالا فيكم حتى يردا علي الحوض يوم القيامة.

ثم دعا ـ وهو على المنبر ـ علياً فاجتذبه بيده، فقال: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، اللهم من عادى علياً فلا تجعل له في الأرض مقعداً، ولا في السماء مصعداً، واجعله في أسفل درك من النار.

أنشدكم بالله! أتعلمون أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال له: أنت الذائد عن حوضي يوم القيامة.. تذود عنه كما يذود أحدكم الغريبة من وسط إبله.

أنشدكم بالله! أتعلمون أنه دخل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مرضه الذي توفي فيه، فبكى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال علي: ما يبكيك يا رسول الله؟

فقال: يبكيني أني أعلم أن لك في قلوب رجال من أمتي ضغائن لا يبدونها حتى أتولى عنك.

أنشدكم بالله! أتعلمون أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين حضرته

الوفاة، واجتمع أهل بيته قال: اللهم هؤلاء أهلي وعترتي، اللهم وال من والاهم، وانصرهم على من عاداهم؟!

وقال: إنما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من دخل فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق؟!

أنشدكم بالله! أتعلمون أن أصحاب رسول الله قد سلموا عليه بالولاية في عهد رسول الله وحياته «صلى الله عليه وآله».

أنشدكم بالله! أتعلمون أن علياً أول من حرم الشهوات كلها على نفسه من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأنزل الله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ**﴾[١]، وكان عنده علم المنايا، وعلم القضايا، وفصل الخطاب، ورسوخ العلم، ومنزل القرآن، وكان في رهط لا نعلمهم، يتمون عشرة، نبأهم الله أنهم به مؤمنون، وأنتم في رهط قريب من عدة أولئك لعنوا على لسان رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأشهد لكم وأشهد عليكم: أنكم لعناء الله على لسان نبيه «صلى الله عليه وآله» كلكم (أهل البيت)؟!

وأنشدكم بالله! هل تعلمون أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث إليك لتكتب لبني خزيمة حين أصابهم خالد بن الوليد، فانصرف إليه الرسول، فقال: هو يأكل، فأعاد الرسول إليك ثلاث مرات، كل ذلك ينصرف الرسول

---

(١) الآيتان ٨٧ و ٨٨ من سورة المائدة.

ويقول: هو يأكل.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: اللهم لا تشبع بطنه، فهي والله في نهمتك وأكلك إلى يوم القيامة؟!

ثم قال: أنشدكم بالله! هل تعلمون أنما أقول حقاً إنك يا معاوية كنت تسوق بأبيك على جمل أحمر، ويقوده أخوك هذا القاعد، وهذا يوم الأحزاب، فلعن رسول الله «صلى الله عليه وآله» الراكب، والقائد، والسائق، فكان أبوك الراكب، وأنت يا أزرق السائق، وأخوك هذا القاعد القائد؟!

ثم أنشدكم بالله! هل تعلمون أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعن أبا سفيان في سبعة مواطن:

أولهن: حين خرج من مكة إلى المدينة، وأبو سفيان جاء من الشام، فوقع فيه أبو سفيان، فسبه وأوعده، وهم أن يبطش به، ثم صرفه الله عز وجل عنه.

والثاني: يوم العير، حيث طردها أبو سفيان ليحرزها من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

والثالث: يوم أحد، يوم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: الله مولانا ولا مولى لكم، وقال أبو سفيان: لنا العزى ولا لكم العزى، فلعنه الله، وملائكته، ورسوله، والمؤمنون أجمعون.

والرابع: يوم حنين، يوم جاء أبو سفيان[1] بجمع قريش وهوازن، وجاء

---

(١) الظاهر: أنه تآمر معهم في السر.

عيينة بغطفان واليهود، فردهم الله عز وجل ﴿بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾[١].

هذا قول الله عز وجل له في سورتين، في كلتيهما يسمي أبا سفيان وأصحابه كفاراً، وأنت يا معاوية يومئذ مشرك على رأي أبيك بمكة، وعلي يومئذ مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعلى رأيه ودينه.

والخامس: قول الله عز وجل: ﴿وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾[٢].

وصددت أنت وأبوك ومشركو قريش رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلعنه الله لعنة شملته وذريته إلى يوم القيامة.

والسادس: يوم الأحزاب يوم جاء أبو سفيان بجمع قريش وجاء عيينة بن حصن بن بدر بغطفان، فلعن رسول الله «صلى الله عليه وآله» القادة والأتباع، والساقة إلى يوم القيامة، فقيل: يا رسول الله، أما في الأتباع مؤمن؟!

فقال: لا تصيب اللعنة مؤمناً من الأتباع.

وأما القادة، فليس فيهم مؤمن ولا مجيب ولا ناج.

والسابع: يوم الثنيَّة، يوم شدّ على رسول الله اثنا عشر رجلاً، سبعة منهم من بني أمية، وخمسة من سائر قريش، فلعن الله تبارك وتعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله» من حلّ الثنيَّة غير النبي وسائقه وقائده.

ثم أنشدكم بالله! هل تعلمون أن أبا سفيان دخل على عثمان حين بويع في مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا ابن أخي هل علينا من عين؟!

---

(١) الآية ٢٥ من سورة الأحزاب.

(٢) الآية ٢٥ من سورة الفتح.

فقال: لا.

فقال أبو سفيان: تداولوا الخلافة فتيان بني أمية، فوالذي نفس أبي سفيان بيده ما من جنة ولا نار.

وأنشدكم بالله! أتعلمون أن أبا سفيان أخذ بيد الحسين حين بويع عثمان وقال: يا ابن أخي اخرج معي إلى بقيع الغرقد، فخرج حتى إذا توسط القبور اجتره، فصاح بأعلى صوته: يا أهل القبور! الذي كنتم تقاتلونا عليه، صار بأيدينا وأنتم رميم.

فقال الحسين بن علي: قبّح الله شيبتك، وقبح وجهك، ثم نتر يده وتركه، فلولا النعمان بن بشير أخذ بيده ورده إلى المدينة لهلك.

فهذا لك يا معاوية، فهل تستطيع أن ترد علينا شيئاً.

ومن لعنتك يا معاوية: أن أباك أبا سفيان كان يهمّ أن يسلم، فبعثت إليه بشعر معروف مروي في قريش عندهم تنهاه عن الإسلام، وتصده.

ومنها: أن عمر بن الخطاب ولاك الشام فخنت به، وولاك عثمان فتربصت به ريب المنون.

ثم أعظم من ذلك: أنك قاتلت علياً «صلوات الله عليه وآله»، وقد عرفت سوابقه: فضله، وعلمه، على أمر هو أولى به منك، ومن غيرك عند الله وعند الناس، ولا دنية، بل أوطأت الناس عشوة، وأرقت دماء خلق من خلق الله بخدعك وكيدك وتمويهك، فعل من لا يؤمن بالمعاد، ولا يخشى العقاب، فلما بلغ الكتاب أجله صرت إلى شر مثوى، وعلي إلى خير منقلب، والله لك بالمرصاد.

فهذا لك يا معاوية خاصة، وما أمسكت عنه من مساويك وعيوبك، فقد كرهت به التطويل.

وأما أنت يا عمرو بن عثمان، فلم تكن حقيقاً لحمقك أن تتبع هذه الأمور، فإنما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنخلة: استمسكي، فإني أريد أن أنزل عنك.

فقالت لها النخلة: ما شعرت بوقوعك، فكيف يشق علي نزولك؟!

وإني والله، ما شعرت أنك تحسن أن تعادي لي فيشق علي ذلك، وإني لمجيبك في الذي قلت.

إن سبك علياً أبنقص في حسبه؟! أو تباعده من رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! أو بسوء بلاء في الإسلام؟! أو بجور في حكم، أو رغبة في الدنيا؟!

فإن قلت واحدة منها، فقد كذبت..

وأما قولك: إن لكم فينا تسعة عشر دماً بقتلى مشركي بني أمية ببدر، فإن الله ورسوله قتلهم، ولعمري ليقتلن من بني هاشم تسعة عشر، وثلاثة بعد تسعة عشر، ثم يقتل من بني أمية تسعة عشر، وتسعة عشر في موطن واحد سوى ما قتل من بني أمية لا يحصي عددهم إلا الله.

إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: إذا بلغ ولد الوزغ ثلاثين رجلاً أخذوا مال الله بينهم دولاً، وعباده خولاً، وكتابه دغلاً..

فإذا بلغوا ثلاثمائة وعشراً حقت عليهم اللعنة ولهم.

فإذا بلغوا أربعمائة وخمسة وسبعين كان هلاكهم أسرع من لوك تمرة..

فأقبل الحكم بن أبي العاص وهم في ذلك الذكر والكلام، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: اخفضوا أصواتكم، فإن الوزغ يسمع، وذلك حين رآهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومن يملك بعده منهم أمر هذه الأمة ـ يعني في المنام ـ فساءه ذلك، وشق عليه، فأنزل الله عز وجل في كتابه ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾. فأشهد لكم، وأشهد عليكم، ما سلطانكم بعد قتل علي إلا ألف شهر التي أجّلها الله عز وجل في كتابه.

وأما أنت يا عمرو بن العاص، الشانئ اللعين الأبتر، فإنما أنت كلب، أول أمرك أمك لبغية، وإنك ولدت على فراش مشترك، فتحاكمت فيك رجال قريش، منهم: أبو سفيان بن حرب، والوليد بن المغيرة، وعثمان بن الحارث، والنضر بن الحارث بن كلدة، والعاص بن وائل، كلهم يزعم أنك ابنه، فغلبهم عليك من بين قريش ألأمهم حسباً، وأخبثهم منصباً، وأعظمهم بغية.

ثم قمت خطيباً وقلت: أنا شانئ محمد، وقال العاص بن وائل: إن محمداً رجل أبتر لا ولد له، فلو قد مات انقطع ذكره، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، فكانت أمك تمشي إلى عبد قيس لطلب البغية، تأتيهم في دورهم ورحالهم، وبطون أوديتهم..

ثم كنت في كل مشهد يشهد رسول الله عدوه، أشدهم له عداوة، وأشدهم له تكذيباً..

ثم كنت في أصحاب السفينة الذين أتوا النجاشي، والمهرج الخارج إلى الحبشة في الإشاطة بدم جعفر بن أبي طالب وسائر المهاجرين إلى النجاشي، فحاق المكر السيِّئ بك، وجعل جدك الأسفل وأبطل أمنيتك، وخيَّب سعيك،

وأكذب أحدوثتك، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا.

وأما قولك في عثمان، فأنت يا قليل الحياء والدين ألهبت عليه ناراً، ثم هربت إلى فلسطين تتربص به الدوائر، فلما أتتك [خبر] قتله حبست نفسك على معاوية، فبعته دينك يا خبيث بدنيا غيرك.

ولسنا نلومك على بغضنا، ولا نعاتبك على حبنا، وأنت عدو لبني هاشم في الجاهلية والإسلام، وقد هجوت رسول الله «صلى الله عليه وآله» بسبعين بيتاً من شعر، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: اللهم إني لا أحسن الشعر، ولا ينبغي لي أن أقوله، فالعن عمرو بن العاص بكل بيت [ألف] لعنة.

ثم أنت يا عمرو المؤثر دنيا غيرك على دينك، أهديت إلى النجاشي الهدايا، ورحلت إليه رحلتك الثانية، ولم تنهك الأولى عن الثانية، كل ذلك ترجع مغلولاً حسيراً، تريد بذلك هلاك جعفر وأصحابه، فلما أخطأك ما رجوت وأملت، أحلت على صاحبك عمارة بن الوليد.

وأما أنت يا وليد بن عقبة، فوالله ما ألومك أن تبغض علياً وقد جلدك في الخمر ثمانين، وقتل أباك صبراً بيده يوم بدر، أم كيف تسبه، فقد سماه الله مؤمناً في عشر آيات من القرآن، وسماك فاسقاً، وهو قول الله عز وجل: ﴿**أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ**﴾، [١] وقوله: ﴿**إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾[٢].

---

(١) الآية ١٨ من سورة السجدة.

(٢) الآية ٦ من سورة الحجرات.

وما أنت وذكر قريش، وإنما أنت ابن عليج من أهل صفورية يقال له: ذكوان.

وأما زعمك أنَّا قتلنا عثمان، فوالله ما استطاع طلحة والزبير وعائشة أن يقولوا ذلك لعلي بن أبي طالب، فكيف تقوله أنت؟!

ولو سألت أمك من أبوك؟! إذ تركت ذكوان، فألصقتك بعقبة بن أبي معيط، اكتست بذلك عند نفسها سناء ورفعة، مع ما أعد الله لك ولأبيك وأمك من العار والخزي في الدنيا والآخرة، وما الله بظلام للعبيد.

ثم أنت يا وليد ـ والله ـ أكبر في الميلاد ممن تدعي له النسب، فكيف تسب علياً؟! ولو اشتغلت بنفسك لبيّنت نسبك إلى أبيك، لا إلى من تدعى له، ولقد قالت لك أمك: يا بني، أبوك والله ألأم وأخبث من عقبة.

وأما أنت يا عتبة بن أبي سفيان، فوالله ما أنت بحصيف فأجاوبك، ولا عاقل فأعاتبك، وما عندك خير يرجى، ولا شر يخشى، وما كنت ولو سببت علياً لأغار به عليك، لأنك عندي لست بكفو لعبد عبد علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فأرد عليك وأعاتبك، ولكن الله عز وجل لك، ولأبيك وأمك وأخيك بالمرصاد، فأنت ذرية آبائك الذين ذكرهم الله في القرآن فقال: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ * لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾[1].

وأما وعيدك إياي بقتلي، فهلا قتلت الذي وجدته على فراشك مع حليلتك وقد غلبك على فرجها، وشركك في ولدها، حتى ألصق بك ولداً

---

(١) الآيات ٣ ـ ٧ من سورة الغاشية.

ليس لك.. ويلاً لك، لو شغلت نفسك بطلب ثأرك منه كنت جديراً، وبذلك حرياً، إذ تسومني القتل وتوعدني به.

ولا ألومك أن تسب علياً وقد قتل أخاك مبارزة، واشترك هو وحمزة بن عبد المطلب في قتل جدك حتى أصلاهما [الله] على أيديهما نار جهنم، وأذاقهما العذاب الأليم [ونفي عمك بأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»].

وأما رجائي الخلافة، فلعمر الله لئن رجوتها فإن لي فيها لملتمسا، وما أنت بنظير أخيك، ولا خليفة أبيك، لأن أخاك أكثر تمرداً على الله، وأشد طلباً لإراقة دماء المسلمين، وطلب ما ليس له بأهل، يخادع الناس ويمكرهم، ويمكر الله والله خير الماكرين.

وأما قولك: إن علياً كان شر قريش لقريش، فوالله ما حقر مرحوماً، ولا قتل مظلوماً.

وأما أنت يا مغيرة بن شعبة، فإنك لله عدو، ولكتابه نابذ، ولنبيه مكذب، وأنت الزاني، وقد وجب عليك الرجم، وشهد عليك العدول البررة الأتقياء، فأَخَّر رجمك، ودفع الحق بالباطل، والصدق بالأغاليط، وذلك لما أعد الله لك من العذاب الأليم، والخزي في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أخزى.

وأنت ضربت فاطمة بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى أدميتها، وألقت ما في بطنها استذلالاً منك لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومخالفة منك لأمره، وانتهاكاً لحرمته، وقد قال لها رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أنت سيدة نساء أهل الجنة»..

والله مُصيِّرك إلى النار، وجاعل وبال ما نطقت به عليك.. فبأي الثلاثة

سببت علياً؟! أنقصاً من حسبه، أم بعداً من رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! أم سوء بلاء في الإسلام؟! أم جوراً في حكم؟! أم رغبة في الدنيا؟!

إن قلت بها، فقد كذبت وكذبك الناس.

أتزعم أن علياً قتل عثمان مظلوما؟! فعلي والله أتقى وأنقى من لائمه في ذلك، ولعمري إن كان علي قتل عثمان مظلوماً، فوالله ما أنت من ذلك في شيء، فما نصرته حياً، ولا تعصبت له ميتاً، وما زالت الطائف دارك، تتبع البغايا، وتحيي أمر الجاهلية، وتميت الإسلام حتى كان في أمس [ما كان].

وأما اعتراضك في بني هاشم وبني أمية، فهو ادّعاؤك إلى معاوية.

وأما قولك في شأن الإمارة، وقول أصحابك في الملك الذي ملكتموه، فقد ملك فرعون مصر أربعمائة سنة، وموسى وهارون «عليهما السلام» نبيان مرسلان يلقيان ما يلقيان، وهو ملك الله يعطيه البر والفاجر، وقال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾(١)..

وقال: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾(٢).

ثم قام الحسن «عليه السلام» فنفض ثيابه، وهو يقول: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾، هم والله يا معاوية: أنت وأصحابك هؤلاء وشيعتك ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ

---

(١) الآية ١١١ من سورة الأنبياء.

(٢) الآية ١٦ من سورة الإسراء.

﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[1] هم علي بن أبي طالب وأصحابه وشيعته.

ثم خرج وهو يقول: «ذق وبال ما كسبت يداك، وما جنيت، وما قد أعد الله لك ولهم من الخزي في الحياة الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة».

فقال معاوية لأصحابه: وأنتم فذوقوا وبال ما قد جنيتم.

فقال له الوليد بن عقبة: والله ما ذقنا إلا كما ذقت، ولا اجترأ إلا عليك.

فقال معاوية: ألم أقل لكم: إنكم لن تنتصفوا من الرجل؟! فهل أطعتموني أول مرة، أو انتصرتم من الرجل إذ فضحكم؟! والله ما قام حتى أظلم علي البيت، وهممت أن أسطو به، فليس فيكم خير اليوم ولا بعد اليوم.

قال: وسمع مروان بن الحكم بما لقي معاوية وأصحابه المذكورون من الحسن بن علي «عليهما السلام»، فأتاهم فوجدهم عند معاوية في البيت، فسألهم: ما الذي بلغني عن الحسن وزعله؟!

قالوا: قد كان ذلك.

فقال لهم مروان: فهلا أحضرتموني ذلك، فوالله لأسبنَّه ولأسبنَّ أباه، وأهل البيت سبّاً تَغنَّى به الإماء والعبيد.

فقال معاوية والقوم: لم يفتك شيء، وهم يعلمون من مروان بذر لسان وفحش.

فقال مروان: فأرسل إليه يا معاوية.

---

(١) الآية ٢٦ من سورة النور.

فأرسل معاوية إلى الحسن بن علي «عليهما السلام»، فلما جاءه الرسول قال له الحسن «عليه السلام»: ما يريد هذا الطاغية مني؟!

والله لئن أعاد الكلام لأوقرن مسامعه ما يبقى عليه عاره وشناره إلى يوم القيامة.

فأقبل الحسن «عليه السلام»، فلما أن جاءهم وجدهم بالمجلس، على حالتهم التي تركهم فيها، غير أن مروان قد حضر معهم في هذا الوقت.

فمشى الحسن «عليه السلام» حتى جلس على السرير مع معاوية وعمرو بن العاص، ثم قال الحسن لمعاوية: لم أرسلت إلي؟!

قال: لست أنا أرسلت إليك، ولكن مروان الذي أرسل إليك.

فقال مروان: أنت يا حسن السباب رجال قريش؟!

فقال: وما الذي أردت؟!

فقال: والله لأسبنَّك وأباك وأهل بيتك سبَّاً تغنى به الإماء والعبيد.

فقال الحسن بن علي «عليهما السلام»: أما أنت يا مروان، فلست أنا سببتك ولا سببت أباك، ولكن الله عز وجل لعنك ولعن أباك وأهل بيتك وذريتك، وما خرج من صلب أبيك إلى يوم القيامة على لسان نبيه محمد «صلى الله عليه وآله».

والله يا مروان! ما تنكر أنت ولا أحد ممن حضر هذه اللعنة من رسول الله «صلى الله عليه وآله» لك ولأبيك من قبلك، وما زادك الله يا مروان بما خوّفك إلا طغياناً كبيراً، صدق الله، وصدق رسوله، يقول: ﴿وَالشَّجَرَةَ

﴿الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾[1].

وأنت يا مروان وذريتك الشجرة الملعونة في القرآن عن رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فوثب معاوية، فوضع يده على فم الحسن وقال: يا أبا محمد، ما كنت فحاشاً، فنفض الحسن «عليه السلام» ثوبه وقام وخرج، فتفرق القوم عن المجلس بغيظ وحزن وسواد الوجوه[2].

إيضاحات:

فقصرنا به: أي جعلناه يقصر عن الموضع الذي يطمح إليه، أو عن الموضع الذي يوضع فيه.

الجناب: الناحية.

خُصُم جُدُل: أي متمرسون في الخصومة والجدال.

أدرأ: أدفع.

أثرة لديه: أي مكانة وموقع متقدم عنده.

فبئس كرامة الله: أي بئس ما جرى عليها منهم، وما ألحقوه بها من أسواء.

آهلين له: أي لديهم الأهلية للأمر، واللياقة، والجدارة به.

قدحة للزند: القدح ـ بفتح القاف ـ اسم من الاقتداح للنار وبكسرها

---

(١) الآية ٢٦ من سورة النور.

(٢) الإحتجاج للطبرسي ج١ ص٤٠١ ـ ٤١٦ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٧٠ ـ ٨٦ عنه.

أسم للمرة من ذلك، أو لكيفية الإقتداح، وهو كناية عن استخراج الرأي الصالح لتدبير الأمور.

رجحة الميزان: كناية عن تميزه على الآخرين في صفاته وكمالاته.

دبّ بالعيب: سعى في إشاعته.

استهلاك الأمة: طلب هلاكها.

الخطْر: العوض والمثل.

الأزرق: يطلق على الشديد العداوة.

مثاورين: متواثبين، ومتنازعين.

المخيمون: المجتمعون، والمقيمون بالمكان.

الفلج: الظفر

قال العلامة المجلسي «رحمه الله» ما ملخصه: إن الرواية تذكر سعد بن معاذ وعمر بن الخطاب في مناسبة قريظة والنضير، مع أن سعد بن معاذ جرح في غزوة الخندق، ومات بعد الحكم في بني قريظة، ولم يبق إلى غزوة خيبر وما جرى لعمر إنما حصل في غزوة خيبر، لا في غزوة قريظة والنضير..

ولعل الأمر اشتبه على الراوي، وما آفة الأخبار إلا رواتها.

الرمد: هيجان العين.

لم يثن: لم يعطف الراية، ولم يردها.

الغرقد: شجر عظام، أو هي العوسج، إذا عظم.

نتر يده: جذبها بقوة وجفوة.

ريب المنون: الموت.

العشوة: الظلمة، أو الأمر الملتبس

الوزغ: هو سام أبرص.

الخول: العبيد والإماء.

الدول ـ بضم الدال ـ: الذي يتداوله الناس فيما بينهم.

الدغل: الدخول في الأمر المفسد.

اللوك: أهون المضغ، أو مضغ صلب.

الشنآن: البغض مع عدواة وسوء خلق.

المهرج من الهرج، وهو الاختلاط مع الفتنة والقتل.

أشاط بدمه: عرضه للقتل.

جدك ـ بكسر الجيم ـ: سعيك واجتهادك، وبالفتح: حظك.

الدوائر: صروف الزمان، وحوادثه المسيئة

المغلول: العطشان والعاجز عن التصرف.

حسيراً: متلهفاً.

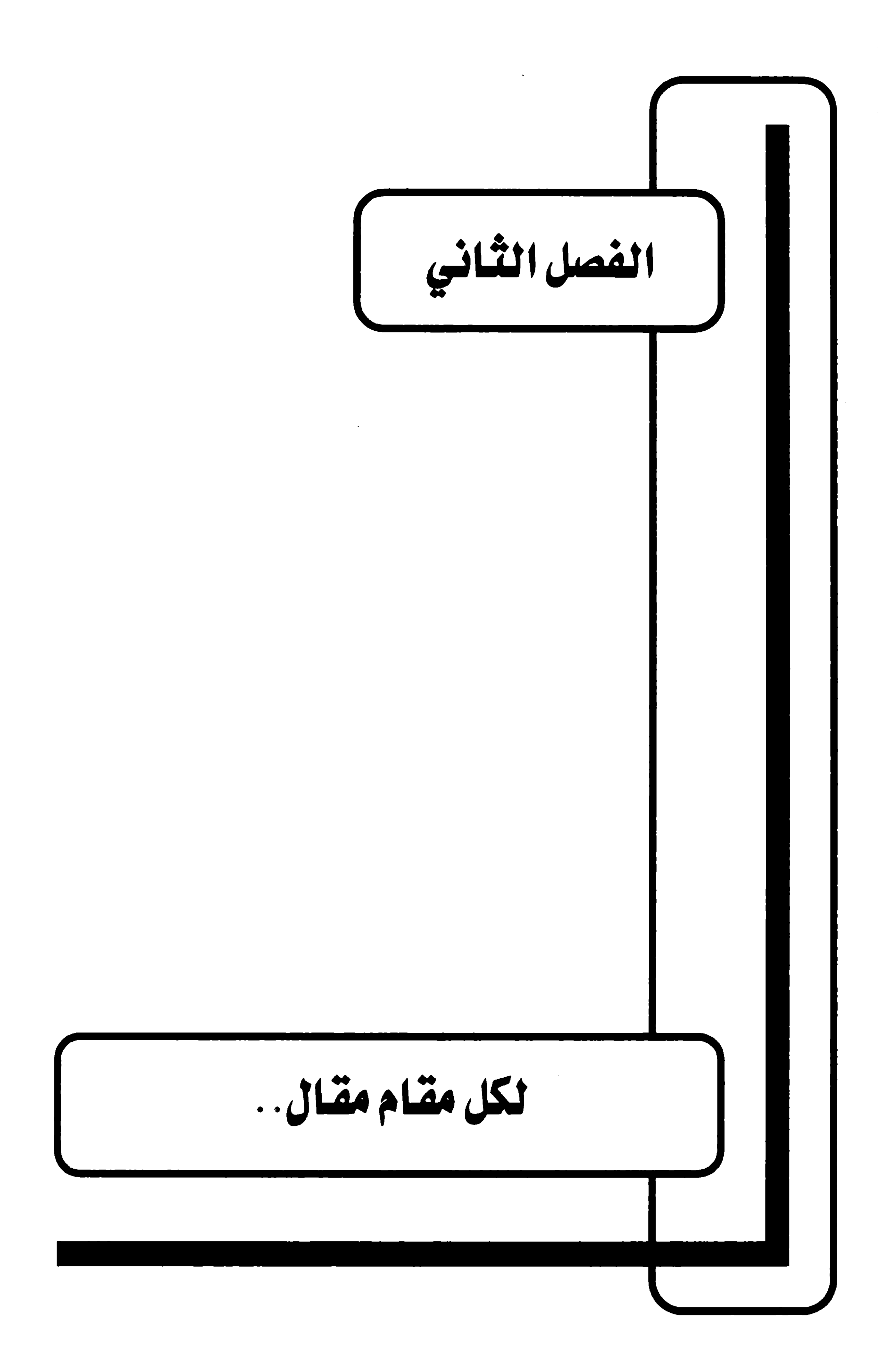
عليج: تصغير علج، وهو الكافر.

لأنت أكبر في الميلاد من أبيك: ربما لأنه حين ولد لم يكن من ينسب إليه، أهلاً لاستيلاد النساء.

الآنية: الحميم.

الزعل: النشاط، والضجر، والإضطراب.

وحول قوله «عليه السلام» للمغيرة: فبأي الثلاثة سببت علياً، ثم ذكر خمسة أمور، نقول: لعل الصحيح: فبأي الخمسة إلا إن كان «عليه السلام» يجعل الثلاثة الأخيرة شيئاً واحداً.



الفصل الثاني

لكل مقام مقال..

مواقف حاسمة:

وللإمام الحسن مواقف كثيرة مع أعدائه ومناوئيه، نذكر منها بعضها، فنقول:

أنا ابن علي، وأنت ابن صخر:

١ ـ روى الشعبي: أن معاوية قدم المدينة فقام خطيباً، فنال من علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فقام الحسن بن علي «عليهما السلام» فخطب، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال له: إنه لم يبعث نبي إلا جعل له وصي من أهل بيته، ولم يكن نبي إلا وله عدو من المجرمين، وإن علياً «عليه السلام» كان وصي رسول الله «صلى الله عليه وآله» من بعده.

وأنا ابن علي، وأنت ابن صخر، وجدك حرب، وجدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأمك هند، وأمي فاطمة، وجدتي خديجة، وجدتك نثيلة، فلعن الله ألأمنا حسباً، وأقدمنا كفراً، وأخملنا ذكراً، وأشدنا نفاقاً.

فقال عامة أهل المسجد: آمين.

فنزل معاوية، فقطع خطبته[١].

الحق، أحق أن يتبّع:

٢ ـ مفاخرة الحسن بن علي «عليه السلام» [على] معاوية، ومروان بن الحكم، والمغيرة بن شعبة، والوليد بن عقبة، وعتبة بن أبي سفيان «لعنهم الله أجمعين».

قيل: وفد الحسن بن علي «عليهما السلام» على معاوية، فحضر مجلسه، وإذا عنده هؤلاء القوم، ففخر كل رجل منهم على بني هاشم، فوضعوا منهم، وذكروا أشياء ساءت الحسن «عليه السلام» وبلغت منه، فقال الحسن بن علي «عليهما السلام»: أنا شعبة من خير الشعب، آبائي أكرم العرب، لنا الفخر والنسب، والسماحة عند الحسب، من خير شجرة أنبتت فروعاً نامية، وأثماراً زاكية، وأبداناً قائمة، فيها أصل الإسلام، وعلم النبوة، فعلونا حين شمخ بنا الفخر، واستطلنا حين امتنع منا العز، بحور زاخرة لا تنزف، وجبال شامخة لا تقهر.

فقال مروان: مدحت نفسك، وشمخت بأنفك، هيهات يا حسن، نحن والله الملوك السادة، والأعزة القادة، لا ننحجز.. فليس لك مثل عزنا، ولا فخر كفخرنا، ثم أنشأ يقول:

شفينا أنفسا طابت وقورا فنالت عزها فيمن يلينا

---

(١) الإحتجاج للطبرسي ج١ ص ٤٢٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٩٠ عنه، والعدد القوية ص٣٩ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج٢ ص٢١٥.

فأُبْنَـا بالغنيمـة حيـث أُبنـا وأُبْنَـا بـالملوك مقرَّنينـا

ثم تكلم المغيرة بن شعبة فقال:

نصحت لأبيك فلم يقبل النصح، لولا كراهية قطع القرابة لكنت في جملة أهل الشام، فكان يعلم أبوك أني أصدر الوراد عن مناهلها بزعارة قيس، وحلم ثقيف، وتجاربها للأمور على القبائل.

فتكلم الحسن «عليه السلام»، فقال: يا مروان، أجبناً وخوراً، وضعفاً، وعجزاً؟!

أتزعم أني مدحت نفسي، وأنا ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! وشمخت بأنفي، وأنا سيد شباب أهل الجنة؟! وإنما يبذخ ويتكبر ـ ويلك ـ من يريد رفع نفسه، ويتبجح من يريد الاستطالة.

فأما نحن، فأهل بيت الرحمة، ومعدن الكرامة، وموضع الخيرة، وكنز الإيمان، ورمح الإسلام، وسيف الدين.. ألا تصمت ثكلتك أمك قبل أن أرميك بالهوائل، وأسمك بميسم تستغني به عن اسمك؟!

فأما إيابك بالنهاب، والملوك، أفي اليوم الذي ولّيت فيه مهزوماً، وانحجزت مذعوراً، فكانت غنيمتك هزيمتك، وغدرك بطلحة حين غدرت به، فقتلته قبحاً لك، ما أغلظ جلدة وجهك.

فنكس مروان رأسه وبقي المغيرة مبهوتاً.

فالتفت إليه الحسن «عليه السلام» فقال: [يا] أعور ثقيف! ما أنت من قريش فأفاخرك.. أجهلتني ـ يا ويحك ـ وأنا ابن خيرة الإماء، وسيدة

النساء، غذّانا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعلم الله تبارك وتعالى، فعلّمنا تأويل القرآن، ومشكلات الأحكام.

لنا العزة الغلباء والكلمة العلياء، والفخر والسناء، وأنت من قوم لم يثبت لهم في الجاهلية نسب، ولا لهم في الإسلام نصيب، عبد آبق ما له والإفتخار عند مصادمة الليوث، ومجاحشة الأقران؟! نحن السادة، ونحن المذاويد القادة، نحمي الذمار، وننفي عن ساحتنا العار، وأنا ابن نجيبات الأبكار.

ثم أشرت ـ زعمت ـ بخير وصي خير الأنبياء، كان هو بعجزك أبصر، وبخورك أعلم، وكنت للرد عليك منه أهلاً لوغرك في صدرك، وبدو الغدر في عينك، هيهات لم يكن ليتخذ المضلين عضداً، وزعمت لو أنك كنت بصفين بزعارة قيس وحلم ثقيف.. فبماذا ثكلتك أمك؟! أبعجز عند المقامات، وفرارك عند المجاحشات؟! أما والله، لو التفت عليك من أمير المؤمنين الأشاجع لعلمت أنه لا يمنعه منك الموانع، ولقامت عليك المرنات الهوالع.

وأما زعارة قيس فما أنت وقيسا؟! إنما أنت عبد آبق، فتسمى ثقيفاً، فاحتل لنفسك من غيرها، فلست من رجالها، أنت بمعالجة الشرك وموالج الزرائب أعرف منك بالحروب، فأي الحلم عند العبيد القيون؟!

ثم تمنيت لقاء أمير المؤمنين «عليه السلام»، فذاك من قد عرفت، أسد باسل، وسم قاتل، لا تقاومه الأبالسة، عند الطعن والمخالسة، فكيف ترومه الضبعان وتناوله الجعلان بمشيتها القهقرى؟!

وأما وصلتك فمنكولة، وقرابتك فمجهولة، وما رحمك منه إلا كبنات الماء من خشفان الظبا، بل أنت أبعد منه نسباً.

فوثب المغيرة، والحسن «عليه السلام» يقول: عذرنا من بني أمية: أن تجاورنا بعد مناطقة القيون، ومفاخرة العبيد، فقال معاوية: ارجع يا مغيرة، هؤلاء بنو عبد مناف، لا تقاومهم الصناديد، ولا تفاخرهم المذاويد، ثم أقسم على الحسن «عليه السلام» بالسكوت فسكت[١].

إيضاحات:

لا ننحجز: أي لا نمتنع.

تنزف: نزفت البئر نزحته كله.

أبنا: رجعنا.

الزعارة: شراسة الخلق.

الإصدار: الإرجاع.

بَذَخَ: تكبر.

التبجح: الفرح.

الهوائل: المفزعات.

النهب: الغنيمة.

العزة الغلباء: الوثيقة القوية.

المجاحشة: المدافعة.

المذاويد: المدافعون.

---

(١) الإحتجاج للطبرسي ج١ ص٤١٦ ـ ٤١٨ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٩٣ ـ ٩٥ عنه.

الذمار: ما وراء الرجل مما يجب عليه أن يحميه.

الوغر: الضغن والحقد.

الأشاجع: أصول الأصابع. كنَّى «عليه السلام» بذلك عن التمكن منه والإقتدار عليه.

الهوالع: من الهلع، وهو أفحش الجزع.

الشرك: لعل المقصود بها: شراك الصيد إن كانت بفتحتين، أو هي سير النعل على ظهر القدم، إن كانت بضمتين.

موالج: مواضع الولوج، وهو الدخول.

الزرائب: جمع الزريبة وهي حظيرة الغنم.

القيون: جمع القين وهو العبد، أو الحداد، أو الصانع.

الضبعان: جمع الضبع.

الجعلان: واحده جُعَل، وهو دويبة سوداء، هي نوع من الخنافس، يضرُّ به ماء الورد.

منكولة: مردودة.

بنات الماء: الحيوانات المتولدة فيه، فإنها لا يمكن أن يكون بينها وبين خشف الظبي المتولد حديثاً قرابة.

بين الإمام الحسن ومروان:

٣ ـ مناقب ابن شهرآشوب: وفي العقد: أن مروان بن الحكم قال للحسن بن علي «عليهما السلام» بين يدي معاوية: أسرع الشيب إلى شاربك يا حسن!

ويقال: إن ذلك من الخرق، فقال «عليه السلام»: ليس كما بلغك، ولكنا معشر بني هاشم طيبة أفواهنا، عذبة شفاهنا، فنساؤنا يقبلن علينا بأنفاسهن، وأنتم معشر بني أمية فيكم بخر شديد، فنساؤكم يصرفن أفواههن وأنفاسهن إلى أصداغكم، فإنما يشيب منكم موضع العذار من أجل ذلك.

قال مروان: أما إن فيكم يا بني هاشم خصلة [سوء].

قال: وما هي؟!

قال: الغلمة.

قال: أجل، نزعت من نسائنا، ووضعت في رجالنا، ونزعت الغلمة من رجالكم ووضعت في نسائكم، فما قام لأموية إلا هاشمي، ثم خرج يقول:

ومارست هذا الدهر خمسين حجة — وخمساً أرجي قابلاً بعد قابل

فما أنا في الدنيا بلغت جسيمها — ولا في الذي أهوى كدحت بطائل

فقد أشرعتني في المنايا أكفها — وأيقنت أني رهن موت معاجل[1]

بنو أمية وبنو هاشم:

٤ ـ إبراهيم بن محمد البيهقي:

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٨٧ ـ ١٨٨ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٠٥ ـ ١٠٦ عنه، ووفيات الأعيان ج٢ ص٦٨ وعن العقد الفريد ج٤ ص١٩ والعوالم ج١٦ ص٢٣٣ ونور الثقلين ج٣ ص٣٢١.

قيل: وأتى الحسن بن علي «رضي الله عنهما» معاوية بن أبي سفيان، وقد سبقه ابن عباس، فأمر معاوية فأنزل، فبينا معاوية مع عمرو بن العاص ومروان بن الحكم، وزياد بن أبي سفيان يتحاورون في قديمهم وحديثهم ومجدهم، فقال معاوية: أكثرتم الفخر، فلو حضركم الحسن بن علي وعبد الله بن العباس لقصّرا من أعنّتكما ما طال.

فقال زياد: وكيف ذلك يا أمير المؤمنين؟! ما يقومان لمروان بن الحكم في غرب منطقه، ولا لنا في بواذخنا؟!

فابعث إليهما في غدٍ حتى نسمْع كلامهما.

فقال معاوية لعمرو: ما تقول؟!

قال: هذا.. فابعث إليهما في غدٍ.

فبعث إليهما معاوية ابنه يزيد، فأتياه ودخلا عليه، وبدأ معاوية فقال: إني أُجلّكما، وأرفع قدركما عن المسامرة بالليل، ولاسيما أنت يا أبا محمد، فإنك ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسيد شباب أهل الجنة. فتشكّرا له.

فلما استويا في مجلسهما، وعلم عمرو أن الحدّة ستقع به قال: والله لا بدّ أن أقول، فإن قَهرتُ فسبيل ذلك، وإن قُهرتُ أكون قد ابتدأت.

فقال: يا حسن، إنَّا تفاوضنا فقلنا: إن رجال بني أمية أصبر عند اللقاء، وأمضى في الوغى، وأوفى عهداً، وأكرم خيماً، وأمنع لما وراء ظهورهم من بني عبد المطلب.

ثم تكلم مروان، فقال: وكيف لا نكون كذلك وقد قارعناكم فغلبناكم، وحاربناكم فملكناكم، فإن شئنا عفونا، وإن شئنا بطشنا.

ثم تكلم زياد، فقال: ما ينبغي لهم أن ينكروا الفضل لأهله، ويجحدوا الخير في مظانّه، نحن أهل الحملة في الحروب، ولنا الفضل على سائر الناس قديماً وحديثاً.

فتكلم الحسن «رضي الله عنه»، فقال: ليس من العجز أن يصمت الرجل عند إيراد الحجة، ولكن من الإفك أن ينطق الرجل بالخنا، ويصوّر الباطل بصورة الحق.

يا عمرو، أفتخاراً بالكذب، وجراءة على الإفك؟! ما زلت أعرف مثالبك الخبيثة، أبديها مرة، وأمسك عنها أخرى، فتأبى إلا انهماكاً في الضلالة.

أتذكر مصابيح الدجى، وأعلام الهدى، وفرسان الطراد، وحتوف الأقران، وأبناء الطِّعان، وربيع الضيفان، ومعدن النبوة، ومهبط العلم؟!

وزعمتم أنكم أحمى لما وراء ظهوركم، وقد تبين ذلك يوم بدر حين نَكَصَت الأبطال، وتساورت الأقران، واقتحمت الليوث، واعتركت المنيّة، وقامت رحاؤها على قطبها، وفرّت عن نابها، وطار شرار الحرب، فقتلنا رجالكم، ومنّ النبيّ «صلى الله عليه وآله» على ذراريكم، فكنتم لعمري في هذا اليوم غير مانعين لما وراء ظهوركم من بني عبد المطلب!

ثم قال: وأما أنت يا مروان، فما أنت والإكثار في قريش! وأنت طليق، وأبوك طريد، يتقلّب من خزاية إلى سوءة، ولقد جيء بك إلى أمير المؤمنين [يوم الجمل]، فلما رأيت الضّرغام قد دميت براثنه، واشتبكت أنيابه؛ كنت كما قال:

ليثٌ إذا سمع الليوث زئيرهُ   بصبصنَ ثم قذفن بالأبعار

ويروى: رمين بالأبعار.

فلما منّ عليك بالعفو، وأرخى خناقك بعدما ضاق عليك، وغصِصت برِيقكَ؛ لم تقعد معنا مقعد أهل الشكر، ولكن تساوينا وتجارينا، ونحن ممّن لا يدركنا عار، ولا يلحقنا خزاية!

ثم التفت إلى زياد، فقال: وما أنت يا زياد وقريشاً! لا أعرف لك فيها أديماً صحيحاً، ولا فرعاً نابتاً، ولا قديماً ثابتاً، ولا منبتاً كريماً، بل كانت أمّك بغيّاً، تداولها رجال قريش، وفجّار العرب، فلما ولدت لم تعرف لك العرب والداً، فادّعاك هذا ـ يعني معاوية ـ بعد ممات أبيه، ما لك افتخار! تكفيك سُميّة، ويكفينا رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأبي علي بن أبي طالب سيد المؤمنين، الذي لم يرتد على عقبيه، وعمي حمزة سيد الشهداء، وجعفر الطيار، وأنا وأخي سيدا شباب أهل الجنة!

ثم التفت إلى ابن عباس، فقال: يا ابن العم، إنما هي بغاث الطير انقضّ عليها أجدل.

فأراد ابن عباس أن يتكلم، فأقسم عليه معاوية أن يكف، فكفّ ثم خرجا.

فقال معاوية: أجاد عمرو الكلام لولا أن حجته دحضت، وتكلم مروان لولا أنه نكص.

ثم التفت إلى زياد وقال: ما دعاك إلى محاورته؟! ما كنت إلا كالحجل في كف البازي.

فقال عمرو: ألا رميت من ورائنا؟

قال معاوية: إذاً كنت شريككم في الجهل، أفاخر رجلاً رسول الله جده،

وهو سيد من مضى ومن بقي، وأمه فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين!

ثم قال لعمرو: والله لئن سمع به أهل الشام لهي السوءة السَّوآء.

فقال عمرو: لقد أبقى عليك، ولكنه طحن مروان وزياداً طحن الرحى بثفالها، ووطئها وطء البازل القُراد بمنسِمه.

فقال زياد: قد والله فعل، ولكن معاوية يأبى إلا الإغراء بيننا وبينهم، لا جرم والله! لا شهدت مجلساً يكونان فيه إلا كنت معهما على من فاخرهما.

فخلا ابن عباس بالحسن، فقبّل بين عينيه وقال: أفديك يا ابن عم، والله ما زال بحرك يزخر، وأنت تصول حتى شفيتني من أولاد البغايا.

ثم إن الحسن «رضي الله عنه» غاب أياماً؛ ثم رجع حتى دخل على معاوية، وعنده عبد الله بن الزبير، فقال معاوية: يا أبا محمد، إني أظنك تعباً نصباً، فأتِ المنزل فأرح نفسك فيه.

فقام الحسن، فلما خرج قال معاوية لعبد الله بن الزبير: لو افتخرت على الحسن، فإنك ابن حواري رسول الله «صلى الله عليه وآله» وابن عمته، ولأبيك في الإسلام نصيب وافر.

فقال ابن الزبير: أنا له! فرجع وهو يطلب ليلته الحجج.

فلما أصبح دخل على معاوية، وجاء الحسن، فحيّاه معاوية، وسأله عن مبيته، فقال: خير مبيت، وأكرم مستفاض.

فلما استوى في مجلسه قال ابن الزبير: لولا أنك خوّار في الحرب، غير مقدام ما سلّمتَ لمعاوية الأمر، وكنت لا تحتاج إلى اختراق السهوب، وقطع

المفاوز،تطلب معروفه، وتقوم ببابه، وكنت حريّاً ألّا تفعل ذلك، وأنت ابن عليٍّ في بأسه ونجدته، فما أدري ما الذي حملك على ذلك! أضعف رأيٍ، أم وهن نحيزة؟! فما أظن لك مخرجاً من هاتين الخلتين.

أما والله، لو استجمع لي ما استجمع لك لعلمت أني ابن الزبير، وأني لا أنكص عن الأبطال، وكيف لا أكون كذلك، وجدّتي صفية بنت عبد المطلب، وأبي الزبير حواريّ رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأشد الناس بأساً، وأكرمهم حسباً في الجاهلية، وأطوعهم لرسول الله «صلى الله عليه وآله»؟

فالتفت إليه الحسن وقال: أما والله لولا أن بني أمية تنسبني إلى العجز عن المقال لكففت عنك تهاوناً، ولكن سأبين ذلك لك لتعلم أني لست بالعيّ ولا الكليل اللسان.

إياي تعيّر، وعليّ تفتخر، ولم يكن لجدك بيت في الجاهلية ولا مكرمة، فزوّجتْه جدتي صفية بنت عبد المطلب، فبذخ على جميع العرب بها، وشرف بمكانها! فكيف تفاخر من هو من القلادة واسطتها، ومن الأشراف سادتها؟! نحن أكرم أهل الأرض زنداً، لنا الشرف الثاقب، والكرم الغالب.

ثم تزعم أني سلّمت الأمر لمعاوية، فكيف يكون ذلك ـ ويحك ـ كذلك، وأنا ابن أشجع العرب، وقد ولدتْني فاطمة سيدة نساء العالمين وخير الإماء؟! لم أفعل ذلك ـ ويحك ـ جُبناً ولا ضُعفاً، ولكنه بايعني مثلك، وهو يطلبني بِبرّة، ويداجيني المودة، ولم أثق بنصرته، لأنكم أهل بيت غدر، وكيف لا يكون كما أقول، وقد بايع أبوك أمير المؤمنين، ثم نكث بيعته، ونكص على عقبيه، واختدع حشية من حشايا رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليضلّ بها

الناس، فلما دلف نحو الأعنّة، ورأى بريق الأسنّة، قُتل مَضيعةً لا نَاصر له.

وأُتي بك أسيراً قد وطئتك الكماة بأظلافها، والخيل بسنابكها، واعتلاك الأشتر، فغصصت بريقك، وأقعيت على عقبيك، كالكلب إذا احتوشته الليوث؟! فنحن ـ ويحك ـ نور البلاد وأملاكها، وبنا تفخر الأمة، وإلينا تُلقى مقاليد الأزمّة.

أتصول وأنت تختدع النساء، ثم تفتخر على بني الأنبياء؟!

لم تزل الأقاويل منّا مقبولةً، وعليك وعلى أبيك مردودةً، دخل الناس في دين جدّي طائعين وكارهين، ثم بايعوا أمير المؤمنين «رضي الله عنه» فسار إلى أبيك وطلحة حين نكثا البيعة، وخدعا عرس رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقتل أبوك وطلحة وأُتي بك أسيراً، فبصبصت بذنبك، وناشدته الرحم أن لا يقتلك، فعفا عنك، فأنت عتاقة أبي، وأنا سيدك وسيد أبيك، فذق وبال أمرك!

فقال ابن الزبير: اعذر يا أبا محمد؛ فإنما حملني على محاورتك هذا، وأحب الإغراء بيننا، فهلاّ إذ جهلت أمسكت عني، فإنكم أهل بيت سجيّتكم الحلم والعفو!

فقال الحسن: يا معاوية، انظر هل أكيع عن محاورة أحد؟!

ويحك! أتدري من أي شجرة أنا، وإلى من أنتمي؟!

انتَه قبل أن أسمك بميسم تتحدث به الركبان في الآفاق والبلدان.

فقال ابن الزبير: هو لذلك أهل.

فقال معاوية: أما إنه قد شفا بلابل صدري منك، ورمى مقتلك، فصرت

كا-لحجل في كف البازي، يتلاعب بك كيف أراد! فلا أراك تفتخر على أحد بعدها(١).

بين الإمام الحسن ومعاوية:

٥ ـ وقال إبراهيم بن محمد البيهقي أيضاً:

ذكروا: أن الحسن بن علي دخل على معاوية، فقال متمثلاً:

فيم الكلام وقد سبقت مبرِّزاً سبق الجواد من المدى والمقيس

فقال معاوية: إياي تعني؟!

أما والله، لأنبئنّك بما يعرفه قلبك، ولا ينكره جلساؤك..

أنا ابن بطحاء مكة، أنا ابن أجودها جوداً، وأكرمها جدوداً، وأوفاها عهوداً، أنا ابن من ساد قريشاً ناشئاً وكهلاً.

فقال الحسن «رضي الله عنه»: أجل إياك أعني، أفعليّ تفتخر يا معاوية؟

أنا ابن ماء السماء، وعروق الثرى، وابن من ساد أهل الدنيا بالحسب الثابت، والشرف الفائق، والقديم السابق..

أنا ابن من رضاه رضى الرحمن، وسخطه سخط الرحمن، فهل لك أبٌ كأبيّ وقديم كقديمي؟!

---

(١) المحاسن والمساوي ج١ ص١٢٢ ـ ١٢٩ والمحاسن والأضداد ص١٣٨ ـ ١٤٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٦٥ وج١١ ص١٩٦عن المحاسن والأضداد (ط القاهرة) ص١٠٨ وعن المحاسن والمساوي (ط بيروت) ص٨٢.

فإن قلت: لا، تُغلب، وإن قلت: نعم، تكذب.

فقال معاوية: أقول لا، تصديقاً لقولك.

فقال الحسن:

الحقّ أبلج ما تخون سبيله   والصدق يعرفه ذوو الألباب[١]

ما تخون: أي ما تخون من ملكها.

الحسن خير الناس أباً وأماً الخ..:

٦ ـ وقال إبراهيم بن محمد البيهقي:

قال: وقال معاوية ذات يوم وعنده أشراف الناس من قريش وغيرهم: أخبروني بخير الناس أباً وأماً، وعماً وعمة، وخالاً وخالة، وجداً وجدة.

فقام مالك بن العجلان، فأومأ إلى الحسن، فقال: ها هوذا؛ أبوه علي بن أبي طالب «رضوان الله عليه»، وأمه فاطمة بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعمه جعفر الطيار في الجنان، وعمته أم هانئ بنت أبي طالب، وخاله القاسم بن رسول الله، وخالته بنت رسول الله زينب، وجده رسول الله «صلى الله عليه وآله» وجدته خديجة بنت خويلد «رضي الله عنها».

فسكت القوم، ونهض الحسن، فأقبل عمرو بن العاص على مالك، فقال: أحب بني هاشم حملك على أن تكلمت بالباطل؟!

فقال ابن العجلان: ما قلت إلا حقاً، وما أحد من الناس يطلب مرضاة مخلوق بمعصية الخالق، إلا لم يعط أمنيته في دنياه، وختم له بالشقاء في آخرته،

---

(١) المحاسن والمساوي ج١ ص١٢٩ ـ ١٣١ والمحاسن والأضداد ص١٤٥ ـ ١٤٦.

بنو هاشم أنضرهم عوداً، وأوراهم زنداً، كذلك يا معاوية؟!

قال: اللهم نعم[1].

الخوف سبب الهدنة بين الحسن ومعاوية:

٧ ـ وقال إبراهيم بن محمد البيهقي:

قيل: وقدم الحسن بن علي «رضوان الله عليه» على معاوية، فلما دخل عليه، وجد عنده عمرو بن العاص، ومروان بن الحكم، والمغيرة بن شعبة، وصناديد قومه، ووجوه اليمن وأهل الشام.

فلما نظر إليه معاوية أقعده على سريره، وأقبل عليه بوجهه يريه السرور بمقدمه، فلما نظر مروان إلى ذلك حسده، وكان معاوية قال لهم: لا تحاوروا هذين الرجلين، فلقد قلدّاكم العار، وفضحاكم عند أهل الشام ـ يعني الحسن بن علي «رضي الله عنهما» وعبد الله بن العباس «رضي الله عنهما».

فقال مروان: يا حسن، لولا حلم أمير المؤمنين وما قد بنى له آباؤه الكرام من المجد والعلاء ما أقعدك هذا المقعد، ولقتلك وأنت له مستوجب بقودك الجماهير، فلما أحسست بنا وعلمت أن لا طاقة لك بفرسان أهل الشام، وصناديد بني أمية أذعنت بالطاعة، واحتجرت بالبيعة وبعثت تطلب الأمان.

أما والله لولا ذلك لأريق دمك، وعلمت أنا نعطي السيوف حقها عند الوغى، فاحمد الله إذ ابتلاك بمعاوية، فعفا عنك بحلمه، ثم صنع بك ما ترى.

---

(١) المحاسن والمساوي ج١ ص١٢٩ ـ ١٣١ والمحاسن والأضداد ص١٤٥ ـ ١٤٦.

فنظر إليه الحسن، فقال: ويحك يا مروان لقد تقلدت مقاليد العار في الحروب، عند مشاهدتها، والمخاذلة عند مخالطتها.

نحن ـ هَبِلتك الهوابل ـ لنا الحجج البوالغ، ولنا إن شكرتم عليكم النعم السوابغ، ندعوكم إلى النجاة وتدعوننا إلى النار، فشتان ما بين المنزلتين، تفخر ببني أمية وتزعم أنهم صُبّر في الحروب أُسد عند اللقاء، ثكلتك أمك أولئك البهاليل السادة، والحماة الذادة، والكرام القادة بنو عبد المطلب.

أما والله لقد رأيتهم وجميع من في هذا البيت ما هالتهم الأهوال، ولم يحيدوا عن الأبطال، كالليوث الضاربة الباسلة الحنقة، فعندها ولّيت هارباً، وأُخذت أسيراً، فقلّدت قومك العار، لأنك في الحروب خوّار، أيراق دمي زعمت؟! أفلا أرقت دم من وثب على عثمان في الدار، فذبحه كما يذبح الجمل، وأنت تثغو ثغاء النعجة، وتنادي بالويل والثبور، كالأمة اللكعاء، ألا دفعت عنه بيدٍ، أو ناضلت عنه بسهم؟!

لقد ارتعدت فرائصك، وغشي بصرك، فاستغثت بي كما يستغيث العبد بربه، فأنجيتك من القتل، ومنعتك منه. ثم تحثّ معاوية على قتلي، ولو رام ذلك معك لذبح كما ذبح ابن عفان. أنت معه أقصر يداً، وأضيق باعاً، وأجبن قلباً من أن تجسر على ذلك. ثم تزعم أني ابتُليت بحلم معاوية..

أما والله لهو أعرف بشأنه، وأشكر لما ولّيناه هذا الأمر، فمتى بدا له فلا يغضينّ جفنه على القذى معك، فوالله لأثخننّ أهل الشام بجيش يضيق عنه فضاؤها، ويستأصل فرسانها، ثم لا ينفعك عند ذلك الهرب والروغان، ولا يردّ عنك الطلب تدريجك الكلام. فنحن ممّن لا يجهل آباؤنا القدماء

الأكابر، وفروعنا السادة الأخيار، انطق إن كنت صادقاً.

فقال عمرو: ينطق بالخنى وتنطق بالصدق. ثم أنشأ يقول:

قد يضرط العير والمكواة تأخـذه   لا يضرط العـير والمكـواة في النـار

ذق وبال أمرك يا مروان.

وأقبل عليه معاوية، فقال: قد كنت نهيتك عن هذا الرجل، وأنت تأبى إلا انهماكاً فيما لا يعنيك. اربع على نفسك؛ فليس أبوك كأبيه، ولا أنت مثله، أنت ابن الطريد الشريد، وهو ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله» الكريم، ولكن رُبّ باحث عن حتفه، وحافر عن مديته.

فقال مروان: ارم من دون بيضتك، وقم بحجة عشيرتك.

ثم قال لعمرو: طعنك أبوه، فوقيت نفسك بخصييك، فلذلك تحذره. وقام مغضباً.

فقال معاوية: لا تُجار البحور فتغمرك، ولا الجبال فتبهرك، واسترح من الاعتذار[1].

الإمام الحسن وعمرو بن العاص:

٨ ـ وقال إبراهيم بن محمد البيهقي:

قيل: واجتمع الحسن بن علي وعمرو بن العاص، فقال الحسن: قد علمت قريش بأسرها أني منها في عزّ أرومتها، لم أُطبع على ضعف، ولم أُعكس

---

(١) المحاسن والمساوي ج١ ص١٣٣ ـ ١٣٦ والمحاسن والأضداد ص١٥٠ ـ ١٥١.

على خسف. أُعرف بشبهي، وأُدعى لأبي.

فقال عمرو: قد علمت قريش أنك من أقلّها عقلاً، وأكثرها جهلاً، وإنّ فيك خصالاً لو لم يكن فيك إلّا واحدة منهنّ لشملك خزيها كما اشتمل البياض الحالك.

لعمر الله، لتنتهينّ عما أراك تصنع، أو لأكبسن لك حافة كجلد العائط، أرميك من خللها بأحرّ من وقع الأثافي، أعرك منها أديمك عرك السلعة، فإنك طالما ركبت صعب المنحدر، ونزلت في أعراض الوعر، التماساً للفرقة، وإرصاداً للفتنة، ولن يزيدك الله فيها إلا فظاعة.

فقال الحسن «عليه السلام»: أما والله، لو كنت تسمو بحسبك، وتعمل برأيك ما سلكت فجّ قصدٍ، ولا حللت رابية مجدٍ.

وأيم الله، لو أطاعني معاوية لجعلك بمنزلة العدو الكاشح، فإنه طالما طويت على هذا كشحك، وأخفيته في صدرك، وطمح بك الرجاء إلى الغاية القصوى، التي لا يورق بها غصنك ولا يخضرّ لها مرعاك.

أما والله ليوشكنّ يا ابن العاص أن تقع بين لحيي ضرغام من قريش، قويّ، متمنّع، فروسٍ ذي لبد، يضغطك ضغط الرحا للحب، لا ينجيك منه الرّوَغان، إذا التقت حلقتا البطان[1].

إيضاحات:

غرب اللسان: حدته وقوة العارضة.

---

(١) المحاسن والمساوي ج١ ص١٣٧ ـ ١٣٨ والمحاسن والأضداد ص١٥١ ـ ١٥٣.

البواذخ: ما طال وعظم.

الخيم: الطبيعة.

الخنا: القبيح من الكلام.

تساورت: تواثبت.

الأديم: الوجه.

بصبص: حرك ذنبه خوفاً.

بغاث الطير: ما لا يصيد منها.

الأجدل: الصقر.

الثفال: الجلد الذي يبسط تحت الرحا، ليقي الطحين من التراب.

البازل: البعير إذا دخل في التاسعة.

المنسم: الخف، وهو للبعير بمنزلة الظفر للإنسان.

السهوب: الأراضي المستوية، أو المستوي البعيد عن الأرض في سهولة.

المفاوز: جمع مفازة وهي الفلاة لا ماء فيها.

النخيرة: الطبيعة.

أَكِيْعُ: أجبن وأخاف.

العقلة: ما يعقل به ويربط به.

ململمة: مستديرة.

يحصر: يعيا عن الكلام.

البهلول: السيد الجامع لكل الخير.

اللكعاء: المرأة اللئيمة.

العائط: الناقة التي لا تحمل

الأثافي: جمع أثفية، وهو المثقب.

السلعة: غدة تظهر بين الجلد واللحم.

الفَروس: الأسد.

الفصل الثالث

الإمام الحسن عليه السلام عند ملك الروم..

الإمام الحسن عليه السلام وأسئلة ملك الروم:

١ ـ عن الحسين بن عبد الله السكيني، عن أبي سعيد البجلي، عن عبد الملك بن هارون، عن أبي عبد الله، عن آبائه «عليهم السلام» قال: لما بلغ ملك الروم أمر أمير المؤمنين «عليه السلام» ومعاوية، وأخبر أن رجلين قد خرجا يطلبان الملك، فسأل من أين خرجا؟!

فقيل له: رجل بالكوفة ورجل بالشام.

فأمر الملك وزراءه، فقال: تخللوا، هل تصيبون من تجار العرب من يصفهما لي.

فأتي برجلين من تجار الشام، ورجلين من تجار مكة، فسألهم من صفتهما، فوصفوهما له، ثم قال لخزان بيوت خزائنه: أخرجوا إليَّ الأصنام، فأخرجوها، فنظر إليها، فقال: الشامي ضال، والكوفي هاد .

ثم كتب إلى معاوية: أن ابعث إليّ أعلم أهل بيتك..

وكتب إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»: أن ابعث إليَّ أعلم أهل بيتك فأسمع منهما، ثم أنظر في الإنجيل كتابنا، ثم أخبركما من أحق بهذا الأمر، وخشي على ملكه.

فبعث معاوية يزيد ابنه، وبعث أمير المؤمنين «عليه السلام» الحسن

«عليه السلام» ابنه، فلما دخل يزيد على الملك أخذ بيده فقبلها ثم قبّل رأسه.

ثم دخل عليه الحسن بن علي «صلوات الله عليهما»، فقال: الحمد لله الذي لم يجعلني يهودياً ولا نصرانياً، ولا مجوسياً، ولا عابد الشمس والقمر، ولا الصنم والبقر، وجعلني حنيفاً مسلماً، ولم يجعلني من المشركين، تبارك الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين..

ثم جلس لا يرفع بصره، فلما نظر ملك الروم إلى الرجلين أخرجهما، ثم فرّق بينهما، ثم بعث إلى يزيد فأحضره، ثم أخرج من خزائنه ثلاثمائة وثلاث عشر صندوقاً فيها تماثيل الأنبياء، وقد زينت بزينة كل نبي مرسل، فأخرج صنماً فعرضه على يزيد فلم يعرفه، ثم عرض عليه صنماً صنماً، فلا يعرف منها شيئاً، ولا يجيب منها بشيء، ثم سأله عن أرزاق الخلائق، وعن أرواح المؤمنين أين تجتمع؟! وعن أرواح الكفار أين تكون إذا ماتوا؟! فلم يعرف من ذلك شيئاً..

ثم دعا الحسن بن علي «عليهما السلام»، فقال: إنما بدأت بيزيد بن معاوية كي يعلم أنك تعلم ما لا يعلم، ويعلم أبوك ما لا يعلم أبوه، فقد وصف أبوك وأبوه، فنظرت في الإنجيل فرأيت فيه محمداً رسول الله «صلى الله عليه وآله» والوزير علياً، ونظرت في الأوصياء فرأيت فيها أباك وصي محمد.

فقال له الحسن «عليه السلام»: سلني عما بدا لك مما تجده في الإنجيل، وعما في التوراة، وعما في القرآن أخبرك به إن شاء الله تعالى.

فدعا الملك بالأصنام، فأول صنم عرض عليه في صفة القمر، فقال الحسن «عليه السلام»: فهذه صفة آدم أبو البشر..

ثم عرض عليه آخر في صفة الشمس، فقال الحسن «عليه السلام»: هذه صفة حواء أم البشر..

ثم عرض عليه آخر في صفة حسنة، فقال: هذه صفة شيث بن آدم، وكان أول من بعث، وبلغ عمره في الدنيا ألف سنة وأربعين عاماً.

ثم عرض عليه صنم آخر، فقال: هذه صفة نوح صاحب السفينة، وكان عمره ألفاً وأربعمائة سنة، ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً.

ثم عرض عليه صنم آخر، فقال: هذه صفة إبراهيم عريض الصدر، طويل الجبهة.

ثم أخرج إليه صنم آخر، فقال: هذه صفة إسرائيل وهو يعقوب.

ثم أخرج إليه صنم آخر، فقال: هذه صفة إسماعيل.

ثم أخرج إليه صنم آخر، فقال: هذه صفة يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

ثم أخرج صنم آخر، فقال: هذه صفة موسى بن عمران، وكان عمره مائتين وأربعين سنة، وكان بينه وبين إبراهيم خمسمائة عام.

ثم أخرج إليه صنم آخر، فقال: هذه صفة داود صاحب الحرب.

ثم أخرج إليه صنم آخر، فقال: هذه صفة شعيب، ثم زكريا، ثم يحيى، ثم عيسى بن مريم روح الله وكلمته، وكان عمره في الدنيا ثلاثة وثلاثون (لعل الصحيح: وثلاثين) سنة، ثم رفعه الله إلى السماء، ويهبط إلى الأرض بدمشق، وهو الذي يقتل الدجال.

ثم عرض عليه صنم صنم فيخبر باسم نبي نبي..

ثم عرض عليه الأوصياء والوزراء، فكان يخبرهم باسم وصي وصي، ووزير وزير..

ثم عرض عليه أصنام بصفة الملوك، فقال الحسن «عليه السلام»: هذه أصنام لم نجد صفتها في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في القرآن، فلعلها من صفة الملوك.

فقال الملك: أشهد عليكم يا أهل بيت محمد: أنكم قد أعطيتم علم الأولين والآخرين، وعلم التوراة والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم، وألواح موسى.

ثم عرض عليه صنم يلوح، فلما نظر إليه بكى بكاء شديداً، فقال له الملك: ما يبكيك؟!

فقال: هذه صفة جدي محمد «صلى الله عليه وآله»: كثّ اللحية، عريض الصدر، طويل العنق، عريض الجبهة، أقنى الأنف، أفلج الأسنان، حسن الوجه، قطط الشعر، طيب الريح، حسن الكلام، فصيح اللسان، كان يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، بلغ عمره ثلاثاً وستين سنة، ولم يخلف بعده إلا خاتم (لعلها: خاتماً) مكتوب عليه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وكان يتختم في يمينه، وخلّف سيفه ذو (لعلها: ذا) الفقار، وقضيبه، وجبة صوف، وكساء صوف، كان يتسرول به، لم يقطعه ولم يخطه حتى لحق بالله.

فقال الملك: إنّا نجد في الإنجيل: أنه يكون له ما يتصدق على سبطيه، فهل كان ذلك؟!

فقال له الحسن «عليه السلام»: قد كان ذلك.

فقال الملك: فبقي لكم ذلك؟!

فقال: لا.

فقال الملك: لهذه أول فتنة هذه الأمة عليها، ثم على ملك نبيكم، واختيارهم على ذرية نبيهم، منكم القائم بالحق، الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر.

قال: ثم سأل الملك الحسن «عليه السلام» عن سبعة أشياء خلقها الله لم تركض في رحم.

فقال الحسن «عليه السلام»: أول هذا آدم، ثم حواء، ثم كبش إبراهيم، ثم ناقة صالح، ثم إبليس الملعون ثم الحية، ثم الغراب التي ذكرها الله في القرآن.

ثم سأله عن أرزاق الخلائق..

فقال الحسن «عليه السلام»: أرزاق الخلائق في السماء الرابعة، تنزل بقدر، وتبسط بقدر.

ثم سأله عن أرواح المؤمنين، أين يكونون إذا ماتوا؟!

قال: تجتمع عند صخرة بيت المقدس في كل ليلة الجمعة، وهو (لعل الصحيح: وهي)[١] عرش الله الأدنى، منها يبسط الله الأرض، وإليه يطويها، ومنها المحشر، ومنها استوى ربنا إلى السماء، والملائكة.

ثم سأله عن أرواح الكفار أين تجتمع؟!

---

(١) وليس المراد بالعرش موضع اجتماع أرواح المؤمنين، بل المراد خصوص الصخرة، وبقية الفقرات تؤيد هذا المعنى.

قال: تجتمع في وادي حضرموت، وراء مدينة اليمن، ثم يبعث الله ناراً من المشرق، وناراً من المغرب، ويتبعهما بريحين شديدتين، فيحشر الناس عند صخرة بيت المقدس، فيحشر أهل الجنة عن يمين الصخرة، ويزلف المتقين، ويصير جهنم عن يسار الصخرة في تخوم الأرضين السابعة، وفيها الفلق والسجين، فيعرف الخلائق من عند الصخرة، فمن وجبت له الجنة دخلها، ومن وجبت له النار دخلها، وذلك قوله: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[1].

فلما أخبر الحسن «عليه السلام» بصفة ما عرض عليه من الأصنام، وتفسير ما سأله، التفت الملك إلى يزيد بن معاوية وقال: أشعرت أن ذلك علم لا يعلمه إلا نبي مرسل، أو وصي موازر قد أكرمه الله بموازرة نبيه، أو عترة نبي معطفي (لعل الصحيح: مصطفى)؟! وغيره المعادي فقد طبع الله على قلبه، وآثر دنياه على آخرته، أو هواه على دينه، وهو من الظالمين.

قال: فسكت يزيد وخمد.

قال: فأحسن الملك جائزة الحسن «عليه السلام»، وأكرمه وقال له: ادع ربك حتى يرزقني دين نبيك، فإن حلاوة الملك قد حالت بيني وبين ذلك، وأظنه شقاء مردياً، وعذاباً أليماً.

قال: فرجع يزيد إلى معاوية.

وكتب إليه الملك: أنه يقال: من آتاه الله العلم بعد نبيكم وحكم بالتوراة

---

(١) الآية ٧ من سورة الشورى.

وما فيها، والإنجيل وما فيه، والزبور وما فيه، والفرقان وما فيه.. فالحق والخلافة له..

وكتب إلى علي بن أبي طالب «عليه السلام»: أن الحق والخلافة لك، وبيت النبوة فيك وفي ولدك، فقاتل من قاتلك يعذبه الله بيدك، ثم يخلده الله نار جهنم، فإن من قاتلك نجده في الإنجيل أن عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وعليه لعنة أهل السماوات والأرضين(١).

وهناك رواية أخرى قال المجلسي عنها: الظاهر: أن هذا الخبر مختصر من الخبر السابق، وإنما اشتبه اسم أحد السبطين بالآخر «صلوات الله عليهما»، وإن أمكن صدوره منهما جميعاً(٢).

٢ ـ مناقب ابن شهرآشوب: كتب ملك الروم إلى معاوية يسأله عن ثلاث: عن مكان بمقدار السماء، وعن أول قطرة دم وقعت على الأرض، وعن مكان طلعت فيه الشمس مرة، فلم يعلم ذلك.

فاستغاث بالحسن بن علي «عليهما السلام»، فقال: ظهر الكعبة، ودم حوا، وأرض البحر حين ضربه موسى.

وعنه «عليه السلام» في جواب ملك الروم: ما لا قبلة له، فهي الكعبة، وما لا قرابة له، فهو الرب تعالى.

وسأل شامي الحسن بن علي «عليه السلام»، فقال: كم بين الحق والباطل؟!

---

(١) بحار الأنوار ج١٠ ص١٣٢ ـ ١٣٦ وج٣٣ ص٢٣٣ ـ ٢٣٨.

(٢) بحار الأنوار ج١٠ ص١٣٨.

فقال: أربع أصابع، فما رأيت بعينك فهو الحق، وقد تسمع بأذنيك باطلاً كثيراً.

وقال: كم بين الإيمان واليقين؟!

فقال: أربع أصابع، الإيمان ما سمعناه، واليقين ما رأيناه.

قال: وكم بين السماء والأرض؟!

قال: دعوة المظلوم، ومد البصر.

قال: كم بين المشرق والمغرب؟!

قال: مسيرة يوم للشمس(١).

ونقول:

إن هذه النصوص تضمنت أموراً كثيرة ينبغي التوقف عندها..

وبعضها لا يمكن قبوله، ولاسيما بعض ما ورد في رواية تفسير القمي.

وبعضها الآخر مما ورد في وراية القمي وغيره.. لا نرى فيه ما يوجب ردّه، أو الريب فيه، فبملاحظة ذلك، نجمل وقفاتنا، ولاسيما فيما يرتبط برواية القمي على النحو التالي:

سند رواية القمي:

روى القمي «رحمه الله» عن الحسين بن عبد الله السكيني، عن أبي سعيد البجلي، عن عبد الملك بن هارون.

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٧٨ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣٥٧ والعوالم ج١٦ ص١١١. وراجع: ربيع الأبرار ج٢ ص٨٩.

ويكفي أن نذكر: أن أبا سعيد البجلي مجهول.. ومع وجود مجهول في السند لا يمكن الاعتماد على الرواية، ولا بد من الانتقال إلى البحث في المضمون، لنرى هل هو موافق لأصول المذهب أو مخالف لها، أو أن هناك شواهد تؤيد صحة مضامينه، أو لا تؤيد صحتها، بل تؤيد صحة بعضها دون البعض الآخر..

وما لم نجد مؤيداً لصحته، هل لدينا مؤيد لبطلانه، أم لا.. وبناء على ذلك سنحاول تفحص مضمون هذه الرواية بالمقدار الميسور لنا في الظروف والأحوال الراهنة، فنقول:

الحسن عليه السلام عند ملك الروم:

أولاً: قد يقال: إن ذهاب الإمام الحسن «عليه السلام» إلى ملك الروم، لعله لم يذكر إلا في هذه الرواية.. وهذا قد يساعد على تضعيف الرواية.

غير أننا نقول:

الجزم بهذا النفي، وإن كان غير ممكن، لكن الظن به، أو احتماله يثير التساؤلات عن السبب في العزوف عن تداوله، مع أنه حدث مهم، تتوفر الدواعي على نقله وإشاعته، إلا إن فرض أن الأمويين قد حالوا دون ذلك، لأنه يضرّ بهم، ويبطل دعاواهم..

ثانياً: تقول الرواية: إن ملك الروم طلب من معاوية: أن يرسل إليه أعلم أهل بيته، فأرسل إليه ولده يزيد «لعنه الله».

فهل كان معاوية يرى أن لدى ولده يزيد من العلم ما يستطيع به أن يجيب على مسائل ملك الروم، الذي يفترض أن يكون لديه من العلم والعلماء، ما يضمن له حفظ الملك الذي بين يديه؟!

فكيف اختار هذا الولد الأرعن والجاهل لهذه المهمة العظيمة، حيث يبدو: أنه لم يرسل معه أحداً لديه من العلم ما يرشده ويسدده به؟!

يزيد لم يبلغ الحلم:

غير أن الإشكال الأهم على هذه الرواية: هو أنها تصرح: بأن ملك الروم قد كتب إلى علي وإلى معاوية يطلب من كل منهما إرسال أعلم أهل بيته.

وهذا يعني: أن هذا قد جرى في حياة أمير المؤمنين «عليه السلام» الذي استشهد سنة أربعين للهجرة، وكانت ولادة يزيد سنة ٢٦ للهجرة.

فلو فرضنا: أن قصة ملك الروم حدثت في سنة ثمانٍ أو تسع وثلاثين مثلاً، فيكون عمر يزيد حينئذ ١٢ أو ١٣ سنة، ولو ألحقنا بها سنة أربعين لكان عمره أربعة عشر سنة، وماذا يحسن يزيد من العلم في هذه السن، حيث يفترض أنه لم يبلغ الحلم بعد، وهو إنما تربى في محيط الجريمة، والفسق، والخطايا، والترف والجهل، واتِّباع الهوى، والبحث عما يشبع الغرائز والشهوات من دون قيود أو حدود؟!

فلماذا يختاره أبوه تحت وطأة هذا العنوان الكبير والخطير، وهو: أن يكون أعلم أهل بيته؟!

ولا نملك إزاء هذه الحقيقة أي نص يمكن أن يشير لنا بما يدفع هذا الإشكال.. سوى تجلِّي جهل وقصور، وضعة يزيد في حركاته، وفي مواجهته لأسئلة ملك الروم المختارة بعناية.

فلم يبق أمامنا سوى التكهن والتخيل، والافتراض للأفكار التي جالت في فكر معاوية تجاه طلب ملك الروم.

فمن هذا المنطلق الشائك، نجيز لأنفسنا افتراض ما يلي، دون أن نتوقع قبول الكثيرين لافتراضاتنا هذه، فنقول:

إن معاوية لم يكن يعرف شيئاً عن الموضوعات التي سيثيرها ملك الروم مع يزيد، ومن يرسله الإمام علي «عليه السلام».. إن كان يعلم: أن علياً سيرسل أحداً.

وربما كان قد توقع أن يكون محور الأسئلة هو النزاع القائم بينه وبين علي «عليه السلام»، فيكون المطلوب منه: هو أن يشنّ هجوماً قوياً على أمير المؤمنين «عليه السلام»، مليئاً بالتجنيات والأباطيل، مفعماً بالافتراءات، وتصويره لملك الروم: أنه «عليه السلام» ـ والعياذ بالله ـ معتدٍ وقاتل للأحبة، مفرق للجماعة، مثير للفتن وللمشكلات، وقد ساهم في قتل عثمان، وحسد الخلفاء الذين سبقوه، وبغى لهم الغوائل، وما إلى ذلك.. من أباطيل لم نزل نسمعها منهم.

وهذه معان يمكن تلقينها ليزيد، وإن كان عمره ١٢ سنة، أو أكثر أو أقل.

ويمكن أن يرسل معه بعض المستشارين الذين يلقنونه، ويسددونه، ويشيرون عليه بما يحتاجه إذا فاجأه بعض ما لم يكن له بالحسبان.

ولم يكن يتوقع أن يطلب منه ملك الروم معرفة من تمثل تلك الصور التي يعرضها عليه من الأنبياء والأوصياء، والوزراء والملوك.. ولم يكن يتوقع أن يسأله عن الكون والحياة، والمقولات الدينية.

ومن الطبيعي: أن لا يختار معاوية سوى يزيد، لأن القضية ترتبط بمستقبل

الملك، وولاية العهد من بعده، ولا يريد أن يفسح المجال لأي من الأمويين أو غيرهم، ولو بمقدار رأس إبرة، لأن ذلك قد يعطيه ذريعة للتوثب على هذا الأمر.. ويصبح منافساً قوياً أو محتملاً لمهجة قلبه يزيد «لعنه الله»..

وقد قال تعالى، وهو أصدق القائلين: ﴿**وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾(٢).

والشاعر يقول أيضاً:

ما كل مـا يتمنـى المـرء يدركـه تجري الرياح بما لا تـشتهي الـسفن

ملك الروم علم بالمهتدي والضال من الاصنام؟!:

١ ـ والسؤال هنا هو: كيف علم ملك الروم حين أخرجوا له الأصنام فرآها: أن الذي هو في الكوفة هادٍ، والذي في الشام ضال؟!

ويجاب:

بأن المراد بالأصنام: هو صور الأنبياء وأوصيائهم ووزرائهم، وتماثيل الملوك التي نحتت وفقاً للأوصاف والنعوت التي وردت لهم في كتبهم.. كالإنجيل، أو غيره.

فرأى تمثال رسول الله «صلى الله عليه وآله» بينها، ويفترض أن يكون

---

(١) الآية ٣٠ من سورة الأنفال.

(٢) الآية ٨ من سورة الصف.

أيضاً قد رأى تماثيل أوصيائه، ووزرائه.. وأن يكون قد رأى بين تماثيل الملوك من هو على صورة معاوية وغيره من ملوك الأرض، كالنمرود والفراعنة، وسواهم.

وكانت معرفة الإمام الحسن بالأشخاص الذين صورتهم التماثيل، مع أنه لم يعش في دورهم، ولا قصورهم، ولا عاصرهم ـ كما هو المفروض ـ هي السبيل لإدراك ملك الروم أنه «عليه السلام» قد عرفهم.. إما من خلال معرفته بأوصافهم بدقة واستيعاب، أو لأنه عرفهم بوسائل أخرى تتناسب مع ما منحه الله إياه من خصائص وميزات، وعلوم، وقدرات، لا تكون إلا لنبي، أو وصي نبي..

ولأجل ذلك ميّز ملك الروم بين المحق والمبطل، والهادي والضال.

٢ ـ وقد ساعد على هذا التمييز: ما رآه ملك الروم وسمعه من الإمام الحسن «عليه السلام» وما رآه من يزيد «لعنه الله» حينما دخلا عليه..

فقد تعامل يزيد مع ذلك الملك من موقع الرجل الوضيع أمام عظمة ذلك الملك، إلى حد أنه رآه أهلاً لأن يقبّل يده، ورأسه، مع أنه ملك كافر، والمؤمن بالله وبأنبيائه، وكتبه وشرائعه خير من الكافر، فكيف إذا كان كافراً مع علمه بالحق، وبأهله، ولكنه يؤثر العبودية للدنيا، على العبودية والطاعة لله، كما أظهرته هذه الرواية نفسها؟! فهو مصداق لقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً﴾[1].

---

(١) الآية ١٤ من سورة النمل.

وهو ممن: ﴿أَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ﴾(١).

ولكن الإمام الحسن «عليه السلام» يدخل على ملك الروم دخول عزة وكرامة، وشموخ، وفخر بدين الحق، واستهانة بالباطل.

ويشهد على ذلك: أنه «عليه السلام» بدأ بالبراءة من الأديان الباطلة، أو المحرَّفة، ناسباً هدايته إلى دين الحق إلى التوفيق الإلهي.

فقد حمد الله على أنه لم يجعله يهودياً أو نصرانياً.. ولا.. ولا.. ثم حمده على أن جعله حنيفاً مسلماً، ولم يجعله من المشركين..

ولكن يجب أن يعلم: أن جعل الله تعالى له حنيفاً مسلماً، وعدم جعله يهودياً ولا نصرانياً، ليس على سبيل الجبر الإلهي المستند إلى التكوين، بل هو على سبيل الهدايات الفطرية، والعقلية، والشرعية، ومن خلال جهود الأنبياء والرسل في تربيته وتعليمه، ليكون هو الذي يختار العمل بما تقتضيه هذه الهدايات.

واختياره هذا ـ وترجيح الأخذ بمقتضى هذه الهدايات، والعزوف عما عداها ـ قد يواجه عراقيل وموانع من الأهواء، والشهوات والعصبيات، وسواها.. فيحتاج إلى التسديد الإلهي، والتوفيقات الربانية لتأكيد الرغبة بالكمالات، والنفور من كل ما يوجب مهانة أو نقصاً، أو خروجاً عن جادة الصواب.

٣ ـ ثم إنه «عليه السلام» ـ كما تقول الرواية ـ جلس لا يرفع بصره،

---

(١) الآية ٢٣ من سورة الجاثية.

ربما لأن أكثر ما يهتم به الملوك وأهل الدنيا هو: إظهار العظمة، والجمال، والجلال، والقوة.. خصوصاً في المواضع الحساسة، التي يقصدها الناس، فنراهم يهتمون بأشكالها وألوانها، وأحجامها، وهندساتها، وزخارفها، إلى حد يجعلها أعجوبة، لا يمل قاصدها من النظر إليها، ليجد فيها في كل نظرة جديداً، وأمراً فريداً..

وتزداد الرغبة بتسريح النظر في تلك المباهج، والمناظر الزاهية، الزاهرة، ما يضيفه إليها أولئك الملوك من تحف نادرة، وعجائب صنع فاخرة، وتزينات باهرة.

ولكن الإمام الحسن «عليه السلام» حين جلس لا يرفع بصره، قد أعطى الانطباع: بأنه لا يرى لكل هذه المظاهر قيمة حقيقية، فالأشكال والألوان والأحجام، وبدائع الصنع تبقى لذتها في دائرة الإدراك للأعراض اللاحقة بالجواهر، والذوات. وهي لا تسمن، ولا تغني من جوع، ولا تروي العطشان، ولا تكسو العريان، ولا تشفي المريض، ولا تدفع الآلام، ولا تبني له بيتاً، ولا يقضي له حاجة، ولا تصنع له أيَّة حاجة أو وسيلة من وسائل العيش، فقد قال النبي «صلى الله عليه وآله»: يقول ابن آدم..

إلى أن قال: وهل لك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت؟!(١).

وزاد في نص آخر قوله: وما عدا ذلك، فهو قال: للوارث.

---

(١) راجع: بحار الأنوار ج٦٥ ص٣٥٦.

فكل ما في الدنيا من بهارج ومباهج، لا يمنح المرء قيمة أو عظمة.. بل قيمة الإنسان إنما هي في مكوناته الإنسانية، وبأخلاقه، وعلمه، ومزاياه الروحية والنفسية، وبعمله الصالح، وبعقله، وبحكمته، وتوازنه، وما إلى ذلك.

عند الإمتحان يكرم المرء أو يهان:

وقد تجلى مصداق ما ذكرناه آنفاً: أن ملك الروم كان مدركاً لهذه الحقيقة وعرف بأن ثمة تفاوتاً، بل تبايناً بين شخصية الإمام الحسن «عليه السلام» وشخصية يزيد.. ففرق بينهما. ولا بد أن ذلك قد أراح الإمام الحسن، لأن الإنسان التقي الورع، والعالم الحكيم العاقل، وذا الخلق الرفيع، والمتوازن الرزين سوف تتأذى روحه إذا وضع معه إنسان جاهل وضيع، وبلا أخلاق، ولا تقوى، وبلا ضوابط.

ثم لجأ ملك الروم إلى الإمتحان، وعند الإمتحان يكرم المرء أو يهان..

وقد أراد لهذا الإمتحان أن يكون على مرحلتين مختلفتين من حيث الظاهر، ولكنهما تؤديان إلى النتيجة المتوخاة..

المرحلة الأولى:

ترتبط بالمعارف الحسية أي في معرفة الهداة والطغاة، والتمييز بينهم، والوقوف على تفاصيل وجزئيات ترتبط بهم بما لها من حدود وقيود، وما لهم من صفات وسمات من حيث هي تستند إلى خلفية ثقافية قوامها السماع أو المشاهدة، أو الاطلاع على المدونات الدينية، كالتوراة، والزبور، وصحف إبراهيم، وألواح موسى، والإنجيل، وغير ذلك من الكتب التي أنزلها الله تعالى للأمم السابقة، وما سمعه من العلماء، عن الأنبياء والأوصياء، والوزراء،

والملوك، حيث يراد معرفة مدى القدرة على المواءمة بين الوجود الذهني والوجود العيني لدى الشخص المستهدف بالسؤال..

فإن من لم يعش هذه الأجواء فيقرأ، ويسمع، ويشاهد صفات وسمات هؤلاء الأصناف، لا يستطيع أن يعرف أشخاصهم، ولا أن يميِّز بينهم، لا يتبين له الهادي من المضل، والصحيح من المزيف.

ولأجل ذلك عرض ملك الروم تماثيل الأنبياء على يزيد، فلم يعرف أحداً منهم، وهذا يدل على أنه إما لم يسمع، ولم يقرأ شيئاً عنهم، أو أنه سمع وقرأ ودرس، ولكنه لم يستوعب شيئاً من ذلك، أو أنه استوعب ذلك وبقي في دائرة الإهمال، حتى أدركه النسيان، وعجز عن إدراك التوافق بين الصور الذهنية، وبين منطبقاتها في الوجود العيني الخارجي.

وعلى جميع التقادير، فإن من يكون كذلك لا يصلح أن يكون هادياً، ومعلماً، وقائداً للأمة، لأن من يبلغ في قصوره إلى هذا الحد، فإنه سيكون في مرحلة التطبيق العملي أضعف وأعجز، لأنها مرحلة دقيقة وشاقّة، تحتاج إلى تجسيد المسموعات والمشاهدات، وسواها وتطبيقها في الواقع الخارجي، بدون أدنى تفاوت أو انخرام في أصغر جزئياتها، فضلاً عن أكبرها.. وقد طلب ملك الروم من معاوية أن يبعث إليه بأعلم أهل بيته، ليستدل بمستوى علمه وفضله على مستوى مرسله، وهو معاوية نفسه.. وحين فشل في الإمتحان أصدر ملك الروم حكمه: بأن الحق والخلافة، والهدى عند علي «عليه السلام».

والخلاصة: أن القدرة على الربط والتطبيق الدقيق، والانسجام التام بين الوجود الذهني، والوجود العيني الخارجي.. هو الركن الأعظم والأهم فيما

يرتبط بالهداية، والقيادة الحكيمة، والصحيحة الذي يفترض توفره في الحاكم.

المرحلة الثانية:

الأسئلة العلمية التي ترتبط بالنظام الكوني العام، وحالات المخلوقات، وفق ما جاء به الوحي الإلهي، منذ خلق الله سبحانه البشر، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، فلم يحر يزيد جواباً عن أي سؤال..

ملك الروم كان رجلاً ومجرباً:

وبعد أن أنهى ملك الروم طرح أسئلته على يزيد، أعلن أن نتيجة امتحانه له كانت متوقعة، ثم أعلن قبل أن يوجه أسئلته للإمام الحسن «عليه السلام»، ما يدل على أنه مدرك لمآل الأمور معه، وأن لدى الإمام الحسن علوماً لا يعرف عنها يزيد شيئاً، وأن لدى علي «عليه السلام» ما ليس لدى معاوية منها شيء.. مستنداً في ذلك إلى وجود تمثال لأمير المؤمنين في جملة التماثيل التي عرضها على يزيد، وسيعرضها على الإمام الحسن «عليه السلام».

ولكن ذلك لم يصرفه عما عزم عليه من معاملة للإمام الحسن «عليه السلام» بمثل ما عامل به يزيد، فعرض عليه التماثيل التي عرضها على يزيد، وطرح عليه الأسئلة التي طرحها عليه، فأجابه «عليه السلام» عليها وفق ما تقتضيه.. وأسفر الصبح لذي عينين، ليحق الله الحق بكلماته، وليظهر زيف المبطلين والضالين.

لا يوجد اختلال في أجوبة الإمام الحسن:

والناظر في أجوبة الإمام «عليه السلام» يجد أنها على قسمين:

أحدهما: متوافق مع ما هو واقع، ثبت بالنصوص المروية عن أهل البيت، ولهج به القرآن، وأيدته الشواهد..

الثاني: ما ليس له هذه الصفة، بل ثبتت مجافاته للحق والواقع، ومخالفته لما ورد عن أهل البيت «عليهم السلام»..

ووجود هذا النوع من الأجوبة قد يدعو البعض إلى رفض الرواية، واعتبارها مدسوسة، وسنتعرض في حديثنا هنا لهذا القسم، ونبيِّن ما يرد عليه من مؤاخذات بالمقدار الذي يسمح لنا به المجال.

غير أن ما نريد لفت النظر إليه هنا: أننا مع ذلك لا نوافق على رفض الرواية، والحكم عليها بالدس، أو الوضع، وذلك لما يلي:

١ ـ إن ملك الروم، بالرغم من كل ما ظهر منه وما صدر عنه من ترجيحات واعترافات بالحق تجاه علي والإمام الحسن «عليهما السلام»، وبأن معاوية وحزبه مبطلون ظالمون.. إلا أنه لم يكن بصدد حصحصة الحق فيما يرتبط بصحة أو عدم صحة اعتقادات اليهود والنصارى، والمسلمين، وغيرهم..

٢ ـ لقد صرّح هو نفسه في هذه الرواية بالذات: أنه بالرغم من معرفته بالحق، وتمييزه بين المحق والمبطل، إلا أنه لا ينوي اتِّباع الحق، لكي لا يخسر ملكه، مع علمه بما يترتب على قراره هذا من بلاء وبوار، وخذلان أمام الملك الجبار.

كان هدفه من هذه المحاولة هو تحديد الهادي من الضال، ويريد أن يحكم بالهداية والضلال، والحق والباطل الذي يعرفه هو، وأخذه من كتبه وعلمائه.. فإن ذلك يحدد له أي الفريقين ينطلق في مواقفه، وحركته، مما لديه

من علوم ومعارف وحكمة، وقيم، وأخلاق، ومبادئ.. وأي منهما ينطلق من الأهواء والشهوات والغرائز، والأطماع، والعصبيات، وما إلى ذلك..

أي أن ميزان الحق والباطل عند هذا الملك هو المتداول بين أهل الأديان المختلفة، حسب ما جاء في كتبهم المحرَّفة، أو السليمة من التحريف، كالقرآن الكريم.

فكان على الإمام الحسن أن يجيب بما يتوافق مع معلومات ذلك الملك ، لا مع ما يعتقده الإمام الحسن «عليه السلام» في تلك المعلومات، إذ لو أجابه بذلك، فسيرى الملك أنه قد أخطأ وجهل، ولم يميّز بينه وبين يزيد وحزبه.

٣ ـ ومما يزيد في أهمية اعتماد الإجابة بما يعرفه ملك الروم.. أن ذلك سوف يؤثر على تعامل ذلك الملك مع أهل الحق من المسلمين ومع الظالمين والمبطلين منهم.. لأنه سيختار أهل الحق، إذ لا يوجد فاصل كبير بين ما هو عليه، وبين ما عليه أهل الحق.

أما المبطلون، فعليه أن يكون على حذر منهم، إذ لا ضوابط إيمانية، ولا أخلاقية، ولا مبادئ تحكم مواقفهم وتصرفاتهم.. وليس أهل الحق كذلك.

ونحن سوف نذكر شطراً من هذه الأجوبة التي أوردها وفق ما هو متداول لدى غير المسلمين، مع أنه غير مرضي لدى أهل الحق، وقد يشير إلى لمحات يسيرة مما هو معقول ومقبول، فنقول:

ألف سنة إلا خمسين عاماً:

وذكر الإمام في جوابه: أن نوحاً «عليه السلام» لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وهذا هو التعبير القرآني عن هذه المدة.. مع أنه حين ذكر

«عليه السلام» شيئاً قال عنه: «وكان أول من بعث، وبلغ عمره في الدنيا ألف سنة وأربعين عاماً»، ولم يشر إلى آدم، هل هو من المرسلين أو لا.. إلا أن يقال: إن قول ملك الروم في الرواية: تماثيل الأنبياء، زيّنت بزينة كل نبي مرسل.. يدل على نبوة آدم، أو على رسوليته. ولكن لا عبرة بهذا القول، إذ لم يرد تأييد له عن الأئمة المعصومين «عليه السلام».

ويمكن أن يقال:

إن نبوة آدم كانت قبل وجود الناس الذين يحتاجون إلى الهداية والرعاية، وتدبير الأمور.. فلا معنى لإرسال رسول إلى من لم يوجد بعد، ولكنه «عليه السلام» كان نبياً عظيماً ومرضياً عند الله تبارك وتعالى..

فلما صار له أبناء وأحفاد، وذرية، أرسل الله تعالى إليهم رسلاً منهم، وكان شيث أولهم.

وهنا سؤال آخر يقول: إن الإمام الحسن «عليه السلام» وصف شيئاً بالرسولية، وبأنه عاش ألفاً وأربعين عاماً، ولم يقل سنة..

لكنه بالنسبة لنوح ميّز بين وقت نبوته، وبين وقت رسوليته، ودعوته لقومه، فوصفها بالسنين، ووقّت ما بعد هلاك قومه «عليه السلام» بالطوفان، فوصفها بالأعوام، وربما وصف سنوات ما قبل بعثته إليهم أيضاً: بأنها أعوام. فما هو الفرق بين السنة والعام الذي دعا إلى هذا الاختلاف في الإستعمال؟!

ونجيب:

بأن كلمة «سنة» لها معنى «عام». وكلمة عام لها معنى خاص.. فالاختلاف

في المعنى دعا إلى الاختلاف في الاستعمال.. فالسنة هي مقدار قطع الشمس البروج الاثني عشر.

وهي أيضاً: الجدب.

قالوا: وقد غلبت السنة على القحط غلبة الدابة على الفرس[١].

والسنة: من أول يوم عددته إلى مثله من السنة الثانية.. فمن سافر في يوم من السنة إلى مثله من السنة الثانية، فهو سنة.. ولكنه قد يكون عاماً، وقد لا يكون، لأن العام هو خصوص ما اشتمل على شتاء وصيف.. فالعام أخص من السنة، فكل عام سنة ولا عكس[٢].

وإذا رجعنا إلى آيات القرآن، فإننا نجد أنها تقول: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ**﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿**تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ**﴾[٤].

فإذا كانت السنة تطلق على مقدار قطع الشمس البروج الاثني عشر، وتطلق على الجدب.. وإذا كانت لا يجب فيها مرور صيف وشتاء كاملين، فلو مر من نصف الشتاء إلى نصف الصيف كان سنة، وإن لم يكن عاماً.

---

(١) أقرب الموارد ج١ ص٥٥٠ و٥٥١.

(٢) أقرب الموارد مادة عوم ج٢ ص٨٥٠.

(٣) الآية ١٣٠ من سورة الأعراف.

(٤) الآيات ٤٧ ـ ٤٩ من سورة يوسف.

وقد ورد: أن السنين يأكلن ما قدَّم الناس لهن، ولم يرد أن العام يطلق على الجدب، وورد أن الله تعالى قد أخذ آل فرعون بالسنين.. وهي سني القحط والجدب، ولم يذكر مثل ذلك في كلمة عام..

فإذا أضيف إلى ذلك كله: أن التسع مئة وخمسين سنة ـ التي قضاها نوح مع قومه يدعوهم فيها إلى الله، فلم يستجب له إلا ثمانون شخصاً على أبعد تقدير، وهم الذين حملهم في السفينة ـ فإننا ندرك من خلال ذلك: أن التسع مئة وخمسين سنة.. كانت غاية في الجدب والقحط الإيماني، لأن نبياً من أولي العزم، بالرغم من ما يبذله من جهود مضنية كان يحصل كل حوالي اثنتي عشرة سنة من الكد والتعب، والأذى النفسي، وغيره.. على شخص واحد يؤمن له. وبعد التسع مئة وخمسين سنة جاء الطوفان، وعاش الذين نجاهم الله في السفينة، وعاشت ذرياتهم في أرغد عيش وأهناه في ظل الرعاية الإلهية.

ولذلك وصف الله ما استثناه من الألف سنة: بأنها كانت أعواماً، لأن الله تعالى أغاث المؤمنين فيها، وعاشوا في سلام وراحة وبحبوحة، ورغد عيش في ظل رضاه.. وقد ذكرت الرواية: أن نوحاً عاش ألفاً وأربع مئة سنة.

عيسى يقتل الدجال:

وذكرت الرواية المتقدمة: أن عيسى «عليه السلام» يهبط إلى الأرض بدمشق، وهو الذي يقتل الدجال.

غير أننا نقول:

إن شيعة أهل البيت يعتقدون: أن الذي يقتل الدجال هو الإمام المهدي، «عليه السلام»، ويقول الآخرون: إن عيسى «عليه السلام» هو الذي يقتله[1].

وربما تسرب هذا إليهم من أهل الكتاب، فقد صرح الإنجيل المتداول بهذا الأمر في أكثر من مورد[2].

إلا أن يكون مرادهم: أن عيسى «عليه السلام» يقتل الدجال بأمر من الإمام المهدي «صلوات الله وسلامه عليه».

ذو الفقار لمن؟!:

وذكرت الرواية: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يخلف بعده إلا خاتم (الصحيح خاتماً) وخلف سيفه ذو الفقار (لعل الصحيح ذا الفقار)، وقضيبه، وكساء صوف الخ..

ونقول:

---

(١) راجع: أضواء على السنة المحمدية ص١٩١ ـ ١٩٢ والبداية والنهاية ج٩ ص١٥٥ و ١٥٦ والمقدمة لابن خلدون ص٣١١ ويوم الخلاص ص٦١٧ و ٦١٩ عن كشف الغمة ج٣ ص٢٧٣ و ٢٧٤ وبشارة الإسلام ص١٩٢ و ٢٧٤ و ٢٧٥ وإلزام الناصب ص٢٢٨ و ٢٢٩ وصحيح مسلم ج٨ ص١٩٧ و ١٩٨ و ٢٦٠ وينابيع المودة ج٣ ص٦٦ و ١٣٦ عن إسعاف الراغبين ص٩٢.

وراجع: تهذيب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج١ ص٥٠ والملاحم والفتن لنعيم بن حماد ص١٥٨ و ١٦٣ و ١٦٧ ومعجم أحاديث الإمام المهدي ج١ ص٥٥٣ و ٥٥٩ عن مصادر كثيرة.

(٢) الإصحاح ٢ من رسالة بولس، والإصحاح ١٩ و ٢٠ من رؤيا يوحنا.

١ ـ إن ذا الفقار كان لعلي «عليه السلام»، فلماذا عده في جملة ما خلفه النبي «صلى الله عليه وآله»؟!

٢ ـ ولماذا اقتصر الأمر على هذه المذكورات، مع أنه خلف عمامة، كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يلبسها، وخلّف بعض الرايات، وخلّف بغلته، وخلَّف بيته، وغير ذلك.

إلا إن كان المراد ذكر ما يزعم الآخرون: أنه خلّفه بعده، لينكروا وجود إرث تركه «صلى الله عليه وآله» لابنته «عليها السلام»، كان المتغلبون على الأمر قد اغتصبوه.

٣ ـ ويؤكد أن هذا هو الغاية: سؤال ملك الروم، إن كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد خلّف ما يتصدق به على سبطيه، فلماذا عبر بالتصدق، ولم يقل: نحله لسبطيه؟!

أم أن هذه الكلمة بدَّلها الرواة بتلك؟!

وإن كان المقصود بما يتصدق به على سبطيه هو فدك ـ كما قال العلامة المجلسي «رحمه الله» ـ ففدك قد نحلها النبي «صلى الله عليه وآله» لابنته فاطمة «عليها السلام».

السبعة التي لم تركض في رحم:

وحول السبعة التي لم تركض في رحم، وقد عددها الإمام الحسن «عليه السلام»، وذكر من جملتها إبليس، نقول:

لماذا خص إبليس بهذا الأمر دون سائر الجن؟! فإن كان هو أبو الجن،

فالسؤال هو: لماذا كان أبو الجن شيطاناً، بل أعظم الشياطين، وكان أبو الإنس من الأنبياء؟!

كما أن السؤال هو عن الدليل المثبت: أن إبليس هو أبو الجن، وأول مخلوق منهم؟!

وقد روي عن علي «عليه السلام»: أن اسم أبي الجن هو شومان[(١)].

نبذة عن صخرة بيت المقدس:

وذكرت الرواية المتقدمة أموراً عديدة كانت صخرة بيت المقدس محوراً لها.. وأكثر أو كل ما ذكر من ذلك لا يمكن قبوله، ولا الالتفات إليه، أو الاعتماد عليه..

ومن المعلوم: أن صخرة بيت المقدس لا قداسة ولا شأن لها في الإسلام، وإنما هي مقدسة عند اليهود وهي قبلتهم القديمة[(٢)].

ولذا قال عمر لكعب الأحبار ـ حين أشار عليه بجعل المحراب خلف الصخرة ـ: ضاهيت اليهودية يا كعب.

وقد عظم شأن الصخرة بين المسلمين بعد عشرات السنين من استشهاد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

---

(١) راجع: علل الشرائع ج٢ ص٥٩٣ وعيون أخبار الرضا ج١ ص٢١٩ وبحار الأنوار ج١٠ ص٧٦ وج٦٠ ص٧٨ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج٢ ص٤٨٣ ونور الثقلين (تفسير) ج٥ ص١٩٠ وكنز الدقائق (تفسير) ج١٢ ص٥٦٧ وصحيفة الرضا ص٢٨٠.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص٣٥٤ و٣٥٥.

وسبب ذلك: أن عبد الله بن الزبير استولى على الحجاز، وأعلن نفسه خليفة فيه في عهد عبد الملك بن مروان، واستمر ذلك تسع سنوات.

فكان ابن الزبير يذكر في موسم الحج لأهل الشام وغيرهم مثالب بني أميَّة، فلم يرق ذلك لبني أميَّة، فمنعوا أهل الشام من الحج إلى مكة، وأمروهم بالحج إلى بيت المقدس.. وجعلوا الصخرة عوضاً عن الكعبة، وجعلوا للناس مطافاً، ومسعى، ومنى وعرفات وغير ذلك(١).

وصار الناس يحجون إليها، واستمر ذلك أربع سنوات.. وربما أكثر من ذلك.. ثم حولوا القبلة إلى جهة الصخرة في مساجدهم، خصوصاً في العراق، وقد تفاقم هذا الاتجاه في زمن الحجاج «لعنه الله»(٢).

بل ادَّعى بعضهم: أن القبلة كانت قبل تحويلها إلى الكعبة تتجه إلى بيت المقدس(٣). ولكن لم يثبت ذلك إلا في فترة أول الهجرة إلى المدينة..

---

(١) راجع: البداية والنهاية ج٨ ص٢٨٠ و ٢٨١ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص٣٠٨ والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج١ ص١٨٨ والأنس الجليل ج١ ص٢٧٢ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٦١ ومآثر الإنافة ج١ ص١٢٩ وحياة الحيوان الكبرى ج١ ص٦٦ و (ط٢ سنة ١٤٢٤هـ ق) ج٢ ص٥٨ ووفيات الأعيان ج٣ ص٧٢ والسنة قبل التدوين ص٥٠٢ و ٥٠٦ وراجع: مجموعة الفتاوى لابن تيمية ج٢٧ ص١٢.

(٢) رسائل الجاحظ ج٢ ص١٦ وآثار الجاحظ ص٢٠٥.

(٣) الكشكول للبهائي (ط مصر) ص٩٨ وتاريخ الخميس ج١ ص٣٦٧ والسيرة الحلبية ج٢ ص١٣٠ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٣٥٥ والأنس الجليل ج١ ص١٩٣ ونهاية

وأما قبل ذلك، فقد كان النبي «صلى الله عليه وآله» يصلي إلى الكعبة باتجاه بيت المقدس.. على أن التوجه إلى بيت المقدس لا يعني التوجه إلى الصخرة في الصلاة.. كما أن جميع الأبنية والأشجار وسواها، مما يقع قِبال المصلى إلى بيت المقدس ليس من القبلة.

وبدأت الروايات المزورة في فضل الصخرة وأهميتها، وما يرتبط بها تظهر من علماء السوء، ووعاظ السلاطين، وأذنابهم..

أين هي أرواح المؤمنين ليلة الجمعة؟!:

وقد تأثرت عقائد الناس بهذه الموضوعات، وأصبحت جزءاً من ثقافتهم. وعلى هذا الأساس، ولأن المطلوب هو الجواب وفق ما هو شائع وذائع، جاء جواب الإمام «عليه السلام» على سؤال ملك الروم ليتضمن بعض هذه المقولات، فذكر: أن أرواح المؤمنين تجتمع ليلة الجمعة عند صخرة بيت المقدس، عن يمين الصخرة، وتزلف الجنة للمتقين، وتصير جهنم في يسار الصخرة في تخوم الأرضين، وفيها الفلق وسجين، فمن وجبت له الجنة دخلها ومن وجبت له النار دخلها، والصخرة هي عرش الله الأدنى.

وهو كلام مزيف ومختلق من قبل أهل الكتاب جملة وتفصيلاً..

ويكفي أن نذكر ما يلي:

الأرب ج١ ص٣٢٨ وراجع: التمهيد لابن عبد البر ج١٧ ص٥٢ وجامع البيان ج٢ ص٧ ونواسخ القرآن لابن الجوزي ص٥٠ والدر المنثور ج١ ص١٤٢ وإمتاع الأسماع ج٣ ص٨٩.

أولاً: إن الروايات المتضافرة عن أهل بيت العصمة تقول عن أبي عبد الله الصادق «عليه السلام»: إِنَّ لَنَا فِي لَيَالِي الْجُمُعَةِ لَشَأْناً مِنَ الشَّأْنِ.

قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، ومَا ذَاكَ الشَّأْنُ؟!

قَالَ: يُؤْذَنُ لأَرْوَاحِ الأَنْبِيَاءِ الْمَوْتَى «عليهم السلام»، وأَرْوَاحِ الأَوْصِيَاءِ الْمَوْتَى، ورُوحِ الْوَصِيِّ الَّذِي بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ، يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى تُوَافِيَ عَرْشَ رَبِّهَا، فَتَطُوفُ بِهِ أُسْبُوعاً، وتُصَلِّي عِنْدَ كُلِّ قَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ تُرَدُّ إِلَى الأَبْدَانِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا، فَتُصْبِحُ الأَنْبِيَاءُ والأَوْصِيَاءُ قَدْ مُلِئُوا سُرُوراً، ويُصْبِحُ الْوَصِيُّ الَّذِي بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ وقَدْ زِيدَ فِي عِلْمِه مِثْلُ جَمِّ الْغَفِيرِ[1].

ولم يرد عن أهل البيت «عليهم السلام» أي كلام عن كون الصخرة هي عرش الله، لا الأدنى ولا الأعلى.

كما أنه لم يرد: أن أرواح المؤمنين تحشر إلى الصخرة.. بل الحديث عن أرواح الأنبياء وأوصيائهم.

ثانياً: إن روايات أهل البيت «عليهم السلام» تذكر: أن أرواح الأموات

---

(١) بحار الأنوار ج١٧ ص١٥١ ـ ١٥٢ وج٢٦ ص٨٩ ـ ٩٠ وبصائر الدرجات ص١٣٢ و (ط الأعلمي) ص١٥١ والكافي ج١ ص٢٥٣ وخاتمة المستدرك ج٩ ص٢٨٧ وينابيع المعاجز ص١٦١ ـ ١٦٢ ومرآة العقول ج٣ ص١٠٤ ـ ١٠٥ وشجرة طوبى ج١ ص١٧ ونور الثقلين (تفسير) ج٣ ص٣٩٦ ـ ٣٩٧ وكنز الدقائق (تفسير) ج٨ ص٣٥٧.

تجتمع في النجف في وادي السلام[١].. لا عند الصخرة، لا عن يمينها، ولا عن شمالها.

وأرواح الكفار تكون في وادي برهوت[٢].

---

(١) بحار الأنوار ج٦ ص٢٦٨ و ٢٣٧ و ٢٤٢ وج٤١ ص٢٢٣ وج٢٧ ص٣٠٧ وج٥٨ ص٥١ وج٩٧ ص٢٣٤. وراجع: الكافي ج٣ ص٢٤٣ و ٢٤٧ وج٦ ص٢٩٠ والفصول المهمة للحر العاملي ج١ ص٣٢٩ و ٣٣٩ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٢٠٣ و ٢٢٢ وج٨ ص١٥٧ ـ ١٥٨ ومرآة العقول ج١٤ ص٢٢٠ و ٢٢٨ ومشارق أنوار اليقين ص٢٢٢ والمحتضر ص١٨ ـ ١٩ والبرهان (تفسير) ج٣ ص٧٢٣ وج٤ ص٧٧٠ ونور الثقلين (تفسير) ج٣ ص٥٦١ وكنز الدقائق (تفسير) ج٩ ص٢٢٤ ومنتقى الجمان ج١ ص٣١٣.

(٢) راجع: بحار الأنوار ج٦ ص٢٨٨ و ٢٩٠ وج٤٦ ص٢٣٤ وج٤٧ ص٨٩ وج٥٨ ص٥١ والكافي ج٣ ص٢٤٦ و ٢٤٧ والفصول المهمة للحر العاملي ج١ ص٣٣٦ و ٣٣٧ و ٣٣٩ ومرآة العقول ج١٤ ص٢٢٧ ومستدرك سفينة البحار ج١ ص٣٤٠ وفتح الباري ج٧ ص١٨٠ والمصنف للصنعاني ج٥ ص١١٦ وفيض القدير ج٣ ص٦٥٢ والبرهان (تفسير) ج٣ ص٧٢٤ وج٤ ص٧٧٠ ونور الثقلين (تفسير) ج٣ ص٥٦٠ و ٥٦٢ وج٤ ص٤٠٤ و ٥٢٣ و ٥٢٥ وكنز الدقائق (تفسير) ج٩ ص٢٢٢ و ٢٢٤ وج١١ ص١٣١ و ٣٩٢ و ٣٩٥ وتفسير مقاتل بن سليمان ج٣ ص٤٤١ و ٤٤٦ وتفسير القرآن العظيم ج١٠ ص٣٢٩٦ والجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٢٠٤ والدر المنثور ج٣ ص٢٢٢ وج٦ ص٤٣ والدرر النجفية ج٤ ص١١٤ ومنتقى الجمان ج١ ص٣١٣ ومعجم البلدان ج١ ص٤٠٥ وج٢ ص٩٢ وأخبار مكة للأزرقي ج٢ ص٥٠ والمستطرف للأبشيهي ج٢ ص٦٢٣ والنور المبين ص٢٥٨.

ثالثاً: لماذا يكون للصخرة ـ قبلة اليهود ـ كل هذا التبجيل والتعظيم، ولا يكون للكعبة هذا المقام؟!

رابعاً: لا بد من تحديد اليمين واليسار للصخرة، فإن كل نقطة حولها يكون لها يمين ويسار، فتارة تكون الجنة مثلاً لجهة الشرق والنار لجهة الغرب، وتارة يكون العكس..

والقول بأن المعيار هو جهة البناء والمداخل إلى الصخرة، والمنشآت المرتبطة بها، لا شاهد له، ولا دليل عليه، فإن هذه الأبنية وسواها إنما استحدثت بعد عشرات السنين من استشهاد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

على أن الروايات تقول: إن الجنة محيطة بالدنيا، فقد ورد:

«إن جهنم محيطة بالدنيا، وإن الجنة من ورائها، فلذلك كان الصراط على جهنم طريقاً إلى الجنة»(١).

وروي أيضاً: «الدنيا في الآخرة، والآخرة محيطة بالدنيا»(٢).

وقد دخلها النبي ليلة المعراج(٣). فأين هي من صخرة بيت المقدس؟!

خامساً: إذا كانت الجنة محيطة بالدنيا وقد دخلها النبي حين عرج به إلى

---

(١) ذكر أخبار إصبهان ج٢ ص٩٣ والتخويف من النار ص٧٢ وراجع: السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص١١٢.

(٢) بحار الأنوار ج٣٠ ص٧٢ وإرشاد القلوب ج٢ ص٣٠٩ ونفس الرحمن للطبرسي ص٥٠٤ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص٣٥٨.

(٣) بحار الأنوار ج٨ ص٢٨٦ وج١٠ ص٣.

السماء، وكانت النار في تخوم الأرض السابعة، فالجنة تكون محيطة بالنار، لأن الأرضين من الدنيا التي تحيط بها الجنة، فكيف نفسر كون العبور إلى الجنة يكون على الصراط؟!

سادساً: كيف تكون الجنة عن يمين الصخرة، والنار عن يسارها، والله تعالى يقول: ﴿**وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ**﴾(١).

الصخرة عرش الله الأدنى:

وعن كون الصخرة عرش الله الأدنى، نقول:

أولاً: لماذا تكون الصخرة قبلة اليهود عرش الله الأدنى، ولا تكون الكعبة هي ذلك العرش؟! بل لماذا لا تكون الكعبة هي الدرة من العرش؟!

ثانياً: ليس العرش أمراً حسياً، لا صخرة ولا حديدة، ولا غير ذلك، وقد بيّنت النصوص الكثيرة المراد بالعرش الذي يضاف إلى الله في القرآن الكريم، وهل المراد به عرش القدرة والملك، فراجع(٢).

ثالثاً: ما معنى أن تكون الصخرة كما تقوله هذه الرواية، وما روي عن كعب الأحبار أيضاً: هي التي «منها استوى ربنا إلى السماء والملائكة»؟! أليس هذا هو التجسيم الإلهي الباطل؟!

وهو يعني: أن يكون الله تعالى بحاجة إلى مكان، وإلى من يحمله، وأنه في جهة، وغير ذلك.

---

(١) الآية ١٣٣ من سورة آل عمران.

(٢) راجع: مستدرك سفينة البحار ج٧ ص١٥٣ ـ ١٦٣.

رابعاً: ويؤكد هذا التجسيم القبيح، قولهم: كيف يستوي ربنا (إلى السماء) من الصخرة، وقد سميت صخرة الرحمان، لأنه سبحانه وضع عليها رجله حين الإستواء[١].

وقد روي عن جابر عن الإمام الباقر «عليه السلام»، قوله: يا جابر، ما أعظم فرية أهل الشام على الله، يزعمون: أن الله تبارك وتعالى حيث صعد إلى السماء وضع قدمه على صخرة بيت المقدس[٢].

مع أن كلمة «استوى إلى الشيء» إذا تعدت بعلى كان معناها قصد إلى ذلك، وبادر إليه، وليست بمعنى ارتفع أو نحو ذلك.

بل قيل: إن كل من فرغ من عمل وعمد إلى غيره فقد استوى له وإليه[٣].

وكأنهم أرادوا إيجاد تفسير، أو تطبيق لقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[٤].

فزعموا: أنه صعد إلى السماء، ابتداءً من الصخرة.

بسط الأرض دحوها:

وقالت الرواية عن الصخرة: «منها بسط الله الأرض، وإليها يطويها».

---

(١) التوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة ص١٠٨.

(٢) بحار الأنوار ج٩٩ ص٢٧٠.

(٣) أقرب الموارد ج١ مادة: سوي.

(٤) الآية ٢٩ من سورة البقرة.

ونقول:

١ ـ إن هذا أيضاً يخالف ما روي عن أهل البيت «عليهم السلام»، من أن دحو الأرض (أي بسطها) كان من تحت الكعبة[1].

وقد روي عن الإمام الرضا «عليه السلام» أنه قال:

«وعلة وضع البيت وسط الأرض: أنه الموضع الذي من تحته دحيت الأرض»[2].. وعن علي «عليه السلام» في حديث: «ثم دحا الأرض من موضع الكعبة، وهي وسط الأرض»[3].

٢ ـ أما قوله «وإليه يطويها»، فلم يرد في روايات أهل البيت أن الأرض تطوى إلى الله تعالى، كما أن ما ورد في القرآن هو طي السماء، لا طي الأرض،

---

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) ج١٠ ص٤٤٩ و (الإسلامية) ج٧ ص٣٣١ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج٢ ص٢٤ وبحار الأنوار ج٥٤ ص٩٧ وراجع ص٢١ و ٢٩ وج٦٣ ص٤٥٤ وج٩٤ ص١٢٢ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٥٥٤ و ٥٥٦ وتفسير الميزان ج٣ ص٣٥٦.

(٢) روضة المتقين ج٤ ص٥ وبحار الأنوار ج٦ ص٩٧ وج٥٤ ص٦٤ وج٩٦ ص٥٧ وعلل الشرايع ص٢٤٠ ـ ٢٤٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٣٩٦ وعيون أخبار الرضا ج٢ ص٩٧ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج٢ ص٢١٤ ونور الثقلين (تفسير) ج١ ص٣٦٥ وتفسير كنز الدقائق ج٣ ص١٦٦.

(٣) تفسير فرات (ط سنة ١٤١٠ هـ) ص ١٨٥ وبحار الأنوار ج٤ ص٩٢ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج٣ ص١١٢.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[(١)].

وقال عز وجل: ﴿وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[(٢)].

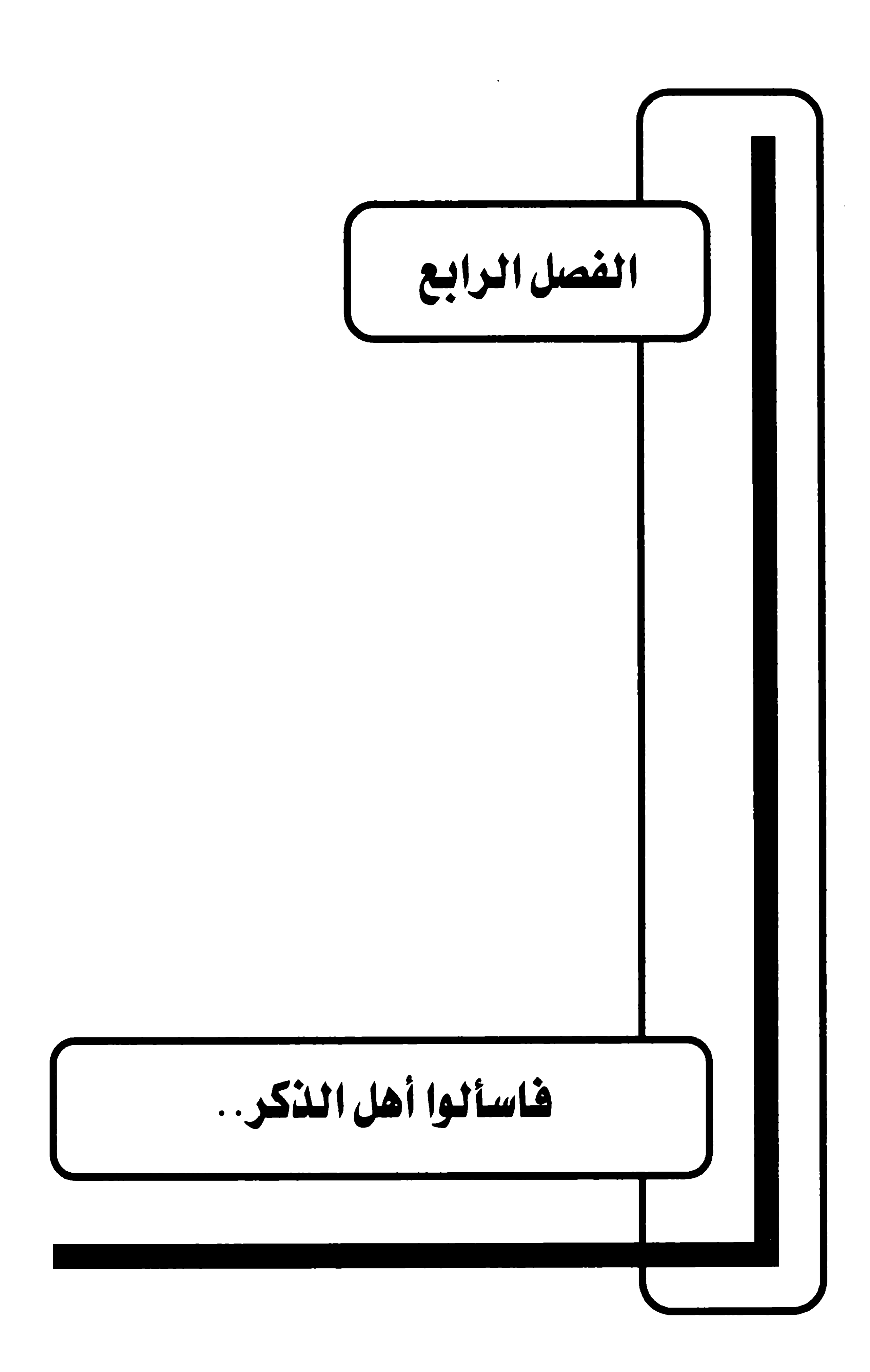
بقية الأسئلة والأجوبة:

بقي أن نشير هنا إلى أن النص الذي نقلناه عن ابن شهرآشوب، وفيه بعض الأسئلة التي أجاب عليها الإمام الحسن في مناسبات أخرى، أو أجاب «عليه السلام» بها على أسئلة أحد أهل الشام، وذكرناها بعد رواية ما جرى بين الإمام الحسن وبين ملك الروم: إن هذه الأسئلة لا تحتاج إلى أي بيان أو توضيح كما هو ظاهر.

---

(١) الآية ١٠٤ من سورة الأنبياء.

(٢) الآية ٦٧ من سورة الزمر.



الفصل الرابع

فاسألوا أهل الذكر..

بداية:

إن من أهم وظائف الأنبياء والأوصياء، والعلماء، هو إخراج الناس من ظلمات الجهل، والتخلف، والخرافة إلى نور العلم، والرقي في الوعي والإدراك، والتعامل مع الأمور بواقعية وصدق، والإشراف على صنع الشخصية الإنسانية، وضبط مسيرها إلى مصيرها السعيد والرغيد، والهني، وضبط حركة الإنسان في إعمار الكون وقيادته وفق الأهداف إلى الغايات الإلهية.

ولأجل ذلك أرسل الرسل، وجعل لهم أوصياء، وشدّ أزرهم بالمخلصين، والصادقين من العلماء، والشهداء والمؤمنين الأتقياء..

ولأجل أن العلم نور، والنور يقتحم من دون استئذان الفجوات في جميع الأرجاء، وينتشر في جميع الأنحاء.. فإن أهل الحق، والخير والصدق يسعون إلى نشر العلم في كل اتجاه، ويستقبلون الحكمة والمعرفة الصحيحة من أي جهة أتت، لأنها تنير للإنسان طريقه، وتجنّبه المزالق والأخطار، بعيداً عن التقسيمات الطبقية، أو التصنيفات العرقية، أو العنصرية، أو الفئوية، وأي لون من ألوان التمزيق والتفريق الممهد للاستئثار.

فالشخصية الإنسانية المبنية على أسس صحيحة وواقعية هي المعيار، وهي المحور للتعاملات البشرية السليمة والقويمة، التي تنمي وتقوي،

ويتكامل الوجود الإنساني معها، ويتطور في ظلها.

ولأجل ذلك رأينا حرص الإسلام الشديد، على نشر المعارف، وعلى اكتسابها، وعلى توضيح ما أبهم منها، وعلى إبعاد الشوائب التي لحقت بعض الجهات فيها بسبب قصور أو تقصير، أو بسبب سياسات شيطانية تعمدت التعمية على الحقائق لسبب أو لآخر.. وجعل ذلك تكليفاً إلزامياً لكل فرد ينسب نفسه إلى هذا الدين.

ونذكر في هذا الفصل بعض ما يرتبط بالعلم ونشره، وكيفيات التعامل معه، فنقول:

إياك أعني واسمعي يا جارة:

قالوا:

سأل الحسين «عليه السلام» أخاه عن المروءة، فقال:

«الدين، وحسن اليقين»(١).

فنلاحظ هنا:

أولاً: أن جواب الإمام الحسن «عليه السلام» قد جاء في غاية الدقة، فقد بيّن «عليه السلام»: أن الدين هو النظام الحافظ والضابط لحركة الإنسان، ويفترض أن لا يقتصر ضبطه على المجالات العملية القريبة، بل يتجاوز ذلك ليضبط فكر الإنسان، ومشاعره، وأحاسيسه، ويهيمن على كل وجوده وانفعالاته، ويطهر وجدانه، وينقي ضميره، من أية شائبة أو عائبة.

---

(١) البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ج١ ص٢٣١.

وحسن اليقين هو العنصر الآخر الذي يحتاجه الإنسان في حياته كأشد ما تكون الحاجة، فإن اليقين الذي يمثل القناعة الوجدانية والعقلية، والفكر هو الذي يمنح الإنسان السكينة والطمأنينة، والرضا، ويجعل الإنسان يتلذذ بالحق، ويسعد به، حتى لو كان في آثاره القريبة والمحسوسة مرّاً وقاسياً، فهو يسعد بالشهادة، وبقطع اليدين والرجلين، وبكل الآلام التي تفرض عليه، أشد من سعادته بكل ما في الدنيا من ملذات، ومغريات.. لأنه يشعر بالرضا الإلهي هنا، ولا يطمئن للرضا الإلهي هناك.

ويلاحظ: أنه «عليه السلام» قال: «وحسن اليقين». فأضاف كلمة «حسن» إلى اليقين.

ويبدو لنا: أن المراد بحسن اليقين هو اليقين الذي يأتي من خلال الدليل القاطع، والبرهان الساطع، والتلمس الحسي، والفطري، والوجداني لمكوناته، ومحفزاته، لا اليقين الآتي من التلقين الببغائي، والمأخوذ على سبيل التقليد الغبي، الذي يقوم على الاستسلام للغير بلا مبرر معقول أو مقبول، ولا اليقين القائم على الاستهانة بقيمته الإنسانية، وقدراته وملكاته.

إن يقيناً كهذا، وهو يقين الغفلة والسذاجة كان ولا يزال هو الباب الذي ينفذ منه أصحاب الأطماع، وشياطين الإنس والجن إلى عقول الناس لإفسادها بالشبهات والضلالات المحمية بالأهواء الرعناء، والأطماع الكاذبة، والعصبيات الجاهلة.

ثانياً: لا يتوهم أحد أن الإمام الحسين «عليه السلام» كان لا يعرف معنى المروءة.. كما لا يجوز أن يتوهم أحد: أن يكون هدفه من سؤاله هذا

هو اختبار أخيه، للوقوف على مدى ما لديه من علوم.. فهو أعرف الناس بأخيه، وبعلومه الغزيرة، ومعارفه الكثيرة، وهو يراه إماماً له تجب عليه طاعته، وهو من أشد الناس تعظيماً له، وبراً به.

وقد تقدمت عدة نصوص تدل على ذلك.

فلا محيص عن اعتبار هذا السؤال، قد جاء تطبيقاً للقاعدة التي تقول: «إياك أعني، واسمعي يا جارة».

أي أنه أراد أن يسمع الآخرين هذا الجواب، وأن يحركهم لاغتنام الفرصة، وسؤال أئمتهم عن كل ما أهمهم.

أي الوضوءين أحسن؟!:

عن الروياني: أن الحسن والحسين مرّا على شيخ يتوضّأ ولا يحسن، فأخذا بالتنازع، يقول كل واحد منهما: أَنْتَ لا تُحْسِنُ الْوُضُوءَ.

فقالا: أَيُّهَا الشَّيْخُ! كُنْ حَكَماً بَيْنَنَا.. يَتَوَضَّأُ كُلُّ واحِد مِنّا سَوِيَّةً، [فتوضئا]، ثمّ قالا: أَيُّنا يُحْسِنُ؟!

قال: كلاكما تحسنان الوضوء، ولكن هذا الشيخ الجاهل هو الذي لم يكن يحسن، وقد تعلّم الآن منكما، وتاب على يديكما، ببركتكما، وشفقتكما على أمة جدكما(١).

---

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص٣١٩ عن عيون المحاسن ص٨٩ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٤٠٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٤٠٠ والعوالم ج١٦ ص١٠٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٦٤.

ونقول:

١ ـ رأينا: أن الإمامين الحسنين «عليهما السلام» لم يواجها ذلك الشيخ بحقيقة أنه لا يحسن الوضوء، بل استدرجاه ليكتشف هو بنفسه خطأه هذا، بعد إجراء مقارنة بين ما كان هو يفعله حين يتوضأ، وبين ما رآه من وضوء الحسنين «عليهما السلام» أمامه.

٢ ـ إنهما «عليهما السلام» قد صرفا النظر عن التوصيف القولي لوضوء ذلك الشيخ الذي سيظهر خطأه، إلى التجسيد الحسي والعملي لما هو صحيح، لأن التوصيف القولي قد يثقل على النفس لشيخ مسن فيما ألفه واعتاد عليه، فقد يدعوه ذلك لأن يتخذ منه موقفاً رافضاً وعدائياً قبل أن ينتهي الناطق به من كلامه..

٣ ـ وتتأكد الرغبة بالرفض، إذا جاءت هذه التخطئة ممن هو أصغر منه سناً، أو من لا يرى له ذلك الشيخ أي امتياز عليه، بل قد يدفعه ذلك لأن يستدرج لنفسه ميزات وحالات، ويمنحها مقامات تصل بها إلى درجة الحصانة، أو العصمة عن أي خطأ أو قصور أو تقصير في أي مجال كان..

ولذا نجد بعض الناس لا يرتاح حتى للنصيحة التي يسديها له أبوه وأمه، مع أنهما أقرب الناس إليه، وأعزهم عليه.

٤ ـ وحين طلب الحسنان من ذلك الشيخ أن يكون حكماً بينهما، فإنهما يكونان قد أرضيا روحه بذلك، لأن ذلك يشعره بالتميز عنهما.. وأن له عليهما درجة من حيث اعترافهما له بقدرته على التمييز في أمر دقيق يحتاج إلى تأمل، ومقارنة بين خصوصياته وحالاته..

كما أنهما يكونان قد أوحيا إليه بعجزهما عن نيل هذا الأمر الذي يطلبان حكمه فيه.

٥ ـ إن هذا الشيخ قد أدرك خطأه دون أن يشعر أن ثمة من يخطِّئه لكي يحط من مقامه، ولو بنسبة الجهل أو القصور أو التقصير إليه.

٦ ـ إنه أدرك أنه كان مقصراً في حق نفسه، إذ كان عليه أن يراجع حساباته قبل ذلك بزمان، ورأى أن ذلك يمكن أن يدخل في دائرة التقصير، ويجعله في معرض المؤاخذة.. فوجد نفسه بحاجة إلى التوبة.

٧ ـ إنه شعر أن وجود الحسنين «عليهما السلام» وجود مبارك وميمون، وأن منشأ هذه البركة واليمن هو مشاعرهما النبيلة، وخلقهما الكريم، ورغبتهما في إصلاح حال عباد الله، ولو كلفهما ذلك ابتكار وسائل تحفظ للناس مقاماتهم، وتحافظ على مشاعرهم..

الإعتكاف وقضاء حاجات الناس:

عن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله «عليه السلام» في حديث قال: إن رجلاً أتى الحسن بن علي «عليهما السلام»، فقال: بأبي أنت وأمي، أعنِّي على قضاء حاجة.

فانتعل، وقام معه، فمر على الحسين «صلوات الله عليه» وهو قائم يصلي، فقال له: أين كنت عن أبي عبد الله، تستعينه على حاجتك؟!

قال: قد فعلت. فذكر أنه معتكف.

فقال له: أما إنه لو أعانك كان خيراً له من اعتكافه شهراً(١).

---

(١) الكافي ج٢ ص١٩٨ بسند قوي، والوافي ج٥ ص٦٦٧ و ٦٦٨ ومصادقة الإخوان

وفي نص آخر: كان خيراً له من اعتكاف ثلاثين سنة(١).

قال المولى المجلسي «رحمه الله»: خبر صفوان يدل على جواز الخروج عن المسجد، بل استحبابه، لقضاء حاجة المؤمن. انتهى(٢).

ونقول:

١ ـ إن قول الإمام الحسن «عليه السلام» لطالب الحاجة: «أين كنت عن أبي عبد الله، تستعينه على حاجتك»؟! يشير إلى أمرين:

أولهما: أنه «عليه السلام» ذكر أخاه بكنيته ليدل على توقيره واحترامه له.

الثاني: أن الإمام الحسين هو ممن تطلب منه الحاجات، ولا يتوانى عن السعي في قضائها، وهي سجية وفضيلة فيه تستحق الإشادة والتنويه بها.

٢ ـ هنا سؤال يحتاج إلى جواب، وهو: أنه قد يظهر للبعض: أن الإمام الحسن «عليه السلام» قد خطَّأ أخاه في عدم سعيه في حاجة ذلك الرجل، في حكمه «عليه السلام» بأن الاعتكاف لا يمنع من السعي في قضاء حاجات المؤمنين.. فهل كان الإمام الحسين «عليه السلام» يجهل ذلك؟!

وهنا سؤال آخر يقول: هل لم يكن قد بلغ الحسين «عليه السلام» هذا

ص٧٠ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ هامش ص١٩٠ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٦ ص٣٧٠ و (الإسلامية) ج١١ ص٥٨٦ وبحار الأنوار ج٧١ ص٣٣٥ ومرآة العقول ج٩ ص١١٥ و ١١٦ وتحفة السنية (مخطوط) ص٣٣٠.

(١) أعلام الدين ص٤٤٢ و ٤٤٣ وبحار الأنوار ج٩٤ ص١٢٩ عنه، ومستدرك الوسائل ج٧ ص٥٦٥ وراجع: مستدرك سفينة البحار ج٢ ص٤٥٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه ج٢ هامش ص١٩٠.

الأمر التوقيفي، وهو: أن إعانة المؤمن خير من اعتكافه شهراً أو ثلاثين سنة؟!

وسؤال **ثالث**: عن هذا التفاوت في المقدار بين شهر، وبين ثلاثين سنة؟!

وسؤال **رابع وأخير يقول**: هل يمكن أن نفترض أن الحسين كان عالماً بما ذكره أخوه، ولكنه زهد بهذا الثواب الجزيل، واكتفى بثواب الاعتكاف؟!

وهل يصح أن ينسب هذا إلى إمام معصوم، يفترض أنه يتصدى لأفضل الأعمال، رغبة في ثوابها؟!

ونجيب:

أولاً: إن الإمام الحسن «عليه السلام» سأل ذلك الرجل، إن كان قد طلب معونة الإمام الحسين «عليه السلام» له.

فقال: «قد فعلت».

وهذه الكلمة لا تدل على أنه قد شافه الإمام الحسين «عليه السلام» وطلب منه المعونة.. فلعله سأل عنه بعض مواليه أو أرحامه، أو بعض من رأى الإمام معتكفاً في المسجد، أو الذين يتصلون به، فقالوا له: إن الإمام معتكف.

ثانياً: إن قول صاحب الحاجة: «فذكر أنه معتكف» قد تكون كلمة «ذُكِرَ» مبنية للمجهول. أي أن الذين سألهم عن الإمام ذكروا له أنه معتكف. فانصرف عن الطلب منه ظناً منه أن اعتكاف الإمام يمنع من السعي في حاجته.

ثالثاً: وبناءً على أن كلمة «ذكر» مبنية للمجهول، يكون قول الإمام الحسن أخيراً: «أما إنه لو أعانك كان خيراً له من اعتكافه شهراً أو ثلاثين

سنة» قضية مشروطة، بشرط مقدر. أي أنه لو علم بحاجاتك وأعانك، لكان خيراً من اعتكافه شهراً، أو ثلاثين سنة.

ومع وجود احتمالين في كلمة «ذكر» لا يبقى مجال للأخذ بالاحتمال الآخر، إلا إذا وجد له مرجح، فكيف إذا وجد ما يبعده، فإنه إذا كانت كلمة «ذكر» مبنية للمعلوم، فإن كلام الإمام الحسن «عليه السلام» يصير تخطئة للحسين، مع أن الحسين «عليه السلام» إمام مطهر، معصوم، لا يمكن نسبة الخطأ إليه في شيء.

وهذا يعني: أنه «عليه السلام» لم يخطِّئ أخاه في هذا الأمر، لاسيما إذا فرض أن أحداً لم يفاتح الإمام الحسين «عليه السلام» بهذا الأمر، وأن الكلام جارٍ على نحو القضية المشروطة.

رابعاً: إن الإعتذار بالاعتكاف حتى لو صدر من الإمام الحسين «عليه السلام» نفسه، فهو لا يعني: أنه لا يوجد لديه عذر آخر لم ير مصلحة في الإفصاح عنه، ويمنعه ـ ولو آنياً ـ من القيام بهذه المهمة.

ولعل كلام الإمام الحسن «عليه السلام» عن مقدار أفضلية السعي في حاجات المؤمنين، قد جاء ليتمم الاعتذار بالاعتكاف، فكأنه أراد أن يقول: إن الإمام الحسين «عليه السلام» كان يعلم بهذه الأفضلية، ولكنه كان غير قادر على الاستجابة، لأن ثمة ما يمنعه ذلك بالرغم من رغبته به.

فلعل هذا المانع للإمام الحسين «عليه السلام» هو: أنه يريد التأكيد على عظمة الإعتكاف، ومدى أهميته، ولزوم مراعاته، والالتزام بأحكامه، تماماً كما تزوج النبي بزينب بنت جحش، لإبطال الفهم الجاهلي: بأن التبني يمنع من

ذلك. والأمر هناك كذلك.. فإن أفضلية السعي في الحاجات، لا تعني الالتزام بها إلى حدّ تضييع تشريع الاعتكاف، وإبطاله عملياً، فداءً لقضاء حاجات الناس، بل لا بد من حفظ هذا التشريع، الذي هو الاعتكاف أيضاً، وحفظ خصوصية السعي في الحاجات، ولو باعتماد وسائل تحفظهما معاً، ولو بأن يتولى المعتكف نفسه قضاء الحاجات من خلال تعليمات وتوجيهات يصدرها البعض من خلال وكلائه، أو من ينطق باسمه..

أو بأية وسيلة أخرى تحفظ الأمرين معاً، كما قلنا.

وقد ظهر بما ذكرناه: أن الإمام الحسين «عليه السلام» لم يكن يجهل ما علّمه إياه أخوه، كما أنه لم يزهد في الثواب الجزيل الذي قرره الله تعالى فيه.

خامساً: بالنسبة للتفاوت في مقدار الثواب على السعي ما بين شهر، وثلاثين سنة نقول:

لعل سبب ذلك: التفاوت في مدى الخلوص في النوايا من شوائب الأنا، وطهارة النفوس والقلوب والمشاعر من الخطرات التي قد تحط من قيمة العمل، من خلال حالة التبجح، والتظاهر بالاعتزاز به، ومن خلال النظرة لمن احتاج إلى هذا السعي، وما إلى ذلك..

أضف إلى ذلك: أن الحاجات تختلف وتتفاوت في كثير من خصوصياتها، ومن حيث صعوبة إنجازها، أو سهولته، وما يرتبط بهذا الإنجاز من مخاطر، وما يحتاج إليه من تضحيات..

الرجوع إلى أهل الخبرة:

ومما يدخل في سياق التعليم والإرشاد ما رواه الكليني «رحمه الله»،

بسنده عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال:

«خَرَجَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ «عليه السلام» إِلَى مَكَّةَ سَنَةً مَاشِياً فَوَرِمَتْ قَدَمَاه، فَقَالَ لَه بَعْضُ مَوَالِيه: لَوْ رَكِبْتَ لَسَكَنَ عَنْكَ هَذَا الْوَرَمُ.

فَقَالَ: كَلَّا، إِذَا أَتَيْنَا هَذَا الْمَنْزِلَ فَإِنَّه يَسْتَقْبِلُكَ أَسْوَدُ، ومَعَه دُهْنٌ فَاشْتَرِ مِنْه، ولَا تُمَاكِسْه.

فَقَالَ لَه مَوْلَاه: بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي مَا قَدِمْنَا مَنْزِلاً فِيه أَحَدٌ يَبِيعُ هَذَا الدَّوَاءَ.

فَقَالَ لَه: بَلَى، إِنَّه أَمَامَكَ دُونَ الْمَنْزِلِ.

فَسَارَا مِيلاً، فَإِذَا هُوَ بِالأَسْوَدِ، فَقَالَ الْحَسَنُ «عليه السلام» لِمَوْلَاه: دُونَكَ الرَّجُلَ فَخُذْ مِنْه الدُّهْنَ، وأَعْطِه الثَّمَنَ.

فَقَالَ الأَسْوَدُ: يَا غُلَامُ لِمَنْ أَرَدْتَ هَذَا الدُّهْنَ.

فَقَالَ: لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ.

فَقَالَ: انْطَلِقْ بِي إِلَيْه.

فَانْطَلَقَ فَأَدْخَلَه إِلَيْه، فَقَالَ لَه: بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي، لَمْ أَعْلَمْ أَنَّكَ تَحْتَاجُ إِلَى هَذَا، أو تَرَى ذَلِكَ، ولَسْتُ آخُذُ لَه ثَمَناً، إِنَّمَا أَنَا مَوْلَاكَ، ولَكِنِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَرْزُقَنِي ذَكَراً سَوِيّاً، يُحِبُّكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ، فَإِنِّي خَلَّفْتُ أَهْلِي تَمْخَضُ.

فَقَالَ «عليه السلام»: انْطَلِقْ إِلَى مَنْزِلِكَ، فَقَدْ وَهَبَ اللهُ لَكَ ذَكَراً سَوِيّاً، وهُوَ مِنْ شِيعَتِنَا»[1].

---

(١) الكافي ج١ ص٤٦٣ ودلائل الإمامة ص١٧٢ و ١٧٣ وإثبات الوصية ص١٣٥ والثاقب في المناقب ص٣١٤ والخرائج والجرائح ج١ ص٢٣٩ وحلية الأبرار ج١

ونقول:

ضعف احتمال التصحيف:

بعض المصادر ذكرت هذه القصة على أنها حصلت مع الإمام الحسين «عليه السلام» لا مع الإمام الحسن «عليه السلام» واستظهر العلامة المجلسي «رحمه الله» أن تكون كلمة الحسين مصحّفة عن كلمة الحسن بسبب تقارب الكلمتين في الرسم..

واحتمال أن تكون القضية قد حصلت لهما معاً، واتفاق القصتين من جميع الوجوه لا يخلو من بعد[1].

ولعل سبب ترجحيه هذا: هو ورود الرواية في الكافي على أنها للحسن «عليه السلام»، والكافي لم يزل مورد اهتمام العلماء قراءة على المشايخ وضبطاً، وتدقيقاً في النسخ، ورصداً لموارد التصحيف، فاحتمال التصحيف فيه أضعف من احتماله في سائر المصادر.

الإخبار عن أمر غائب:

وأول ما يواجهنا في هذا النص: أنه تضمن إخباره «عليه السلام» بمكان وجود ذلك الرجل وأنه سيكون معه دواء أعده للبيع.. وأن هذا الدواء يرتبط بما يعانيه «عليه السلام» من أورام في القدمين.

ص٥٢١ والهداية الكبرى ص١٩٤ وكشف الغمة ج٢ ص٣٦٩ و ٣٧٠ وعيون المعجزات ص٦٥ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص١٠.

(١) راجع: بحار الأنوار ج٤٤ ص١٨٦.

وحين قيل له «عليه السلام»: إنه لا يوجد في ذلك الموضع منزل يباع فيه هذا الدواء.. ذكر لهم «عليه السلام»: أنه ليس في نفس المنزل، بل هو أقرب منه..

ثم وجدوا صحة جميع ما أخبر به «عليه السلام». وهذا من دلائل إمامته «عليه السلام»، فإن الإخبار بالغائبات لا يكون إلا من نبي، أو من وصي نبي.

لم يوظف علمه بالغيب في أموره الشخصية:

١ ـ وقد رأينا: أنه «عليه السلام» يخبر بوجود الدواء وصاحبه في مكان بعينه.. وهو إخبار عن أمر غائب، وأنه دواء لخصوص هذه الحالة، ويشفي منها، ثم هو يعلم بولادة زوجة ذلك الرجل الأسود، وبأن مولودها ذكر، وأنه سيكون من شيعتهم، ومحبيهم.. فقد يقال: إنه إذا كان يعلم بهذه التفاصيل والدقائق، فلماذا لا يسألونه عن حقيقة هذا الدواء؟! أو لماذا لا يبادر هو لاستحضاره والاستفادة منه؟!

ويجاب:

بأن هذا العلم الخاص إنما منحه الله إياه ليكون في خدمة مقام الإمامة، من حيث هو وسيلة هداية إليها، وسبب إظهار لمعناها، والدلالة عليها. وعلم كهذا لا يستعمله الإمام في حاجاته الشخصية.

٢ ـ إنه «عليه السلام» حين أمر مولاه أن لا يماكس صاحب الدواء في ثمن الدواء، يكون قد أخبر ضمناً عن ذلك الرجل بأنه صادق ومنصف في تقديره للثمن، وأنه لا إجحاف ولا شطط فيه.

وأن على الناس أن لا يقتروا عليه فيما يستحقه، وأن لا يستغلوا سماحة نفسه، وكرم أخلاقه.. فإن ذلك قد يضرّ به، ويدفعه إلى العدول عن صناعة الدواء، والبحث عن باب رزق آخر..

وهذا قد يدخل مضرة على الناس، ومنهم الأخيار والأبرار من عباد الله الذين يمشون إلى بيت الله طلباً للأجر والثواب، وإظهاراً للطاعة والعبودية، وإعزازاً لبيت الله سبحانه.. وقد يصيب هذا الورم الكثيرين منهم، ويوقعهم في الحرج..

٣ ـ قد يتساءل البعض، عن أنه «عليه السلام» إن كان لا يريد أن يستفيد من علم الإمامة في مصالحه الشخصية، فإنه يمكنه أن يحل مشكلته بالدعاء المستجاب الذي حصل له نتيجة إخلاصه، وجهده وعبادته، وطاعته لله، وفنائه في حبه، ألم يكن الشفاء بالدعاء أيسر عليه من طلب الدواء؟! والدعاء ليس وسيلة خاصة بمقام الإمامة، بل وسيلة لكل الناس..

ونجيب مرة أخرى:

بأن الأنبياء والأوصياء لا يميّزون أنفسهم عن سائر الناس، لاسيما وأن استجابة الدعاء ليست أمراً شخصياً خالصاً.. بل هو في كون حتمية الإستجابة له من مظاهر استحقاق مقام الإمامة أيضاً، ومن دلائل هذا المقام، لأنها لا تختلف ولا تتخلف، وبذلك لم تعد مجرد كرامة يظهرها الله لبعض عباده أحياناً، ويحجبها عنه أحياناً أخرى..

فإذا تبين لنا هذا الفرق، علمنا: أن استجابة دعاء الإمام والنبي تصبح شأناً عاماً يخدم مقام النبوة والإمامة، ويسهم في هداية الناس إليه، والدلالة

عليه، وليس مجرد كرامة تظهر ميزة شخصية لمن تظهر له وينتهي دورها عند هذا الحد.

وعلى هذا نقول:

إذا كان الناس يلجأون إلى الطبيب عندما يمرضون، فمن الطبيعي أن يلجأ النبي والإمام إليه في هذه الحالة أيضاً.

وقد روي عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أنّ نبيّاً من الأنبياء مرض، فقال: لا أتداوى حتّى يكون الَّذي أمرضني هو الَّذي يشفيني.

فأوحى اللهُ إليه: لا أشفيك حتّى تتداوى، فإنّ الشّفاء منّي[1].

فما يروج له بعض الناس، من أن الرجوع إلى الأطباء ينافي التوكل والاعتماد على الله سبحانه غير صحيح.

إن للماء سكاناً:

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: دخل الحسن بن علي «عليهما السلام» الفرات في بردة كانت عليه، قال: فقلت له: لو نزعت ثوبك!!

---

(١) هداية الأمة للحر العاملي ج١ ص٢٢٤ وتحفة السنية ص٣٤٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢ ص٤١٠ و (الإسلامية) ج٢ ص٦٣٠ ومستدرك الوسائل ج٢ ص١٥٤ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص٣٦٢ والفصول المهمة للحر العاملي ج٣ ص٢٧ وبحار الأنوار ج٥٩ ص٦٦ وج٧٨ ص٢١٢ وراجع: قوت القلوب ج٢ ص٣٥ وجامع السعادات ج٣ ص١٨٣ والمحجة البيضاء ج٧ ص٤٣٢ وإحياء علوم الدين ج١٤ ص٢٤ وفيض القدير ج٣ ص٣١٤.

فقال لي: يا أبا عبد الرحمن[١]، إن للماء سكاناً[٢]. كسكان الأرض.

وهناك العديد من الروايات التي تدل على أن في المياه والأنهار، والهواء سكاناً، وأهلاً من الملائكة[٣].

غير أن ما نريد الإلماح إليه: هو أن وجود السكان في الماء هو الذي منع الإمام من التعري حين دخل الفرات، مما يعني: أن نفس العري هو الذي يوجب لأولئك السكان حرجاً، أو أذى، ولو من جهة عدم احترامهم، ومراعاة مشاعرهم.. أو أنه ينبغي أن يتشدد في ستر نفسه عن سائر المخلوقات، أو لغير ذلك من أسباب.

وتتأكد هذه المعاني بملاحظة تصريح الروايات: بأن من بين سكان الماء ملائكة مكرمين، ومتميزين عن سائر السكان بالصلاح، والخيرية، وما إلى ذلك..

التعليم بالمعجزة:

عن أبي عبد الله «عليه السلام»، قال: خرج الحسن بن علي «عليه السلام» في بعض عُمَره (جمع عمرة)، ومَعَه رَجُلٌ مِنْ وُلْدِ الزُّبَيْرِ كَانَ يَقُولُ بِإِمَامَتِه فَنَزَلُوا فِي مَنْهَلٍ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاهِلِ تَحْتَ نَخْلٍ يَابِسٍ، قَدْ يَبِسَ مِنَ الْعَطَشِ، فَفُرِشَ

---

(١) لعل كلمة «أبا» مقحمة.

(٢) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج٢ ص١٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ١٨١ ومستدرك الوسائل ج١ ص٣٨٠ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣٤٠.

(٣) بحار الأنوار ج٥٦ ص٢١٨ و ٢٣٩ وج٧٣ ص٦٩ و ٨٠ و ٣٣٧ وج٧٤ ص٥٠.

لِلْحَسَنِ «عليه السلام» تَحْتَ نَخْلَةٍ، وفُرِشَ لِلزُّبَيْرِيِّ بِحِذَاه تَحْتَ نَخْلَةٍ أُخْرَى.

قَالَ: فَقَالَ الزُّبَيْرِيُّ ورَفَعَ رَأْسَه: لَوْ كَانَ فِي هَذَا النَّخْلِ رُطَبٌ لأَكَلْنَا مِنْه.

فَقَالَ لَه الْحَسَنُ: وإِنَّكَ لَتَشْتَهِي الرُّطَبَ؟!

فَقَالَ الزُّبَيْرِيُّ: نَعَمْ.

قَالَ: فَرَفَعَ يَدَه إِلَى السَّمَاءِ، فَدَعَا بِكَلَامٍ لَمْ أَفْهَمْه، فَاخْضَرَّتِ النَّخْلَةُ، ثُمَّ صَارَتْ إِلَى حَالِهَا فَأَوْرَقَتْ وحَمَلَتْ رُطَباً.

فَقَالَ: الْجَمَّالُ الَّذِي اكْتَرَوْا مِنْه: سِحْرٌ واللهِ.

قَالَ: فَقَالَ الْحَسَنُ «عليه السلام»: وَيْلَكَ، لَيْسَ بِسِحْرٍ، ولَكِنْ دَعْوَةُ ابْنِ نَبِيٍّ مُسْتَجَابَةٌ.

قَالَ: فَصَعِدُوا إِلَى النَّخْلَةِ، فَصَرَمُوا مَا كَانَ فِيه، فَكَفَاهُمْ[1].

الزبيريون والإمامة:

لقد لفت نظرنا في هذا النص: أن يكون زبيري معتقداً بإمامة الإمام الحسن «عليه السلام»، مع أن الزبير قد حارب أمير المؤمنين «عليه السلام»، وحارب أبناءه الحسن والحسين، ومحمداً في حرب الجمل المشهورة، التي قتل فيها الزبير وطلحة، وجماعات كبيرة أخرى تعدّ بالمئات أو الألوف..

(١) الكافي ج١ ص٤٦٢ وكشف الغمة للأربلي ج٢ ص٣٧٠ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٧٤ وعيون المعجزات ص٦٥ ومدينة المعاجز ج٣ ص٢٥٢ ومرآة العقول ج٥ ص٣٥٥.

وكان عبد الله بن الزبير من قادة هذه الحرب أيضاً، وكان بغضه الشديد لعلي أمير المؤمنين «عليه السلام» معروفاً ومشهوراً.

وكذلك الحال بالنسبة لأخيه عروة، المتأثر بخالته عائشة، التي حاربت أيضاً أمير المؤمنين «عليه السلام»، وهي صاحبة أو راكبة الجمل الأدبب، التي تنبحها كلاب الحوأب، كما أخبر به رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فمن الأمور اللافتة: أن نجد رجلاً من ولد الزبير يقول بإمامة الإمام الحسن، ولم يمض على قتل الزبير، وحرب الجمل سوى سنوات يسيرة، فقد كانت هذه الحرب سنة ٣٥ أو ٣٦، وكان استشهاد الإمام الحسن «عليه السلام» في سنة ٤٩ هجرية، فلو أن هذه القصة قد حدثت في آخر سنة من عمره الشريف.. أي في سنة تسع وأربعين، فإن هذه المدة الفاصلة بينهما لا توجب التيام الجروح، ولا تزيل حمّى الرغبة في الانتقام، ولاسيما عند العرب في تلك الأيام.

الحج والعمرة في حياة الإمام الحسن:

وقد ذكروا: أن الإمام الحسن «عليه السلام» حج خمساً وعشرين حجة ماشياً[1].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٤٢ و ٢٣٤ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص١٤٢ و ١٤٣ ومستدرك الوسائل ج٨ ص٣٠ وشرح الأخبار ج٣ ص٥٣٦ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٨٠ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣٣٩ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص١٨٨ والوافي بالوفيات ج١٢ ص٦٨

وقيل: عشرين مرة(١).

ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص١٨٨ وج٩ ص٣٩٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٣٣١ وعمدة القاري ج٩ ص١٣٠ والمعجم الكبير ج٣ ص١١٥ وأحكام القرآن للجصاص ج٣ ص٣٠٣ وزاد المسير ج٥ ص٢٩٠ وأضواء البيان ج٤ ص٣٠٢ وطبقات المحدثين بأصبهان ج١ ص١٩٢ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٦٠ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص٤١ وحياة الحيوان الكبرى ج٢ ص٤٦١ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٠٨ وشذرات الذهب ج١ ص٥٦ وكشف الغمة ج٢ ص١٧٣ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج٢ ص٢٠٦ وينابيع المودة ج٢ ص٤٢٤ وصلح الحسن لآل ياسين ص٢٧ والمستدرك للحاكم ج٣ ص١٦٩.

(١) تاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٤٢ و ٢٤٤ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص١٤١ وقرب الإسناد ص١٧٠ والكافي ج١ ص٤٦١ والأمالي للصدوق ص٢٩١ وعلل الشرائع ج٢ ص٤٤٧ وعيون أخبار الرضا ج١ ص٢٧١ والإستبصار ج٢ ص١٤١ و ١٤٢ وتهذيب الأحكام ج٥ ص١١ وروضة الواعظين ص٤٥١ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٩ ص٤٨٠ وج١١ ص٧٨ و ٨٣ و ٨٤ و ١٣١ وج٦ ص٣٣٦ وج٨ ص٥٥ و ٥٨ و ٩٣ ومستدرك الوسائل ج٧ ص٢٦٠ والزهد لابن سعيد الكوفي ص٧٩ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص٣١٦ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٨٠ وبحار الأنوار ج٦ ص١٦٠ وج٤٣ ص٣٣٢ و ٣٣٩ وج٧٩ ص١٧٥ وج٩٦ ص١٠٣ ومرآة العقول ج٥ ص٣٥٣ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج١ ص١٤٤ وج٢ ص٤٩٠ ونظم درر السمطين ص١٩٦ ومنتقى الجمان ج٣ ص٨٨ والأعلام للزركلي ج٢ ص١٩٩ وذكر أخبار إصبهان ج١ ص٤٤ وكشف الغمة ج٢ ص١٨٩ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٦٨ وينابيع المودة ج٢ ص٢١٠ و ٤٢٤ وذخائر العقبى ص١٣٧ ومناقب آل أبي طالب (ط

وقيل: خمس عشرة مرة(١).

كما أنه «عليه السلام» كانت له عُمرَ كثيرة، كما دلت عليه هذه الرواية، حيث قالت: «فنزلوا منهلاً في بعض عمرهِ».

والمنهل: هو عين ماء تردها الأبل في المراعي، وتسمى المنازل للمسافرين في المفاوز، مناهل لوجود الماء فيها.

سحر والله!!:

وقد لفت نظرنا: أن الإمام الحسن «عليه السلام» بمجرد أن عرف أن ذلك الزبيري يشتهي الرطب، بادر إلى تهيئته بطريقة إعجازية، مع أنه لم يظهر: أن هذه المبادرة كانت ضرورية لأجل حفظ حياة ذلك الرجل، إذ لا

المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٨٠

(١) تاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٤٣ وتهذيب الكمال ج٦ ص٢٣٣ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص١٤٢ ونظم درر السمطين ص١٩٦ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٦٨ وينابيع المودة ج٢ ص٢١١ وذخائر العقبى ص١٣٧ ومستدرك الوسائل ج٨ ص٢٩ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣٤٧ و ٣٥٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص١٠ وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص٧٩ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٦٧ وأنساب الأشراف ج٣ ص٩ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٢٦ والمنتظم لابن الجوزي ج٥ ص١٦٤ و ٢٢٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص٣٧ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٣٦١ والدر النظيم ص٤٩٢ وكشف الغمة ج٢ ص١٧٨ والعدد القوية ص٢٩ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٧٠٥ وترجمة الإمام الحسن من طبقات ابن سعد ص٦٧ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٨٠ والمستدرك للحاكم ج٣ ص١٦٩

شيء يدل على أن ذلك الركب كان ينقصه طعام..

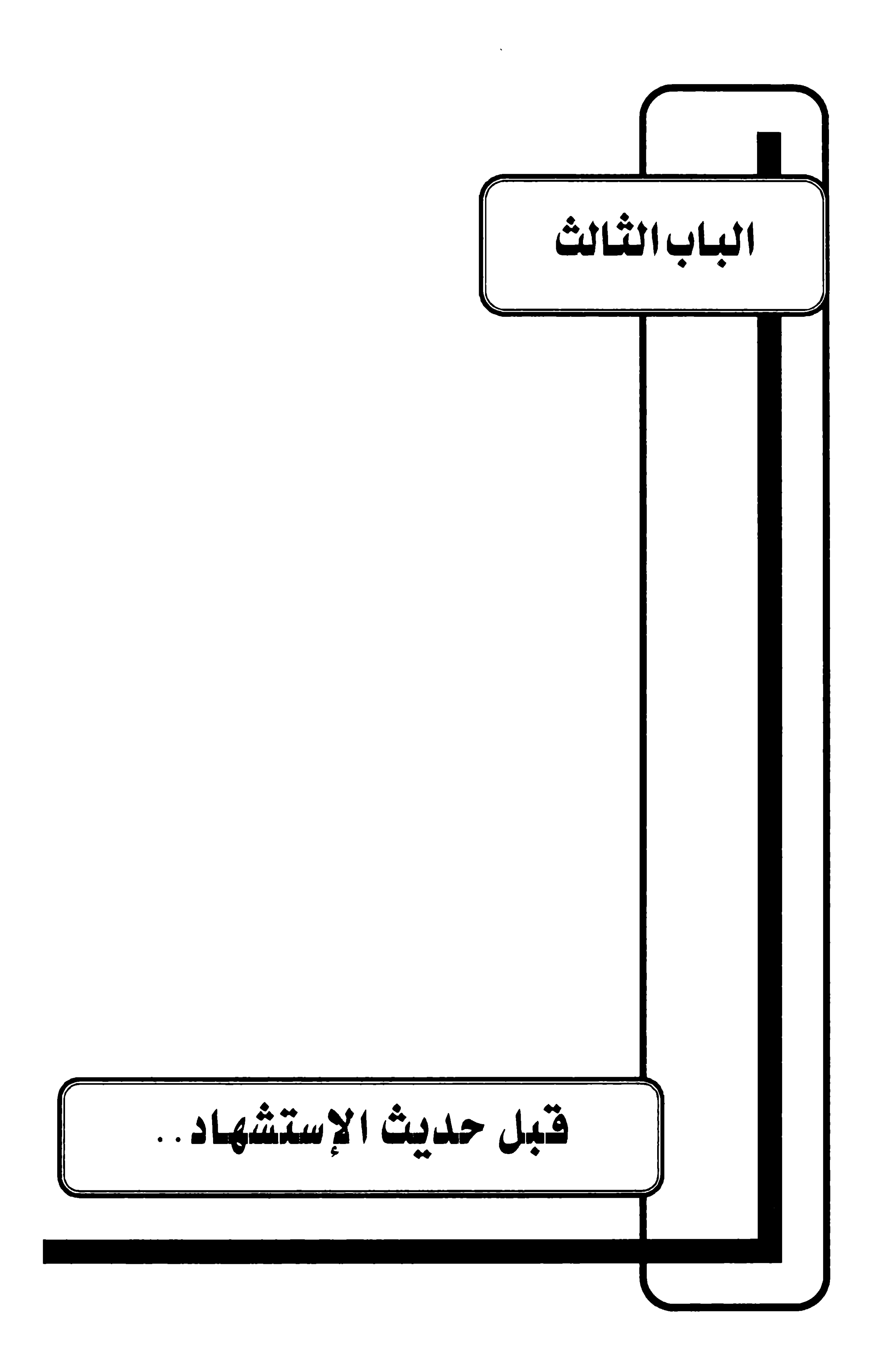
فهذه المبادرة تدلنا على أن المقصود هو تقوية إيمان، وتوسعة نظر ذلك الزبيري إلى مقام الإمامة، كما أن ذلك مما يحتاجه سائر الذين كانوا معه «عليه السلام» في ذلك السفر.

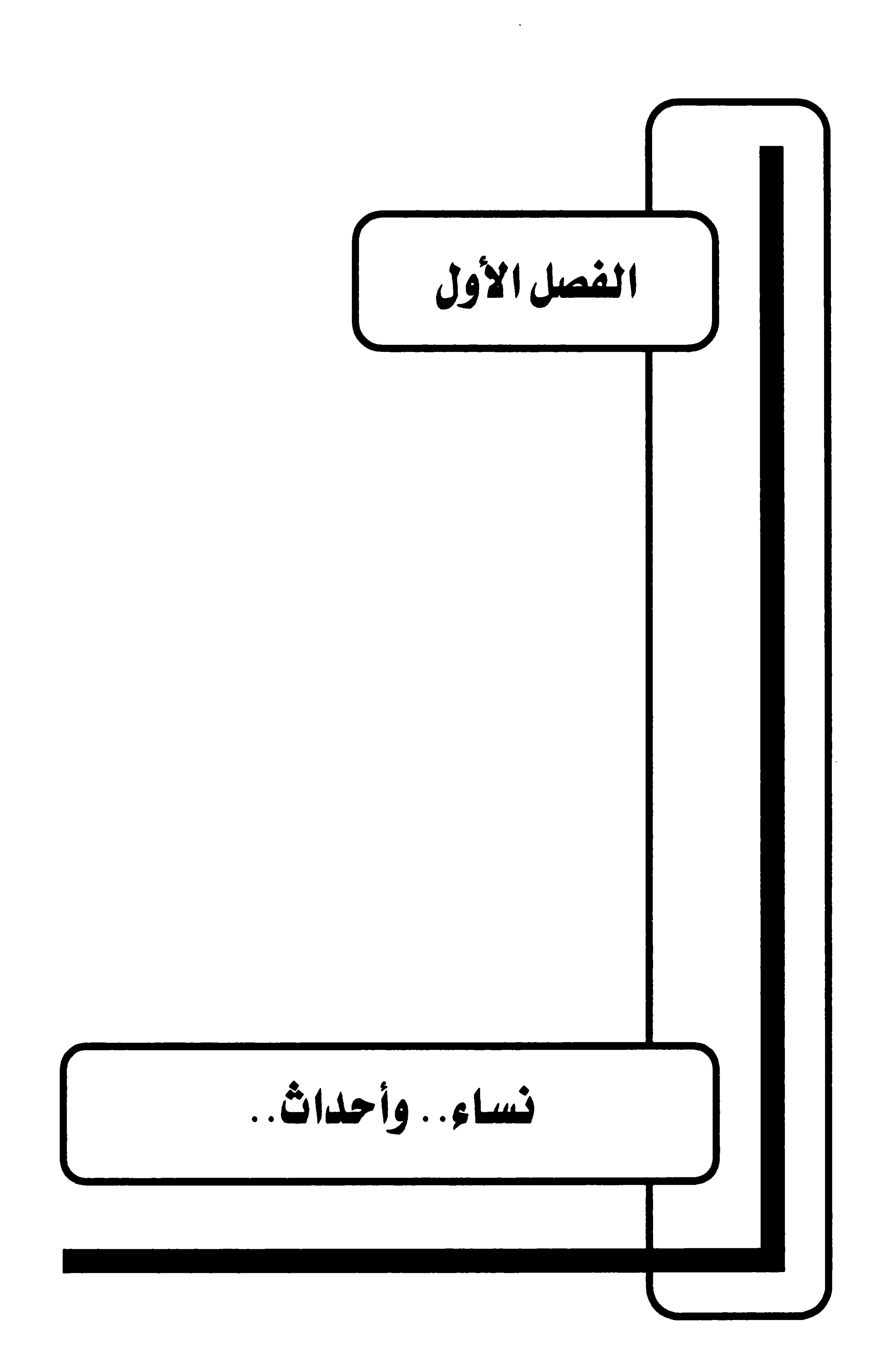
وقد ظهر من ردة فعل الرجل الذي اكتروا منه جماله: أنه «عليه السلام» كان يريد أن يستفز المشككين بإمامتهم، والمرتابين بالمزايا التي منحهم الله إياها، لتأييد وتأكيد، وحيوية معنى الإمامة فيهم عليهم ـ يستفزهم ـ ليعلنوا عن حقيقة نظرتهم لهذا الأمر، وليظهر لكل أحد: أنهم يصدون الناس عن التفاعل والتعامل معه بالطريقة التي يستحقها.

فقول ذلك المكاري: سحر والله، قد أفسح المجال أمام الإمام الحسن «عليه السلام» ليضع الإصبع على الجرح، ويعالجه بما يستحقه، فقال «عليه السلام»: «ويلك ليس بسحر، ولكن دعوة ابن نبي مستجابة».

ثم قدم له الدليل الحسي على أنه ليس بسحر، حيث أوضح: أن السحر لا واقع ولا حقيقة له.. وهذا الذي جرى ليس كذلك، بدليل: أن ذلك الركب صعدوا إلى النخلة التي كانت يابسة فصرموا.. أي قطعوا عناقيد الرطب التي ظهرت فيها، واستفادوا مما حصلوا عليه، وأكلوه، فكفاهم ـ كما صرحت الرواية، وهذا يثبت أن هذا الرطب لا يختلف عن غيره مما يقع تحت أيديهم.




الباب الثالث
قبل حديث الإستشهاد..



الفصل الأول

نساء.. وأحداث..



الحسنان في خطبة لبنى:

قال أبو الفرج الأصفهاني: «..ذكر القحذميّ، وابن عائشة، وخالد بن جمل: أن ابن أبي عتيق صار إلى الحسن والحسين ابني عليّ بن أبي طالب، وعبد الله بن جعفر «رضي الله عنهم»، وجماعة من قريش، فقال لهم: إن لي حاجة إلى رجل أخشى أن يردّني فيها، وإني أستعين بجاهكم وأموالكم فيها عليه.

قالوا: ذلك لك مبتذل منّا.

فاجتمعوا ليوم وعدهم فيه، فمضى بهم إلى زوج لبنى. فلمّا رآهم أعظم مصيرهم إليه وأكبره.

فقالوا: لقد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عتيق.

قال: هي مقضيّة كائنة ما كانت.

قال ابن أبي عتيق: قد قضيتها كائنة ما كانت، من ملك، أو مال، أو أهل؟!

قال: نعم.

قال: تهب لهم ولي لبنى زوجتك وتطلّقها.

قال: فإني أشهدكم أنها طالق ثلاثا.

فاستحيا القوم، واعتذروا، وقالوا: والله ما عرفنا حاجته، ولو علمنا أنها هذه ما سألناك إيّاها.

وقال ابن عائشة: فعوّضه الحسن من ذلك مائة ألف درهم، وحملها ابن أبي عتيق إليه. فلم تزل عنده حتى انقضت عدّتها. فسأل القوم أباها فزوّجها قيساً، فلم تزل معه حتى ماتا إلخ..»[1].

ونقول:

إن هذه الرواية ذكرت: أن الحسن والحسين «عليهما السلام» معاً قد شاركا في خطبة لبنى..

لكن هناك رواية أخرى اقتصرت على ذكر الحسين «عليه السلام»، مع وجود بعض الاختلاف بين الروايتين، ولا نريد أن ندخل في تفاصيل ذلك.

غير أن هذه الرواية لا يمكن قبول بعض ما ورد فيها، وهي كما يلي:

١ ـ ذكرت الرواية: أن الحسن والحسين «عليهما السلام»، وابن جعفر، وابن أبي عتيق كانوا سبباً في طلاق لبنى من زوجها، ليتزوجها قيس بن ذريح.

وهذا موضع ريب، فقد قال أبو الفرج: «قد اختلف في آخر أمر قيس

---

(١) راجع: المستجاد من فعلات الأجواد للتنوخي ص٢٣٧ والتذكرة الحمدونية ج٤ ص٣٧١ والأغاني (ط سنة ١٤٠٧ هـ. ق) ج٩ ص٢٥٢ و ٢٥٣ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٩ ص١٥٠ والفرج بعد الشدة ج٢ ص٤٢٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٤٧٣.

ولبنى؛ فذكر أكثر الرّواة أنهما ماتا على افتراقهما، فمنهم من قال: إنه مات، قبلها، فبلغها ذلك، فماتت أسفاً عليه.

ومنهم من قال: بل ماتت قبله، ومات بعدها أسفاً عليها»(١).

ثانياً: إن هذه الرواية تظهر: أن لدى الحسنين «عليهما السلام» سذاجة وغفلة غير متوقعة، فإن أحداً من الناس إذا طلب منه السعي في حاجة، فإنه سيسأل عنها طالبها، فإذا عرفها ووجد أن لديه القدرة على إنجازها بادر إلى ذلك، وإن وجد أنه لا يستطيع تحقيقها له أوضح له عذره.

وأما أن يقودهم شخص كابن أبي عتيق، المعروف بالمجون، والمزاح، والألاعيب إلى حيث يشاء، فذلك لا يرضاه، ولا يقدم عليه عاقل.

ثالثاً: ذكرت الرواية: أن زوج لبنى قد أوقع طلاق لبنى بصيغة: أنت طالق ثلاثاً.. وهو الطلاق الذي أمضاه عمر، ولم يأخذ به أهل البيت وشيعتهم.

يضاف إلى ذلك: أن لبنى كانت تعيش مع زوجها هذا، ولم يعلم إن كان قد أوقع طلاقها في طهر لم يواقعها فيه أو لا.

بدوية تراود الحسن عن نفسه:

وذكروا: أن امرأة جميلة دخلت على الإمام الحسن «عليه السلام»، وهو في صلاته، فأوجز في صلاته، ثم قال لها: ألك حاجة؟!

قالت: نعم.

---

(١) الأغاني ج٩ ص٢٥١ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٩ ص١٤٩.

قال: وما هي؟!

قالت: قم فأصب مني، فإني وفدت ولا بعل لي.

قال: إليك عني لا تحرقيني بالنار ونفسك.

فجعلت تراوده عن نفسه وهو يبكي، ويقول: ويحك إليك عني، واشتد بكاؤه، فلما رأت ذلك بكت لبكائه.

فدخل الحسين «عليه السلام» ورآهما يبكيان، فجلس يبكي، وجعل أصحابه يأتون، ويجلسون ويبكون، حتى كثر البكاء، وعلت الأصوات.

فخرجت الأعرابية، وقام القوم وترحلوا، ولبث الحسين «عليه السلام» بعد ذلك دهراً لا يسأل أخاه عن ذلك إجلالاً له.

فبينما الحسن ذات ليلة نائماً، إذ استيقظ وهو يبكي، فقال له الحسين «عليه السلام»: ما شأنك؟!

قال: رؤيا رأيتها الليلة.

قال: وما هي؟!

قال: لا تخبر أحداً ما دمت حياً.

قال: نعم.

قال: رأيت يوسف، فجئت أنظر إليه فيمن نظر، فلما رأيت حسنه بكيت، فنظر إلي في الناس.

فقال: ما يبكيك يا أخي، بأبي أنت وأمي؟!

فقلت: ذكرت يوسف وامرأة العزيز، وما ابتليْتَ به من أمرها، وما

لقيْتَ من السجن، وحرقة الشيخ يعقوب، فبكيت لأجل ذلك، وكنت أتعجب منه.

فقال يوسف: فهلا تعجبت مما فيه المرأة البدوية بالأبواء[١].

ونقول:

إننا نسجل هنا الأمور التالية:

١ ـ لا مجال للبحث السندي في هذه الرواية، لعدم توفر سند لها بين أيدينا.. فينحصر البحث فيها في خصوص المضمون، والنظر في المضمون لا يخوِّل الباحث الحكم عليها بأنها مكذوبة، فإن كثيراً من النصوص التي لم توفق لسند معتبر قد تكون صحيحة المضمون، أو هي على الأقل لا تتضمن محذوراً يدعو إلى الشك فيه، أو ردِّه بصورة جازمة وحازمة.

٢ ـ إن من الأمور النادرة، والمثيرة للعجب: أن نجد امرأة بدوية تخرج عن طورها، وتهاجم رجلاً في بيته، وتطلب منه أن يواقعها..

وما أشبه هذه القصة بقصة امرأة العزيز التي راودت يوسف عن نفسه، فرفض إجابة طلبها، فابتلي بالسجن، وأوذي في الله، وقد ذكر الله تعالى ما جرى ليوسف «عليه السلام» في سورة كاملة في القرآن الكريم، هي سورة يوسف.

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص١٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٨٠ و ١٨١ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣٤٠ والعوالم ج١٦ ص١٣١ وفي المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٧ ص٨٥ و ٨٦: أن المرأة جاءت العطاء بن يسار.

٣ ـ إن هذا التوافق بين ما جرى ليوسف «عليه السلام» وما جرى للإمام الحسن «عليه الصلاة والسلام» يؤكد مضمون الحديث الشريف الذي يقول: «لتركبن سنن من كان قبلكم، حذو القذة بالقذة، ومطابق النعل بالنعل، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتم فيه»[1]. أو نحو ذلك.

وكما كان يوسف «عليه السلام» نبياً، فإن الإمام الحسن «عليه السلام» وصي نبي، وهو أفضل من يوسف..

٤ ـ وقد لاحظنا مدى الفظاظة في اقتحام هذه المرأة البدوية التي كانت من منطقة الأبواء، وطريقتها الآمرة، المفعمة بالشدة والحتم، والجزم والإصرار

---

(١) راجع المصادر التالية: مسند أحمد (ط دار صادر) ج٢ ص٣٢٥ و ٥١١ وج٣ ص٨٤ و ٨٩ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١٣٢٢ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٤ ص١٤٤ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٧ ص١٧٠ وج١٥ ص٢٣٥ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٨ ص٥٧ و (ط دار الكتب العلمية) ج١٦ ص١٨٩ وصحيح ابن حبان (ط دار الفكر) ج٦ ص١٩٢ و (ط مؤسسة الرسالة) ج١٥ ص٩٥ والمستدرك للحاكم ج٤ ص٤٥٥ ومجمع الزوائد ج٧ ص٢٦١ والدرر لابن عبد البر ص٢٢٥ والجامع الصغير ج٢ ص٤٠١ وكنز العمال ج١١ ص١٣٤ والدر المنثور (ط دار الفكر) ج٧ ص٤٦٦ وجامع البيان (ط المعرفة) ج١٠ ص١٢١ والجامع لأحكام القرآن (ط دار الكتب العلمية) ج٨ ص٢٠٠ وتفسير القرآن العظيم (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص١٥٢ وجامع المسانيد والمراسيل (ط دار الفكر) ج٦ ص٢٣ وج٨ ص١٧٩ واللؤلؤ والمرجان (ط دار الفكر) ج١ ص٨٢٧ والفتح الكبير (ط دار الفكر) ج٣ ص٨ و ٣٣٤ والمصنف للصنعاني (ط دار الفكر) ج١١ ص٣٦٩.

الأكيد، وهو ما نجده أيضاً في طريقة امرأة العزيز حين راودت يوسف عن نفسه..

ولعل هذا الإصرار من هذه وتلك سببه الجهل، وعدم التفاعل، والخضوع لمعاني الحياء، والعفة، والطهارة، والشهامة، والشرف، وما إلى ذلك..

وفقد كثير من نساء ذلك الزمان للتربية الإيمانية، والروحية، ونقص معرفتهن بالأمور الاعتقادية، والحشر والنشر، والحساب، والثواب، والعقاب الإلهي.. بالإضافة إلى درجة من السذاجة والبساطة، وما إلى ذلك.. إن ذلك قد يسهل على المراقب الأريب فهم تصرف هذه المرأة غير المألوف.

٥ ـ لعل هذه المرأة قد تفاجأت أو صدمت، وهي ترى رجلاً يضبط نفسه عن الإنزلاق والاستسلام إلى دواعي الشهوة، ويعتصم بعفته، وشهامته، ويستجيب للدواعي الإيمانية والاعتقادية، حتى إنه يعتبر ما تدعوه إليه من أسباب بؤسه، وشقائه، حيث سيبوء بغضب الله تعالى، وهذا ما يدعوه إلى الخوف، والبكاء الشديد، وصار يدفعها عن نفسه ويتحين الفرص، ليجد المخارج من هذا البلاء.

٦ ـ واللافت: أن هذه البدوية حين رأت تماديه «عليه السلام» في البكاء الشديد بكت هي الأخرى لبكائه.. ربما لأنها شعرت، ولو بنحو غامض ومبهم: أن القضية أكبر وأخطر مما تظن.

ولو أنه «عليه السلام» واجهها بالعنف والطرد، فلربما اعتبرت نفسها مظلومة ومحرومة، ويحق لها أن تبادله العنف بالعنف، والطرد بالصراخ، ورفع الصوت.. وتتحول رقة القلب، وشفافية الروح إلى قسوة، وخشونة،

ويتبلور لديها حب الانتقام ممن ترى أنه يقسو عليها، ولا يفكر بمشكلتها، ولا يحل معضلتها.

فينقلب مشهد الندم والتوبة والهداية منها ولها إلى مشهد إصرار على معصية الله، وتمرد، ومكابرة، وافتراء، تماماً كما فعلت امرأة العزيز مع يوسف حيث ادعت أن يوسف هو الذي راودها عن نفسها.

٧ ـ وحين جاء الإمام الحسين «عليه السلام»، ووجد أن الجو جو إيمان وخوف من الله، وبكاء شديد، فإن مشاعر التقوى استحضرت لديه ما يتناسب مع هذا الجو الروحي الرضي والندي. ولم ير حاجة للاستفسار من أخيه عن سبب ذلك، لأن هذا هو ما يتوقعه من بيتٍ عامرٍ بالإيمان والعبادة، والتقوى، والخشوع، والخوف من الله تعالى.

٨ ـ ويبدو: أن البدوية أدركت أن بقاءها قد يسبب لها مشكلة، إذا حاول بعض الحاضرين أن يعرف حالها، وسبب حضورها بينهم، فآثرت الانصراف.

٩ ـ تقول الرواية: إن الإمام الحسن «عليه السلام» استيقظ وهو يبكي، لأجل يوسف، وما جرى له مع امرأة العزيز، فدلنا بذلك على مشروعية البكاء، وعلى أن إظهار التألم لما يجري على أولياء الله وأنبيائه، وأوصيائهم أمر محبوب ومطلوب لله تعالى..

فلا معنى للاعتراض على بكائنا وتألمنا لما جرى على الزهراء فور وفاة أبيها، وعلى الحسين، وعلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وعلى سائر الأئمة الطاهرين، وعلى يوسف، وأيوب، ويونس «عليهم جميعاً أفضل الصلاة السلام».

ولعل تواصل بكاء الإمام الحسن «عليه السلام» من المنام إلى اليقظة لأجل يوسف دليل على ما نقول.

١٠ ـ بقيت إشارة سريعة إلى حزازة تظهر في قول الإمام الحسن «عليه السلام» في آخر الرواية، في جواب سؤال يوسف «عليه السلام» إياه عن سبب بكائه: «فقلت: ذكرت يوسف وامرأة العزيز، وما ابتليت به من أمرها، وما لقيت من السجن».. فإنه في أول كلامه ذكر يوسف باسمه الصريح. وهذا يعني: أن يوسف غائب عن مجلس الخطاب، ثم تابع كلامه على نحو الخطاب ليوسف الحاضر.

وربما كان هذا الاختلال من الرواة والناقلين.

الحسنان لا يزوجان سعيد بن العاص:

هنا روايتان تتحدثان عن أن الحسن والحسين «عليهما السلام» معاً قد رفضا، أو الحسين فقط رفض تزويج أخته أم كلثوم من سعيد بن العاص، بعد تأيمها من عمر..

والروايتان هما:

١ ـ عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم، قال: خطب سعيد بن العاص أم كلثوم بنت علي بعد عمر.. وبعث إليها بمائة ألف، فدخل عليها الحسين، فشاورته، فقال: لا تزوجيه.

فأرسلت إلى الحسن، فقال: أنا أزوجه.

فاستعدوا لذلك، وحضر الحسن، وأتاهم سعيد ومن معه.

فقال سعيد: أين أبو عبد الله؟!

قال الحسن: أكفيك دونه.

قال: فلعل أبا عبد الله كره هذا يا أبا محمد.

قال: قد كان. وأكفيك.

قال: إذن لا أدخل في شيء يكرهه، ورجع ولم يعرض في المال، ولم يأخذ منه شيئاً[1].

٢ - روى ابن عساكر بسنده: أن سعيد بن العاص خطب أم كلثوم بنت علي «عليه السلام»، فأنعمت له.

فبلغ ذلك إخوتها فكرهوه، وثقل عليهم، وكلموها كلاماً شديداً، وقد كانت وعدت سعيداً موعداً، فدعت ابنها زيد بن عمر بن الخطاب، وهو يومئذ غلام صغير، وبسطت دارها، ووضعت فيها سريراً، ثم قالت: إذا جاء سعيد بن العاص فزوجنيه.

وقد كان سعيد وعد ناساً، وأرسل إليهم ليحضروا تزويجه، فحضروه في المسجد، فلما اجتمعوا إليه قال: إني دعوتكم لأمر بدا لي غيره، إني كنت خطبت أم كلثوم فأنعمت، والله ما كنت لأدخل على ابني فاطمة بأمر يكرهانه.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ج٢١ ص١٣٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص٢٢٧ وراجع: سير أعلام النبلاء ج٣ ص٤٤٦ و٤٤٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٥ ص٣١ و ٣٥ والتذكرة الحمدونية ج٢ ص٤٢ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٤١ ومختصر تاريخ دمشق ج٩ ص٣١٣.

ثم التفت إلى كعب مولاه، فقال: انظر إلى المائتي ألف درهم التي هيأت لابنة علي، اذهب بها إليها، وقل لها: يقول لك ابن عمك: إنّا كنا هيأنا لك هذه، فاقبضيها صلة منا لك(١).

ونقول:

الحسنان لا يختلفان في الرأي:

ذكرت الرواية الأولى: أن الذي كان لا يرغب بسعيد بن العاص زوجاً لأخته هو الحسين «عليه السلام»، وأما الحسن «عليه السلام»، فكان موافقاً على ذلك، وقد تكفّل لسعيد بن العاص بإتمام هذا الأمر، فلم يوافق سعيد على ذلك.

وقد يقال: ألا يحتمل أن يكون الحسين «عليه السلام» قد اختار سياسة التشدد، واختار الإمام الحسن «عليه السلام» سياسة الرفق، لأنه الإمام الفعلي، وسياسة كل منهما تهدف إلى الوصول إلى هذه النتيجة؟!

فنتج عن ذلك: انصراف سعيد بن العاص عن هذا الزواج، لأنه خاف أن تجرّ عليه مخالفة الإمام الحسين «عليه السلام» أموراً صعبة، لم تكن في الحسبان.

ويجاب:

بأن هذا قد يتمخض عنه محذور، لا يصح إفساح المجال له، وهو: أنه إن

---

(١) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج٢١ ص١٣٠ و ١٣١ ومختصر تاريخ مدينة دمشق ج٩ ص٣١٣.

كان زواج هذه المرأة بهذا الرجل مرضياً عند الله، فلا معنى لإظهار الإمام الحسين الرفض، والتسبب بمنع حصوله..

وإن كان غير مرضي عند الله، فلا معنى لإظهار الإمام الحسن «عليه السلام» الرضا به، وتسهيل حصوله..

سعيد بن العاص عدو لأهل البيت:

إن سعيد بن العاص عدو لأهل البيت «عليهم السلام»، وشيعتهم ومحبيهم.

ويكفي أن نذكر:

١ ـ أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد دعا على سعيد حين صلى عليه[١].

٢ ـ وقد منع سعيد بن العاص أمير المؤمنين حقه في الفيء، حتى شكاه «عليه السلام»[٢].

٣ ـ أنه هدم دار علي، والحسن، وعقيل، ودار الرباب، أم سكينة بنت

(١) مسند زيد بن علي، شرح ص١٧٢ وشرح الأزهار ج١ ص٤٣١ وذكرى الشيعة في أحكام الشريعة للشهيد الأول ج١ ص٤٣٨ و ٤٣٩ والإحكام ليحيى بن الحسين ج١ ص١٥٤ ومفتاح الكرامة ج٤ شرح ص١٧٨ عن ابن عقيل. وراجع: مجمع الفائدة والبرهان، كتاب الصلاة، في الصلاة على الأموات ج٢ ص٤٣٣.

(٢) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج١ ص١٢٦ الخطبة رقم٧٧ وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٢ ص٢١٢ وبحار الأنوار ج٣١ ص٤٦٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٦ ص١٧٤ ونثر الدر للآبي ج١ ص٣٠٥ والنهاية في غريب الحديث والأثر ج٣ ص٤٨٠ واختيار مصباح السالكين لابن ميثم ص١٨٤.

الحسين، حين كان والياً من قبل يزيد[١].

٤ ـ وحين كان والياً على الكوفة كتب إلى عثمان يشتكي مالكاً الأشتر وأصحابه، الذين وصفهم بالقراء، ثم وصفهم بالسفهاء[٢].

ونلاحظ: أن النص المتقدم برقم [٣] الذي يقول: إن سعيداً هدم دار علي والحسن، وعقيل، ودار الرباب بأمر من يزيد، يدل على أن سعيداً لم يمت في عهد معاوية لكي يصلي عليه الحسين «عليه السلام»، ويلعنه في صلاته، كما في النص رقم [١].

مع أن هذا هو الصحيح، فإن سعيداً مات في زمان معاوية، كما دلت عليه النصوص[٣].. إما في سنة سبع، أو ثمان، أو تسع وخمسين[٤].

وهذا يشير إلى أن الذي تولى هدم دار علي، والحسن، وعقيل، يمكن أن يكون هو سعيد، وأن الذي هدم دار الرباب من قبل يزيد هو ولده عمرو بن سعيد المعروف بالأشدق، الذي كان عاملاً ليزيد، وقتله عبد الملك ذبحاً بيده[٥].

---

(١) شرح الأخبار ج٣ ص٢٦٩ وراجع مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٥٣.

(٢) أنساب الأشراف ج٥ ص٣٩ و (ط جمعية المستشرقين الألمانية ـ بيروت سنة ١٤٠٠هـ ق) ج٥ ص٥٢٩ والفتوح لابن أعثم ج٢ ص٣٨٥ والغدير ج٩ ص٣١ وراجع: الأغاني ج١٢ ص٣٦٧.

(٣) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج٢٣ ص٩٥ و١٠٠ و١٠١.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ج٢٣ ص١٠١ و١٠٢ وتاريخ خليفة بن خياط ص٢٢٦.

(٥) قاموس الرجال ترجمة عمرو بن سعيد الأشدق، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٩

ونضيف إلى مخازي سعيد: أنه كان جاهلاً بالأحكام، إلى حد أنه لم يكن يعرف عدد التكبيرات في صلاتي عيدي الفطر والأضحى، ولا عدد التكبيرات في صلاة الجنازة[1].

ولم يكن يعرف أن صلاتي الظهر والعصر إخفاتيتان، فجهر بهما، وتعمد إتمامهما على هذا الحال[2].

يضاف إلى ذلك: أنه معروف بالقسوة، والغدر، والدموية، وقد صالح أهل حصن من حصون فارس على أن لا يقتل منهم رجلاً واحداً، فقتلهم إلا رجلاً واحداً[3].

ص١١٩ وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص٢٨٩ ومعجم الشعراء للمرزباني ص٣١ وسير أعلام النبلاء ج٥ ص٢٠٠ وشذرات الذهب ج١ ص٧٧ والعبر في خبر من غبر للذهبي ج١ ص٧٨ ومرآة الجنان ج١ ص١١٦.

(١) راجع: المجموع للنووي ج٥ ص٢٠ والجوهر النقي للمارديني ج٣ ص٢٨٩ وبداية المجتهد ج١ ص١٧٣ و ١٧٤ وتلخيص الحبير ج٥ ص٤٧ وسنن أبي داود ج١ ص٢٥٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٢٨٩ و ٢٩٠ وتحفة الأحوذي ج٣ ص٧١ وتنقيح التحقيق للذهبي ج١ ص٢٨٨ ونصب الراية ج٢ ص٢٥٧ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج١ ص٢٢٠.

(٢) راجع: المصنف لابن أبي شيبة ج١ ص٣٩٨ و ٣٩٩ والمحلى لابن حزم ج٤ ص١٠٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٣٤٨ و ٣٤٩.

(٣) راجع: نهاية الأرب ج٦ ص١٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٣ ص٨٨ وتاريخ خليفة بن خياط ص١٦٣.

وهو أيضاً صاحب المقالة المعروفة: «السواد بستان لقريش»[1]. فاعترض عليه الأشتر «رضوان الله تعالى عليه»..

وهو المعروف بالحمق أيضاً، حتى عند النساء، فقد خطب عائشة بنت عثمان بن عفان، فرفضته، وقالت: هو أحمق، لا أتزوجه أبداً.

فقيل لها: ولم ذاك؟!

قالت: له برذونان أشهبان، فهو يحتمل مؤونة اثنين، وهما عند الناس واحد.

أو قالت: فهو يتحمل مؤونة اثنين، واللون واحد[2].

فهل يصح أن يقال: إن عائشة بنت عثمان ترفض الزواج من هذا الرجل،

---

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٣٦٥ والصراط المستقيم ج٣ ص٣٠ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٥٨٠ والغدير ج٩ ص٣١ و ٣٢ ومواقف الشيعة ج٢ ص٢٢٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢ ص١٢٩ وج٣ ص٢١ وأعيان الشيعة ج٣ ص٤٤٣ وحياة الإمام الحسين «عليه السلام» للقرشي ج١ ص٣٤٢ وج٢ ص٢٧٩ والشافي في الإمامة ج٤ ص٢٥٦ وتقريب المعارف ص٢٢٩ ونهج الحق ص٢٩١ والفتوح لابن أعثم ج٢ ص١٧١ وأنساب الأشراف ج٥ ص٤٠ ـ ٤٢ والإستيعاب، ترجمة سعيد بن العاص، والكامل في التاريخ ج٣ ص١٣٩ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص١٤٠ وتاريخ الكوفة للبراقي ص٣٠٥ وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٥ ص٣٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٢١ ص١١٤ و ١١٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٤٣١ ومروج الذهب ج٢ ص٣٣٦.

(٢) راجع: بلاغات النساء لطيفور ص١٤٦ وعيون الأخبار لابن قتيبة ج٢ ص٥١ والتذكرة الحمدونية ج٣ ص٢٥٦.

وتعتبره من الحمقى، وبنت علي، وأخت سيدي شباب أهل الجنة تُغضب أخويها بسبب إصرارها على الزواج منه.. بالإضافة إلى أنه عدو كاشح، ناصب العداء لهم، ثم تبادر هي لتهيئة مقدمات الزواج، وتطلب من ابنها الصغير أن يتولى تزويجها، ولا تهتم برضى ولا بسخط سيدي شباب أهل الجنة!! ثم هي تواجه الخيبة المرة حين يتخلى هو عنها، ويرفض الزواج منها، كما زعموا؟!

تناقضات في مهر أم كلثوم:

١ ـ تصرح الرواية الثانية: بأن سعيداً لم يكن قد حمل مالاً إلى أم كلثوم، ليكون مهراً لها..

بل هي تدَّعي: أنه قد هيّأ لها مالاً، ثم لما عدل عن الزواج أمر مولاه كعباً بأن يحمل ذلك المال إليها، ويعطيها إياه على أنه صلة، وليس مهراً.

ولكن رواية ابن حزم تصرح: بأنه كان قد بعث إليها بمئة ألف، ثم رجع، ولم يأخذ المال.

ولم تذكر الرواية، إن كان كعب قد حمل إليها مالاً، أم أن الأمر انتهى عند هذا الحد، وهو مجرد إصدار الأمر من دون تنفيذ؟!

كما أنها لم تذكر أنه لو كان قد حمل المال إليها، هل قبلته منه، أو ردته؟! أو ماذا، أو كيف، كانت ردة الفعل لديها؟!

٢ ـ والأهم من هذا أو ذاك: أن مقدار هذا المال بقي مجهولاً، هل هو مئة ألف، أو مئتا ألف؟!

من يتولى التزويج؟!:

أولاً: إن رواية ابن حزم تقول: إن الإمام الحسن «عليه السلام» هو الذي تبرع لأخته بأن يتولى تزويجها من سعيد..

لكن الرواية الثانية تقول: إنها قد ولّت ابنها ـ الطفل الصغير ـ زيد بن عمر بن الخطاب أمر تزويجها.. فأيهما هو الصحيح؟!

ثانياً: إن الرواية تصرح: بأن زيد بن عمر كان آنئذ طفلاً صغيراً، فهل عدلت عن أخيها أقدس وأعظم الناس قدراً، وسيد شباب أهل الجنة إلى طفل صغير؟!

وهل يليق بشأنها وشأن أهلها: أن يتولى طفل صغير تزويجها بمحضر من أعيان القوم، وكبارهم.. خصوصاً، إذا لاحظوا غيبة أفضل الناس، وأعظمهم شأناً عن هذا الزواج؟! أعني الإمام الحسين.

ثالثاً: والأهم من ذلك: أن وصف زيد بأنه صغير يشير إلى أن عمره عشر سنوات مثلاً، أو اثنتا عشر سنة على أبعد تقدير، وهذا يعني: أن جده علياً «عليه السلام» كان على قيد الحياة، ولعل ما جرى كان لا يزال قبل توليه «عليه السلام» الخلافة..

فكيف يدَّعى: أن هذه القصة جرت بحضور خصوص الحسن والحسين «عليهما السلام»، ولم تشر إلى أبيهما بشيء، لا من قريب، ولا من بعيد؟!

رابعاً: ذكرنا في كتابنا: «ظلامة أم كلثوم»: أن ثمة شكوكاً كبيرة في أمر زيد بن عمر!! وفي أنه هل كان لعمر من أم كلثوم ولد اسمه زيد، أم أن أم

زيد هي امرأة أخرى!! كما في بعض النصوص المعتمدة؟!

وهل مات زيد الذي ولدته أم كلثوم ـ وهو صغير ـ أو أنه عاش حتى صار رجلاً؟! وهل كان له عقب، أم لا عقب له؟!

وهل مات عمر عنها قبل بلوغها ولم تلد له؟!

وهل قتل قبل دخوله بها أو بعده؟!

إلى غير ذلك من الأقوال التي تثير الريب الشديد والأكيد في مثل هذا الأمر.

من الذي صلى على أم كلثوم؟!:

[روى] الجمهور عن عمار بن أبي عمار قال: شهدت جنازة أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب «عليه السلام» وابنها زيد بن عمر، فوضع الغلام بين يدي الإمام، والمرأة خلفه. وفي الجماعة الحسن والحسين «عليهما السلام»، وابن عباس، وابن عمر، وثمانون نفساً من الصحابة، فقلت: ما هذا؟!

فقالوا: هذه السُّنَّة(١).

وسمى في موضع آخر: زيد بن ثابت وأبا هريرة، (أو ابن عباس وأبا هريرة) أيضاً(٢).

---

(١) منتهى المطلب ج٧ ص٣٥٦ و ٣٥٧ وراجع: المغني لعبد الله بن قدامة ج٢ ص٣٦٧ والشرح الكبير لعبد الرحمان بن قدامة ج٢ ص٣١٠ عن أحمد.

(٢) المغني لعبد الله بن قدامة ج٢ ص٣٦٧ وراجع: المجموع للنووي ج٥ ص٢٢٤ ونصب الراية ج٢ ص٣١٧ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج١ ص٢٣٢ .

وعن عمار بن ياسر، قال: أخرجت جنازة أم كلثوم بنت علي «عليه السلام» وابنها زيد بن عمر، وفي الجنازة الحسن والحسين «عليهما السلام»، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وأبو هريرة، فوضعوا جنازة الغلام ممّا يلي الإمام، والمرأة وراءه. وقالوا: هذا هو السنة(١).

وذكروا أيضاً: أن سعيد بن العاص هو الذي صلى على أم كلثوم وولدها(٢).

وتلخيص الحبير ج٥ ص٢٧٦ وراجع: سنن أبي داود ج٢ ص٧٧ وسنن النسائي ج٤ ص٧١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٣٣ وعون المعبود ج٨ ص٣٣٥ والسنن الكبرى للنسائي ج١ ص٦٤١ وتاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٤٩١.

(١) العلل ومعرفة الرجال ج١ ص١٤٠ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٥٠٢ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص١٣٨ والشرح الكبير لعبد الرحمان بن قدامة ج٢ ص٣١٠ وتاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٤٩٠ والإصابة ج٤ ص٤٩٢. وراجع: ذخائر العقبى ص١٧١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٢٦٤ و ٤٦٥ والسنن الكبرى للنسائي ج٤ ص٧١ والذرية الطاهرة ١٦٤ و ١٦٥ و ١١٨ وتهذيب تاريخ دمشق ج٦ ص٣٠ والمصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص٨ و ١٩٧ والخلاف للطوسي ج١ ص١٦٩ و (ط جماعة المدرسين سنة ١٤٠٧هـ ق) ص٧٢٢ و ٧٢٣ والمؤتلف من المختلف للطبرسي ج١ ص٢٥٥ ومختلف الشيعة ج٢ ص٣٠٨ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٣ ص١٢٨ و (الإسلامية) ج٢ ص٨١١ وبحار الأنوار ج٧٨ ص٣٨٢.

(٢) ذخائر العقبى ص١٧١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٤٦٤ ـ ٤٦٥ وتاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٤٩٠ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٥٠٢ وسنن النسائي ج٤ ص٧١ والذرية الطاهرة للدولابي ص١٦٤ وتهذيب تاريخ مدينة دمشق ج٦ ص٣٠ وربيع الأبرار للزمخشري ج٥ ص٢٦١ والتذكرة الحمدونية ج٩ ص٣٠٩ وتاريخ

وخلفه الحسن والحسين وأبو هريرة.

وذكر آخرون: أن الذي صلَّى عليها وعلى ولدها هو عبد الله بن عمر، قدّمه الحسن بن علي، أو الحسين بن علي[1].

ونقول:

إن هذا الكلام فيه العديد من المؤاخذات، نذكر منها ما يلي:

متى توفي سعيد بن العاص؟!:

ذكرنا فيما تقدم: أن النصوص تؤكد على أن سعيد بن العاص مات في عهد معاوية[2].

ويصرح عدد منها: بأنه مات سنة سبع، أو ثمان، أو تسع وخمسين[3].

وعن ابن عون: أنه بقي إلى سنة ٦٠[4].

الإسلام للذهبي ج٤ ص١٣٨.

(١) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٤ ص٤٩٢ وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٤٩٤ و ٤٩٥ وإفحام الأعداء والخصوم ج١ ص١٦٥ والذرية الطاهرة ص١٦٤ والدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص٦٢ ونور الأبصار (ط سنة ١٣٨٤هـ) ص١٩٣ ومختصر تاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ١٦٢ وتهذيب تاريخ مدينة دمشق ج٦ ص ٣٠ وأخبار الزينبات ص١٢٤.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج٢٣ ص٩٥ و ١٠٠ و ١٠١ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٤ ص٤٨٢.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط ص٢٢٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٣ ص١٠٠ و ١٠١.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ج٢٣ ص٩٣.

تاريخ وفاة شخصيات حضرت الجنازة:

وهناك شخصيات أخرى حضرت جنازة أم كلثوم لا بأس بالتعرف على أوقات وفاتهم، وهم:

١ ـ الإمام الحسن «عليه السلام»، فقد توفي سنة ٤٩، أو خمسين، أو احدى وخمسين للهجرة، وثمة أقوال شاذة أخرى لم يعتد بها العلماء[١].

٢ ـ الإمام الحسين «عليه السلام» استشهد في العاشر من محرم سنة إحدى وستين.

٣ ـ زيد بن ثابت، الذي قيل: إنه شهد جنازة أم كلثوم، توفي هو الآخر سنة ٤٥ للهجرة ـ وهو القول الأكثر قوة ـ وقيل: قبلها، وقيل: بعدها[٢].

---

(١) راجع: المستدرك للحاكم ج٣ ص١٦٩ والإصابة ج١ ص٣٣١ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج١ ص٣٧٤ و (ط دار الجيل) ج١ ص٣٨٩ والبدء والتاريخ ج٥ ص٧٤ ونظم درر السمطين ص٢٠٤ و٢٠٥ وإعلام الورى ص٢٠٦ والفصول المهمة لابن الصباغ ص١٥١ ونور الأبصار ص١٢٣ والإرشاد للمفيد ص٢١١ وروضة الواعظين ص١٦٨ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٢٩ والمعارف لابن قتيبة ص٢١٢ وكفاية الطالب ص٤١٥ وأسد الغابة ج٢ ص١٤ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٣٢ ـ ١٦٤ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٧٩ وذخائر العقبى ص١٤١ و ١٤٢ وتذكرة الخواص ص٢١١ والكافي ج١ ص٣٨٣ و ٣٨٤ وغير ذلك كثير.

(٢) الإصابة ج١ ص٥٦٢ و (ط دار الكتب العلمية سنة ١٤١٥هـ) ج٢ ص٤٩٢ وأسد الغابة ج٢ ص٣٤٨ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج١ ص٥٥٤ و (ط دار الجيل) ج٢ ص٥٤٠.

٤ ـ أبو هريرة: مات سنة سبع أو ثمان، أو تسع وخمسين(١).

متى توفيت أم كلثوم؟!:

هناك من يقول: إن أم كلثوم توفيت قبل السنة الرابعة والخمسين من الهجرة(٢).

ولكن هذا القول لا يمكن قبوله، وذلك لما يلي:

أولاً: لأن الإمام الحسن «عليه السلام» وزيد بن ثابت لم يكونا حيين في هذا التاريخ، فكيف يكونان قد حضرا جنازتها؟!

ثانياً: إن أم كلثوم قد حضرت كربلاء وهي في سنة إحدى وستين، وتوفيت بعد واقعة كربلاء في الشام، أو في المدينة بعد رجوعها بأربعة أشهر(٣).

ثالثاً: كانت لأم كلثوم خطبة جليلة في الكوفة، حين جاؤا بالرؤوس والسبايا من كربلاء إليها، وهي معروفة ومشهورة(٤).

---

(١) الإصابة ج٤ ص٢١٠ و٢١١ و (ط دار الكتب العلمية سنة ١٤١٥هـ) ج٧ ص٣٦١ وج١ ص٧٦ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٤ ص١٧٧٢.

(٢) مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء ص١٩٨ تأليف: ياسين بن خير الله الخطيب، المتوفى سنة ١٢١٣ هـ، وأعيان الشيعة ج١٣ ص١٢.

(٣) راجع: معالي السبطين ص٦٩٠ عن شرح نهج البلاغة لابن ميثم، وراجع: نزهة الأنام في محاسن الشام لعبد الله بن محمد البدري (ط مصر سنة ١٣٤١هـ) ص٣٤٧ و ٣٨١.

(٤) راجع: اللهوف ص٩٣ ومثير الأحزان لابن نما ص٦٨ ـ ٦٩ وأعيان الشيعة ج٣ ص٤٨٥ وبحار الأنوار ج٤٥ ص١٢ والعوالم، الإمام الحسين ص٣٨١ ولواعج الأشجان ص٢٠٥.

فكيف يكون سعيد بن العاص قد صلّى عليها، وهو قد توفي قبلها بعدة سنوات؟!

وكيف يكون الحسنان «عليهما السلام» قد حضرا جنازتها، وهما قد استشهدا قبلها، إما بسنوات كثيرة، كما هو حال الإمام الحسن، أو بعدة أشهر كما هو حال الإمام الحسين «عليه السلام»؟!

وكيف يكون زيد بن ثابت قد حضر جنازتها أيضاً، وهو قد توفي قبلها بأكثر من ست عشرة سنة؟!

وكيف يكون أبو هريرة قد حضر جنازتها، وهو أيضاً قد توفي قبلها بعدة سنوات؟!

رابعاً: بقي أن نشير إلى أن ما زعموه، من أن الذي صلى عليها هو عبد الله بن عمر، وأن الذي قدّمه للصلاة هو الإمام الحسن «عليه السلام»[١]. لا يمكن قبوله، فإن الإمام الحسن «عليه السلام» كان قد استشهد قبل وفاة

---

(١) أسد الغابة (ط دار الكتاب العربي) ج٥ ص٦١٥ والإصابة ج٤ ص٤٩٢ و (ط دار الكتب العلمية سنة ١٤١٥هـ) ج٨ ص٤٦٦ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٤ ص٤٩٢ و (ط دار الجيل) ج٤ ص١٩٥٦ وذخائر العقبى ج٢ ص٢٧٠ و (ط مكتبة القدسي سنة ١٣٥٦هـ) ص١٧١ والذرية الطاهرة ج١ ص١١٨ و (ط الدار السلفية ـ الكويت سنة١٤٠٧هـ) ص١٦٤ والعلل ومعرفة الرجال ج١ ص١٤٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٤٦٤ و ٤٦٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٣٣ والتاريخ الصغير للبخاري ج١ ص١٢٨ وتاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٤٩١ و ٤٩٢ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٣٧٠.

أم كلثوم بحوالي اثنتي عشرة سنة أو أكثر..

ولا مجال لادِّعاء: أن الإمام الحسين «عليه السلام» هو الذي قدّم ابن عمر للصلاة، ولكن الرواة قد صحّفوا بين الاسمين، لأن الإمام الحسين أيضاً كان قد استشهد قبلها بعدة أشهر. فهي إنما توفيت في أيام إمامة الإمام علي بن الحسين زين العابدين «صلوات الله وسلامه عليه».

خامساً: إننا لا ندري ما الحاجة إلى تقديم ابن عمر للصلاة عليها، وفي الحاضرين من هو أجلّ وأعلم، وأفضل منه.. كما أن فيهم من هو أقرب إليها، وأمسّ بها رحماً منه.

وأين كان ابن عباس، وأخوها محمد ابن الحنفية، وعبد الله بن جعفر، وثمانون نفساً من الصحابة الآخرين، ذكروا أنهم حضروا جنازتها؟!

وقد انتهيت من هذا الجزء، وهو التاسع من «سيرة الإمام الحسن «عليه السلام» في الحديث والتاريخ»، ليلة القدر، وهي ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان المبارك.. سنة ١٤٣٩هـ ق.

فإلى الجزء العاشر..

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

الفهارس

١ ـ الفهرس الإجمالي

٢ ـ الفهرس التفصيلي

الفهرس الإجمالي

الباب السادس: أجواء مسمومة........................ ٥

الفصل الأول: الحسين يؤيد الهدنة........................ ٧

الفصل الثاني: المعترضون على الهدنة........................ ٣١

الفصل الثالث: شبهات.. وأقاويل........................ ٦٥

الفصل الرابع: تجنيات لا مبرر لها........................ ٩٣

القسم الخامس: من الهدنة.. حتى الشهادة........................ ١١٩

الباب الأول: في مواجهة سياسا ت المناوئين........................ ١٢١

الفصل الأول: إلى المدينة........................ ١٢٣

الفصل الثاني: زيارات إلى الشام، وجوائز معاوية........................ ١٤٣

الفصل الثالث: أحداث لافتة........................ ١٧٣

الباب الثاني: ولدينا مزيد........................ ١٩٧

الفصل الأول: إحتجاجات.. ومناشدات........................ ١٩٩

الفصل الثاني: لكل مقام مقال........................ ٢٢٧

الفصل الثالث: الإمام الحسن عليه السلام عند ملك الروم........................ ٢٥١

الفصل الرابع: فاسألو أهل الذكر........................ ٢٨٩

الباب الثالث: قبل حديث الإستشهاد........................ ٣١٣

الفصل الأول: نساء.. وأحداث........................ ٣١٥

الفهرس الإجمالي........................ ٣٤٣

الفهرس التفصيلي........................ ٣٤٥



الفهرس التفصيلي

الباب السادس: أجواء مسمومة........................ ٥
الفصل الأول: الحسين يؤيد الهدنة........................ ٧
من هم المعترضون؟!:........................ ٩
١ ـ الإمام الحسين عليه السلام:........................ ٩
رواية البلاذري:........................ ١٤
رواية عمرو بن دينار:........................ ١٥
للتوضيح والبيان:........................ ١٩
الحسين لم يسدد رأي أخيه في الصلح:........................ ١٩
أدب الحسين مع الحسن:........................ ٢٤
وقفة مع الرواية الأخيرة:........................ ٢٧
تسليم الخلافة:........................ ٢٨
الفصل الثاني: المعترضون على الهدنة........................ ٣١
بداية........................ ٣٣

١ ـ حجر بن عدي: ٣٥
٢ ـ المسيب بن نجبة: ٣٥
عدي بن حاتم: ٣٦
٣ ـ مالك بن ضمرة: ٣٨
مؤاخذات المسيب بن نجبة: ٣٨
حوار حجر مع الحسن والحسين عليهما السلام: ٤٢
خشيت أن تجتثوا عن وجه الأرض: ٤٤
٤ ـ علي بن محمد بن بشير الهمداني: ٤٤
٥ ـ سفيان بن ليلى: ٤٥
٦ ـ أبو سعيد عقيصا: ٤٩
٧ ـ زيد بن وهب الجهني: ٤٩
٨ ـ سليمان بن صرد الخزاعي: ٥٠
٩ ـ أهل القادسية: ٥٢
مذلّ المؤمنين: ٥٢
رواية ابن بشير: ٥٥
خلاصة ما تضمنته الروايات المتقدمة: ٥٦
حجج المعترضين في الروايات والنصوص: ٥٩
الفصل الثالث: شبهات.. وأقاويل.. .... ٦٥
بداية: ٦٧

جماجم العرب بيد الإمام الحسن: ٦٧
على ماذا بايع الحسن معاوية؟!: ٧٠
فإنَّا بايعنا معاوية: ٧٢
الحسن لم يخلع نفسه من الإمامة: ٧٤
الحسن لم يبايع: ٧٦
الإمام الحسن عليه السلام يأخذ العطاء والصلات من معاوية: ٧٦
إظهار الإمام موالاته لمعاوية: ٧٨
نموذج من رأي الإمام الحسن في معاوية: ٧٩
من تعليقات سبط ابن الجوزي: ٨٦
الحسن وإمامة معاوية: ٩١
الفصل الرابع: تجنيات لا مبرر لها ٩٣
تبريرات شيطانية: ٩٥
فوائد الهدنة عند العسقلاني: ٩٧
الخلافة مقابل وفاء الدين: ١٠٢
العلايلي وموجة السأم: ١٠٩
رونلدسن والقابليات القيادية: ١١١
«لامنس»: الحسن قعيد الهمة: ١١٣
القسم الخامس: من الهدنة.. حتى الشهادة........................ ١١٩
الباب الأول: في مواجهة سياسا ت المناوئين........................ ١٢١

الفصل الأول: إلى المدينة.......... ١٢٣
من الكوفة إلى المدينة:.......... ١٢٥
زياد يتجرأ على أفضل الخلق:.......... ١٢٧
ما الذي غيَّر معاوية؟!:.......... ١٣٠
زياد هو المعتمد لدى معاوية:.......... ١٣٤
عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم:.......... ١٣٥
زياد ظالم غاشم:.......... ١٣٧
مضامين كتاب زياد:.......... ١٣٨
رسالة الإمام الثانية إلى زياد:.......... ١٤١
الفصل الثاني: زيارات إلى الشام، وجوائز معاوية.......... ١٤٣
عطاءات معاوية للحسنين عليهما السلام:.......... ١٤٥
المراد بالجائزة:.......... ١٤٨
رواية الإمام الكاظم عليه السلام:.......... ١٤٨
التفاوت في المقادير يثير الشبهة:.......... ١٤٩
تحل الصدقة لثلاثة أصناف:.......... ١٥٥
إيضاحات:.......... ١٥٦
لا بد من التعليم:.......... ١٥٦
ليس هذا من المروءة:.......... ١٥٧
أعطياه، ولم يدققا في مسألته:.......... ١٥٨

الكرم الهاشمي:.................................. ١٥٩
لماذا لا تنفق الأموال على الفقراء؟!:.......................... ١٦٠
الإمام الحسن سيد الحسين:.......................... ١٦٢
لا يزيد الأخ على أخيه:.......................... ١٦٣
لا مانع من الاحتمال:.......................... ١٦٤
إرجاع الأموال إلى أصحابها:.......................... ١٦٤
خير المال ما وقي به العرض:.......................... ١٦٥
ظن الحسين هو الحسن:.......................... ١٦٧
الإمام لا يضل الطريق:.......................... ١٦٨
الإمام.. وخُلف الوعد:.......................... ١٦٩
كيف لم يميِّز الراعي الحسن عن الحسين؟!:.......................... ١٧١
حجم المكافأة:.......................... ١٧٢
الفصل الثالث: أحداث لافتة.......................... ١٧٣
ابن مسلمة والإمام الحسن:.......................... ١٧٥
كلام معسول كالسيف المسلول:.......................... ١٧٨
طهر ما طاب منك:.......................... ١٧٩
التهنئة بالمولود:.......................... ١٨٠
الإمام الحسن ويزيد:.......................... ١٨١
الإمام الحسن والوليد بن عقبة:.......................... ١٨٣

هل قام الدين بمعاوية؟!: ١٨٤
أنا أخير منك يا حسن: ١٨٧
من أي شيء تعجب الحسن؟!: ١٨٩
رددتها.. وأنا ابن فاطمة: ١٩٢
الباب الثاني: ولدينا مزيد ١٩٧
الفصل الأول: إحتجاجات.. ومناشدات.. .... ١٩٩
بداية: ٢٠١
مناظرة لم يكن في الإسلام مثلها: ٢٠١
إيضاحات: ٢٢٢
الفصل الثاني: لكل مقام مقال ٢٢٧
مواقف حاسمة: ٢٢٩
أنا ابن علي، وأنت ابن صخر: ٢٢٩
الحق، أحق أن يتبَّع: ٢٣٠
إيضاحات: ٢٣٣
بين الإمام الحسن ومروان: ٢٣٤
بنو أمية وبنو هاشم: ٢٣٥
بين الإمام الحسن ومعاوية: ٢٤٢
الحسن خير الناس أباً وأماً الخ..: ٢٤٣
الخوف سبب الهدنة بين الحسن ومعاوية: ٢٤٤

الإمام الحسن وعمرو بن العاص: ٢٤٦
إيضاحات: ٢٤٧
الفصل الثالث: الإمام الحسن عليه السلام عند ملك الروم.. .... ٢٥١
الإمام الحسن عليه السلام وأسئلة ملك الروم: ٢٥٣
سند رواية القمي: ٢٦٠
الحسن عليه السلام عند ملك الروم: ٢٦١
يزيد لم يبلغ الحلم: ٢٦٢
ملك الروم علم بالمهتدي والضال من الاصنام؟!: ٢٦٤
عند الإمتحان يكرم المرء أو يهان: ٢٦٨
المرحلة الأولى: ٢٦٨
المرحلة الثانية: ٢٧٠
ملك الروم كان رجلاً ومجرباً: ٢٧٠
لا يوجد اختلال في أجوبة الإمام الحسن: ٢٧٠
ألف سنة إلا خمسين عاماً: ٢٧٢
عيسى يقتل الدجال: ٢٧٥
ذو الفقار لمن؟!: ٢٧٦
السبعة التي لم تركض في رحم: ٢٧٧
نبذة عن صخرة بيت المقدس: ٢٧٨
أين هي أرواح المؤمنين ليلة الجمعة؟!: ٢٨٠

الصخرة عرش الله الأدنى: ٢٨٤
بسط الأرض دحوها: ٢٨٥
بقية الأسئلة والأجوبة: ٢٨٧
الفصل الرابع: فاسألو أهل الذكر.. .... ٢٨٩
بداية: ٢٩١
إياك أعني واسمعي يا جارة: ٢٩٢
أي الوضوءين أحسن؟!: ٢٩٤
الإعتكاف وقضاء حاجات الناس: ٢٩٦
الرجوع إلى أهل الخبرة: ٣٠٠
ضعف احتمال التصحيف: ٣٠٢
الإخبار عن أمر غائب: ٣٠٢
لم يوظف علمه بالغيب في أموره الشخصية: ٣٠٣
إن للماء سكاناً: ٣٠٥
التعليم بالمعجزة: ٣٠٦
الزبيريون والإمامة: ٣٠٧
الحج والعمرة في حياة الإمام الحسن: ٣٠٨
سحر والله!!: ٣١٠
الباب الثالث: قبل حديث الإستشهاد.. .... ٣١٣
الفصل الأول: نساء.. وأحداث ٣١٥

الحسنان في خطبة لبنى:..٣١٧
بدوية تراود الحسن عن نفسه:..٣١٩
الحسنان لا يزوجان سعيد بن العاص:..٣٢٥
الحسنان لا يختلفان في الرأي:..٣٢٧
سعيد بن العاص عدو لأهل البيت:..٣٢٨
تناقضات في مهر أم كلثوم:..٣٣٢
من يتولى التزويج؟!:..٣٣٣
من الذي صلى على أم كلثوم؟!:..٣٣٤
متى توفى سعيد بن العاص؟!:..٣٣٦
تاريخ وفاة شخصيات حضرت الجنازة:..٣٣٧
متى توفيت أم كلثوم؟!:..٣٣٨
الفهارس ٣٤٣
الفهرس الإجمالي..٣٤٣
الفهرس التفصيلي..٣٤٥